





مركز الدراسات الشرقية

ORIENTAL STUDIES CENTER

يهود المغرب

فى الأدب العبرى الحديث وأوهام الخلاص الزائف

دكتور

أحمد الشحات هيكل

سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية

العدد (٢١)

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م

يهود المغرب
فى الأدب العبرى الحديث
وأوهام الخلاص الزائف

تأليف

د. أحمد الشحات هيكل

سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية
يصدرها مركز الدراسات الشرقية - جامعة القاهرة
تحت إشراف أ.د/ أحمد محمود هويدى

تصدر هذه السلسلة تحت رعاية

أ.د علي عبد الرحمن يوسف

رئيس جامعة القاهرة

ورئيس مجلس إدارة المركز

و

أ.د. عبد الله التطاوي

نائب رئيس الجامعة

ونائب رئيس مجلس إدارة المركز

رقم الايداع	٢٠٠٧ / ٢١٩٥٢

مطبعة العمرانية للاوفست

ت : ٣٣٧٥٦٢٩٩

تقديم

القارىء الكريم.....

يسر مركز الدراسات الشرقية أن يقدم إصداره الجديد فى إطار سلسلة الدراسات الأدبية واللغة ، والإصدار بعنوان " يهود المغرب فى الأدب العبرى الحديث وأوهام الخلاص الزائف " . وهذا الكتاب من تأليف الدكتور أحمد الشحات المدرس بكلية الآداب – جامعة حلوان .

رغم وجود دراسات عربية جادة حول الأدب العبرى الحديث ، فلا تزال المكتبة العربية بحاجة إلى رصد اتجاهات الأدب العبرى الحديث ، وكذلك دراسة الأدب العبرى فى ضوء اتجاهات الأدب العالمى ، كما أن المكتبة العربية فى حاجة ماسة إلى دراسات نقدية للأدب العبرى الحديث فى ضوء مناهج النقد الأدبى ، حيث يسود بين الباحثين والدارسين للأدب العبرى الحديث مقولات مثل " إنه أدب ذو طبيعة خاصة " أو أنه " أدب يعبر عن أفكار صهيونية " فالواقع أن أدب إى أمة من الأمم يعبر عن طبيعة خاصة لهذه الأمة أو تلك لكن لا يعنى ذلك ألا نطبق على هذا الأدب أو ذاك مناهج النقد الأدبى المتعارف عليها ، فالمشكلة فى رأيى هى أنه لا توجد مادة على مستوى مرحلة الليسانس بمسمى " النقد الأدبى " وذلك على غرار بقية أقسام اللغات فى الجامعات المصرية . لذلك تفتقر المكتبة العربية إلى كتاب عن اتجاهات النقد الأدبى فى إسرائيل .

والكتاب الذى نقدمه للقارئ يحاول دراسة الواقع الثقافى والاجتماعى ليهود المغرب فى إسرائيل وذلك من خلال بعض الأعمال النثرية لأدباء إسرائيليين ذوى أصول يهودية مغربية. وقد قسم الباحث دراسته إلى أربعة فصول .

تناول فى الفصل الأول : " مكانة الأدباء اليهود السفاراديم على خريطة الأدب العبرى المعاصر فى إسرائيل " . وقد ناقش فيه بعض الإشكاليات المتعلقة بالأدباء اليهود السفاراديم داخل إسرائيل ، ودراسة أسباب تأخر ظهور الأدباء الإسرائيليين السفاراديم ، وتفسير أسباب تفوق أدباء يهود العراق على أقرانهم من أبناء الطائفة المغربية فى إسرائيل . وعرض فى نهاية الفصل أبرز الأدباء الإسرائيليين ذوى الأصول اليهودية المغربية .

وخصص الفصل الثانى لقضية " إشكالية الخلاص الزائف وأزمة الهوية فى مسرحيات ليهود مغاربة " . وقد استعرض فى هذا الفصل إشكالية حلم الخلاص المسيحانى الزائف وأن هجرة يهود المغرب إلى إسرائيل كانت بمثابة انتحار جماعى لمعظمهم ، وذلك فى أثر تحطم حلمهم الوردى عن مملكة عصر الخلاص . كما عرض فى هذا الفصل لإشكالية أزمة الهوية

والمحاولات المستمية من قبل الدوائر الإسرائيلية الإشكنازية لسلخ يهود المغرب عن هـويتهم وتراثهم وماضيهم .

وجاء الفصل الثالث بعنوان : " إشكالية الاندماج الطائفى فى رواية أرمند لعوزيئيل حازان " وقد استعرض فى هذا الفصل إشكالية عملية الاستيعاب ، وتجربة الاندماج التى تعـرض لهـا يهود المغرب داخل المعابر ومعسكرات المهاجرين ، وما أحدثـه التبـاين الثقـافى والتمييـز الاجتماعى من آثار سلبية على الجماعات اليهودية المغربية المهاجرة إلى إسرائيل ، وما نـتج عن ذلك من صعوبة التكيف والتأقلم مع مكونات المجتمع الجديد .

وعرض فى الفصل الرابع قضية : " إشكاليات الواقع الاجتماعى والثقافى فى قصص يهود مغاربة " ، ويعتبر هذا الفصل استمرار للفصول السابقة . حيث يواصل اسـتكمال ملامـح مـا يتعرض له يهود المغرب من تمييز اجتماعى وما يعانى منه يهود المغرب من إشكالية ثقافيـة داخل المجتمع الإسرائيلى وما أحدثته النظم الإسرائيلية ذى الصبغة العلمانية من آثـار سـلبية وأمراض اجتماعية وثقافية جيتوية أصابت الطائفة اليهودية المغربية مثل كراهية الذات والنفور من الجذور اليهودية الشرقية والرغبة الملحة فى تقليد الآخر المسيطر وظهـور الكثيـر مـن المتناقضات بين الأجيال المختلفة .

ويعد هذا الكتاب إضافة للمكتبة العربية وذلك بتركيـزه علـى دراسـة الواقـع الثقـافى والاجتماعى للطائفة اليهودية المغربية من خلال أعمال بعض الأدباء اليهود المغاربة .

ونرجو أن يستفيد من هذا الكتاب المتخصصون فى الأدب العبـرى الحـديث عامـة وأدب الأقليات خاصة .

والله من وراء القصد

أ.د. أحمد محمود هويدى

قائم بأعمال مدير مركز الدراسات الشرقية

المقدمة

تتكون "لوحة الفسيفساء"، عادة، من أشكال مختلفة الألوان ومن تراكيب متفاوتة الأحجام متنافرة في معظمها، ولا يوجد بينها أي رابط سوى الإطار الموضوعة فيه. والغريب أن من ينظر إلى هذه اللوحة من بعيد قد يرى شكلاً مجسمًا متلاحمًا واضح المعالم، لكن من يقترب منها ويدقق النظر يستطيع، وبكل سهولة، أن يلمح أن هناك فروقًا صارخة في التناسق العام لمجسم اللوحة. وقد تجسدت هذه اللوحة الفسيفسائية على أرض الواقع في المجتمع الإسرائيلي، ذلك المجتمع " الفسيفسائي " الذي يتركب منذ نشأته من خليط من جماعات مهاجرة من مختلف البلدان، جاءت كل جماعة بمكونات مختلفة عن الأخرى، من حيث الأصول العرقية، واللغوية، والثقافية وغيرها من الأنماط الحياتية المعتادة من عادات وتقاليد وسلوكيات.

وقد حظيت إشكالية التوتر الطائفي أو انعكاس ما يسمى بالهوة الطائفية داخل المجتمع الإسرائيلي، خاصة بين قطبي هذا المجتمع: "اليهود الإشكناز" و"اليهود السفاراد"، على الأدب العبري المعاصر، باهتمام عدد من الباحثين العرب المتخصصين في الدراسات العبرية، حيث صدرت في هذا الصدد العديد من الرسائل العلمية والأبحاث الأكاديمية والكتب المتخصصة، لكن معظم هذه الدراسات، التي تناولت إشكالية الصراع الطائفي في المجتمع الإسرائيلي، لم تفرد دراسة مستقلة لعرض الواقع الحياتي للطائفة اليهودية المغربية داخل المجتمع الإسرائيلي وما واجهته هذه الطائفة من إشكاليات اجتماعية وثقافية وذلك من خلال إنتاجهم الأدبي العبري، رغم أن يهود المغرب يمثلون الطائفة الأكبر من حيث الوزن العددي من بين الطوائف اليهودية السفارادية في إسرائيل، كما أن لهم حضورًا واضحًا وتواجدًا مؤثرًا على مسرح الأحداث السياسية الإسرائيلية في الآونة الأخيرة، وهو الدور الذي تفتقده هذه الطائفة في المجال الأدبي، حيث عمدت المؤسسات الأدبية الإسرائيلية إلى اتباع سياسة التجاهل والإهمال مع الأدباء الإسرائيليين ذوي الأصول اليهودية المغربية.

وفي سبيل ذلك اعتمدت الدراسة على طائفة منوعة من الأعمال النثرية العبرية المعاصرة لأدباء إسرائيليين ينتمون للطائفة اليهودية المغربية؛ لاستعراض واقعهم الثقافي والاجتماعي داخل المجتمع الإسرائيلي مع التركيز على انعكاسات عمليات التهجير وتجارب الاستيعاب المريرة التي تعرضت لها هذه الطائفة في إسرائيل.

وقد كشفت الأعمال الأدبية عن الكابوس الأليم الذي أفاق عليه أبنـــاء الطائفـــة اليهوديـــة المغربية، فقد تأكد لهم أن أرض مملكة الخلاص المسيحاني، ما هي إلا حلم زائف وأن هجرتهم الجماعية إلى إسرائيل كانت بمثابة انتحار جماعي، وباتوا يعانون من أزمة هوية حادة؛ في إثر المحاولات المستميتة من قبل الدوائر الإسرائيلية الإشكنازية الرسميـــة لسلخ اليهودي المغربي عن هويته وذاتـــه وماضيه، وتخليصه من كل العناصر الثقافية التي تربطه بالمغرب، وأخـــذت تطاردهم الأمراض الاجتماعية المزمنة والسلوكيات الجيتوية البالية محدثة شروخًا عميقة فـــي الشخصية اليهودية المغربية.

وتعد هذه الدراسة من ناحية محاولة لاستكمال الدراسات المعنية بالأعمال الأدبيـــة لليهـــود السفارديم، ومن ناحية أخرى جانب تطبيقي للدراسة التاريخية لأوضاع أبناء الطائفة اليهوديـــة المغربية خلال العصر الحديث؛ آملين من العلي القدير أن تحقق هذه الدراسة للمكتبة العربيـــة الفائدة المرجوة منها.

******

وفي الختام أتقدم بجزيل الشكر وعظـــيم الامتنـــان لأســـتاذي ومعلمـــي الفاضـــل الأســـتاذ الدكتور/رشاد عبد الله الشامي، فقد كان لي الشرف أن يرعى هذه الدراسة وهي لا تـــزال فـــي طور البداية حتى بلغت درجة النضج؛ مما كان له الأثر العظيم في إثـــراء الدراســـة وتقـــدمها والإلمام بجوانبها، فقد كان نعم الأستاذ المعلم ونعم الأب الموجه، أسأل الله العظـــيم أن يتغمـــده برحمته ويشمله بعفوه وغفرانه.

ويطيب لي أن أتوجه بأسمى آيات الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور/ محمد محمـــود أبـــو غدير، وإلى الأستاذ الدكتور/ أحمد محمود هويدي؛ على ما أبدياه من ملاحظات قيمة ونصـــائح سديدة كان لها الأثر الطيب في خروج هذا العمل إلى النور، فلهما مني كل التقدير والاحترام.

والله ولي التوفيق ،،

د. أحمد الشحات هيكل

الفصل الأول
مكانة الأدباء اليهود السفاراديم
على خريطة الأدب العبري المعاصر

(أولاً) تحديد المصطلح

هناك تداخل كبير بين مصطلحات: "سفاراديم"، و"اليهود الشرقيون"، و"يهود البلاد الإسلامية"، و"يهود آسيا وأفريقيا" و"إسرائيل الثانية". وأكثر هذه المصطلحات استخدامًا هي الثلاثة الأولى؛ لذلك كان لابد من تحديد مدلول كل مصطلح.

(١) "**اليهود السفاراديم**": مصطلح ذو مدلولات ثقافية وحضارية أكثر منها جغرافية. وكلمة "سفاراد" كانت تطلق على الأندلس(أي شبه جزيرة أيبريا التي تضم حاليًا أسبانيا والبرتغال)، ثم اقتصرت التسمية بعد ذلك على أسبانيا. وهو مصطلح كان يخص يهود الأندلس وحدهم، ولكن بسبب تفوقهم الثقافي في مختلف العلوم والفنون خلال العصور الوسطى في ظل الحكم الإسلامي أصبح يطلق على كل اليهود الشرقيين؛ خاصة بعد سقوط الأندلس، وهو يقابل مصطلح "اليهود الإشكناز".

(٢)"**اليهود الشرقيون**": مصطلح ذو مدلولات تاريخية، ولكنه غير دقيق من الناحية الجغرافية. بدأ مصطلح الشرق يستخدم مع ظهور الأطماع الصليبية في بلاد الشام، وأصبحت بلاد الشرق ممثلة للثقافة الأدنى في مقابل الثقافة الغربية المتقدمة، خاصة أن هؤلاء اليهود عاشوا لفترات طويلة في كنف هذه البلاد، ولكنه يغفل أعدادًا كبيرة من يهود بعض البلاد الإفريقية والآسيوية والأوروبية. وأصبح مرادفًا لمصطلح "اليهود السفاراديم"، وبمعنى آخر يستخدم لشرح وتوضيح مصطلح "اليهود السفاراديم"، مقابل مصطلح "اليهود الغربيون" الذي يستخدم هو أيضًا لتوضيح مصطلح "اليهود الإشكناز".

(٣)"**يهود البلاد الإسلامية**": مصطلح ذو مدلولات جغرافية وتاريخية وحضارية. وهو أقل المصطلحات شيوعًا، ويعمد المتخصصون اليهود إلى استخدام هذا المصطلح عندما

يشرعون لإلصاق البربرية والوحشية للحضارة الإسلامية وأن اليهود الذين عاشوا في ظل هذه الحضارة عانوا من الاضطهاد والذل.

وخلاصة القول، أن مصطلح "اليهود السفاراديم" هو أفضل هذه المصطلحات استخدامًا مع إمكانية استخدام مصطلح "اليهود الشرقيون" للتوضيح والتفسير. كما أنه ليس من الخطأ استخدام مصطلح "يهود البلاد الإسلامية"، لكن لابد من اليقظة والحذر خاصة عند الترجمة من المصادر العبرية. وينبثق عن هذه المصطلحات الشاملة مصطلح أكثر خصوصية وهو مصطلح "يهود البلاد العربية".

(ثانيًا)ظهور الأدباء السفاراديم على خريطة الأدب العبري المعاصر

مع بداية قيام الدولة ١٩٤٨م، بدأت تترامى إلى الأسماع بعض الأصوات الأدبية الإسرائيلية ذات الأصول اليهودية السفارادية، لكنها كانت أصواتًا ضعيفة لم تنل حظها من الاهتمام والرعاية. لكن مع بداية العقد السادس وحتى منتصف العقد السابع من القرن العشرين، بدأ الصوت اليهودي السفارادي في الظهور بقوة نسبية على ساحة الأدب العبري الحديث، وبدأ أدباء الطوائف اليهودية السفارادية وبصفة خاصة من مهاجري البلاد العربية يطرقون بقوة أبواب مختلف الألوان الأدبية في محاولة منهم لعرض واقع معاناتهم داخل المجتمع الجديد.

ويمكن اعتبار ظهور رواية "المعبرة "(١٩٦٤م) " لشمعون بلاص" (١) بمثابة بداية لظهور جيل جديد(٢) من أدباء الطوائف اليهودية السفارادية، وتعد هذه الرواية لونًا جديدًا من ألوان الاحتجاج الاجتماعي على أوضاعهم السلبية داخل المجتمع الإسرائيلي.

ويعد كل من "شمعون بلاص" و"أمنون شموش"(٣) أبرز من ظهر خلال ستينات القرن العشرين، ومع مطلع السبعينات بدأ "سامي ميخائيل"(٤) في الدخول لساحة الأدب العبري المعاصر وأخذ يدلي بدلوه مستعرضًا تجربة يهود العراق خلال سنوات الاستيعاب في "المعابر".

(ثالثًا)أسباب ظهور الأدباء السفاراديم

ومن نهاية الستينات وبداية السبعينات، بدأ الأدباء اليهود الإسرائيليون السفاراديم، خاصة من مهاجري البلاد العربية يخوضون تجاربهم الأولى في عالم الأدب العبري بمختلف ألوانه (سواء النثر أو الشعر)، وتعالت هذه الأصوات الشرقية للتعبير عن تجارب الاستيعاب والمعاناة داخل المجتمع الإسرائيلي ذي الطابع الإشكنازي الأوروبي. وكان إنتاجهم الأدبي بمثابة أدب احتجاج اجتماعي، ومن أبرز أسباب هذه الظاهرة :

(١) استيعاب وهضم اللغة العبرية، التي حلت في الكتابة محل لغتهم الأصلية العربية تـدريجيًا وبدأ يظهر خريجو دورات تعليم اللغة العبرية من أمثال "سامي ميخائيل".

(٢) انتهاج إسرائيل لسياسة التعددية الثقافية بعد فشلها في فرض ثقافـة واحـدة ذات طـابع إشكنازي علماني.

(٣) تزايد عمليات تهجير اليهود السفاراديم: مر المجتمع الإسرائيلي خلال السنوات الأخيرة من الستينات والسنوات الأولى من السبعينات بعدة أحداث هزته مـن الأعمـاق. وهـي تلـك الاهتزازات الاجتماعية الهائلة، التي أصعدت إلى مجال الحياة الاجتماعية قوى كانت حتـى ذلك الوقت بعيدة عن التأثير ومسحوقة جعلت هيكل النظام الاجتماعي الإسـرائيلي، الـذي تحددت معالمه من قبل الدولة بفترة طويلة ثابتاً ومحصناً طوال الخمسينات، يهتـز وتمـلأه الشقوق على امتداد هياكله. وقد اندفعت إلى هذه الشقوق خلال هـذه الفتـرة كـل القـوى المضغوطة، ثم اتسعت الشقوق لتتحول إلى شظايا حقيقة مما أدى إلى أن أجزاء مـن هـذا الهيكل الاجتماعي بدأت في الانهيار، بينما بدأت الأخرى في تغيير صورتها. ومـع نهايـة السبعينات كان البناء الاجتماعي للمجتمع الإسرائيلي كله قد بدأ في التغيـر من أساسه(٥).

لكن هذا التحول الديموجرافي لصالح الطوائف اليهودية الشرقية داخل الكيان الإسـرائيلي، الذي تصاعد مع وصول معظم مهاجري شمال إفريقيا، لم يؤد بصورة ملحوظة لحدوث تحـول ثقافي خاصة في مجالات حركة الإبداع الأدبي، ولكنه أسهم في دفع بعـض العناصـر الأدبيـة الشابة وشجعها على الظهور ومحاولة التعبير عن أوضاعهم، وآلامهم وأحلامهم.

(رابعًا)أسباب تجاهل إبداعات الأدباء السفاراديم في إسرائيل

هناك عدة أسباب أدت إلى عدم احتلال هذا الجيل الجديد من الأدباء اليهود الإسرائيليين من مهاجري البلاد العربية مكانة بارزة على الساحة الأدبية، والمعاناة من تجاهل وإهمـال النقـاد لهم، ومن أبرز هذه الأسباب:

(١)**مضمون الإبداعات الأدبيـة:** هناك شبه إجماع على أن أحد أهم أسباب عدم الاهتمام بإبـداعات هذه المجموعة الأدبية يكمن في نفس مضمون الموضوعات والقضايا التي يطرحونها سواء في الرواية أو القصة أو المسرحية أو غيرها من صنوف الأدب؛ وذلك لأنها ركزت بصـفة أساسية على القضايا التالية:

(أ)<u>الإغراق في الماضي</u>: أي الاهتمام بأوصاف المحليات المحدودة، بما يعبر عن مواجهة للمثل العليا للقومية اليهودية الجديدة ومناهجها المأخوذة عن الثقافة الأوروبية(٦)، فأعمال تلك المجموعة تتسم بالإغراق في تناول موضوعات ترتبط بعالمهم القديم عالم ما قبل الهجرة (عالم الحي اليمني، والحي العراقي، والحي السوري والمصري...) في محاولة للهروب من الواقع المرير والعودة للماضي الجميل، على النحو الذي ظهر بعد ذلك في أعمال "يتسحاق جورميزانو جورن" (صيف سكندري، ١٩٧٨م)، و"سامي ميخائيل" (فكتوريا ١٩٩٣م) و"امنون شموش" (ميشيل عزرا سفرا وأبناؤه ١٩٧٨م)، ذلك العالم الذي لم يتم للنقاد أو القراء التعرف على مكوناته الثقافية؛ لأنه عالم كانت له خصوصياته التي تختلف عما هو سائد داخل المجتمع الإسرائيلي ذي الصبغة الغربية. ومن جانب آخر، قد يعرض الأساطير والأكاذيب التي قام عليها الكيان الإسرائيلي لخطر الانهيار، لأن مثل هذه الموضوعات تثبت زيف ما تدعيه "المؤسسات الإسرائيلية" من تعرض السفاراديم لمحن الاضطهاد والتمييز داخل المجتمعات العربية الإسلامية.

(ب)<u>أدب الاحتجاج الاجتماعي</u>: ركز الأدباء السفاراديم، خاصة من مهاجري البلاد العربية في إسرائيل، في أدبهم على واقع المعاناة التي يتعرض لها يهود الشرق في إسرائيل وعلى أشكال التفرقة العنصرية التي لاقوها منذ هجرتهم إلى فلسطين منذ مرحلة "المعبرة" فصاعدًا. وكان أبرز من كتب عن هذه التجربة من الأدباء أمنون شموش وشمعون بلاص [هذا بالإضافة إلى سامي ميخائيل] (٧).

وهذا اللون من الأدب يعد من ألوان أدب الاحتجاج الاجتماعي لأبناء طوائف مغلوبة على أمرها، وهي موضوعات لا تتناسب مع ما كان سائداً داخل المجتمع الإسرائيلي من الإحساس بالزهو والتعالي في أعقاب حرب ١٩٦٧م إلى حد دفع الكثيرين من الأدباء الذين تمردوا على قيود الأدب المجند من أمثال "موشيه شامير" و"تاتان الترمان" و"ساميخ يزهار" و"يهودا عميحاي" للعودة إلى مواقعهم كأدباء مجندين كما كانوا في السابق(٨).

وعلى ذلك كان من الطبيعي، بل من الحتمي، تجاهل مثل هذه الأعمال التي تبرز نقاط الضعف داخل الكيان الإسرائيلي وتثبت زيف ادعاءات ما يطلقون عليه "المثل العليا الصهيونية" التي قام عليها المجتمع الإسرائيلي.

وقد أدى هذا الصمت المطبق والتجاهل القاتل إلى ابتعاد الأدباء اليهود الإسرائيليين السفاراديم من مهاجري البلاد العربية عن إثارة مثل هذه الموضوعات بعد ذلك. ويشير الناقد

الأدبي "جرشون شاكيد" إلى هذا التحول قائلاً: "ومع مرور الوقت تغيرت موضوعات الأدباء أبناء الطوائف اليهودية الشرقية وبدأت تحدث تغيرات في شكل كتاباتهم، بما في ذلك الابتعاد عن الموضوعات الاجتماعية الملتهبة للمهاجرين الذين يعانون من الاضطهاد (٩)".

(٢)**الاعتماد على التيار الواقعي**: لم يواكب أدباء هذه المجموعة ما كان سائدًا من تيارات أدبية على الساحة الأدبية الإسرائيلية حيث مال معظم أدباء الطوائف السفارادية (بلاص، وسامي ميخائيل وشموش...)، في أعمالهم الأدبية، إلى المذهب الواقعي وهو ما كان متبعاً قبل ذلك (في الأربعينات وبداية الخمسينات) ويعرف باسم "الواقعية الاشتراكية" (وهي في الحالات التي أمامنا كانت واقعية اجتماعية أكثر منها اشتراكية)، وذلك لأن القهر الاجتماعي احتاج لنوع من الواقعية الاجتماعية للتعامل مع قضايا المجتمع المثارة(١٠). فكانت الواقعية بالنسبة لهم، هي إحدى أدوات القتال في أعمالهم "الاجتماعية" للتعبير عن الإحباط الاجتماعي ومشاعر الظلم(١١).

لكن الواقعية منذ نهاية الخمسينات وفي بداية السبعينات لم تحتل تلك المكانة الرئيسة التي تمتعت بها في فترة الأربعينات والخمسينات، وأصبح أصحاب هذا التيار يعيشون على هامش الساحة الأدبية. وبدأت تطغى خلال هذه الفترة (من نهاية الخمسينات ومرورًا بالستينات وفي بداية السبعينات) مذاهب أدبية أخرى، وحدث تحول عرف باسم "ما بعد الواقعية"؛ ولهذا السبب أهمل النقاد أعمال هذه المجموعة من الأدباء واحتفوا واهتموا بمن واكب تطورات المذاهب الأدبية الحديثة والمعاصرة من الأدباء الإسرائيليين الإشكناز.

(٣) **قلة عدد كتاب هذه المجموعة نسبياً**: لم يتناسب عدد هؤلاء الأدباء مع عدد الذين يمثلونهم من الطوائف اليهودية السفارادية داخل المجتمع الإسرائيلي، وربما ذلك يرجع إلى:

(أ) تبني الدوائر الأدبية الرسمية في إسرائيل لسياسة "اقتله بالإهمال" مع أدباء هذه المجموعة.

(ب) تدني أوضاع هذه الطوائف في مختلف المجالات خاصة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الأمر الذي حال دون ظهور المواهب الأدبية.

(ج) حاول (كتاب هذه المجموعة) تكييف أنفسهم وفقًا لمطالب القصة الأوربية، التي تم خلقها في إطار ثقافي مختلف جدًا عن الإطار الذي يرغبون في وصفه وهكذا أصبح الصدام مع ثقافة أجنبية ورطة في عمليات الإبداع ذاتها(١٢).

٤) **ارتباط الأدب العبري بالثقافة الغربية** ارتبطت البنية الأساسية في الواقع الإسرائيلي ارتباطًا وثيقًا بحجم الدور الذي قام به يهود شرق أوروبا، حيث كانت بدايات الأدب العبري الحديث في القرن الثامن عشر. وحيث كانت بدايات الفكرة الصهيونية ثم الحركة الصهيونية والهجرات الصهيونية إلى فلسطين وبناء الاستيطان الصهيوني فيها بداية من عام ١٨٨٢م فصاعدًا. وهكذا فإن هذا العامل كان هو الحاسم في تشكيل الوعي الصهيوني، ثم الدعوة لخلق "الشخصية العبرية" على أرض فلسطين، وتشكيل الوعي والثقافة العبرية في إسرائيل منذ قيامها وحتى الآن. ولذلك فإنه عندما يؤرخ للأدب العبري الحديث والمعاصر، فإن هذا التاريخ إنما يعني أساسًا أولئك الأدباء ذوي الأصول الاشكنازية، الذين ترجع أصول معظمهم إلى يهود شرق أوروبا بالتحديد، دون أن يتضمن هذا التاريخ إلا فيما ندر، وفي فترة متأخرة جدًا، الإشارة إلى يهود من أصل شرقي أو عربي(١٣).

هكذا، يمكن وصف التجاهل وعدم الاكتراث بأدباء تلك المجموعة، الذي اتبعته ضدهم التيارات النقدية الأدبية، والمؤسسات والدوريات المختصة بنشر الأعمال الأدبية، بأنه وجه آخر من وجوه التمييز ضد اليهود السفاراديم في إسرائيل. ويرتكز بعضهم في موقفهم هذا على إدعاء أن هذه الطوائف لم تنجب أدباء لهم شأن، يمكن أن يعتد بهم في مجال الإبداع الأدبي، ويستند بعضهم الآخر في موقفه السلبي تجاه هذه المجموعة من الأدباء إلى كونهم قادمين من بلاد تكن العداء والكراهية للمجتمع الإسرائيلي.

(خامسًا) الأدباء الإسرائيليون من مهاجري يهود المغرب

عندما قارب العقد السابع من القرن العشرين على الانتهاء، حدثت طفرة ملحوظة في حجم مشاركة الأدباء الإسرائيليين السفاراديم من مهاجري البلاد العربية في حركة الإبداع الأدبي، وحظي عدد لا بأس به من بينهم باحترام وتقدير النقاد، والدوريات الأدبية ودور النشر، رغم أن هذا الاهتمام ظل ناقصًا في جوانب عديدة واقتصر على فئة صغيرة من هؤلاء الأدباء، بينما ظلت الأكثرية منهم تعاني من الإهمال والتجاهل. وخلال هذه الفترة بدأ أدباء إسرائيليون من مهاجري يهود المغرب في الظهور على ساحة الأدب العبري، أسهموا قدر استطاعتهم في مختلف مجالات الأدب العبري، وهي على النحو التالي:

(١) مجال التأليف المسرحي

لم يبرز من بين يهود المغرب على الساحة الأدبية الإسرائيلية في مجال التأليف المسرحي سوى بعض الأدباء المغمورين والمجهولين لدى القراء والنقاد على السواء، ومن أبرز هؤلاء الأدباء: "جفرينيل بن سمحون" و"دانيائيل لينزيني".

(أ) جفرينيل بن سمحون

ولد الكاتب المسرحي والسيناريست "جفرينيل بن سمحون" في سفرو [جنوب شرق مدينة فاس] عام ١٩٣٨م، وعندما بلغ التاسعة من عمره (عام ١٩٤٧م) هاجر مع أسرته إلى إسرائيل، على متن سفينة "يهودا هليفي"(١٤). وأقام "جفرينيل بن سمحون" مع عائلته لفترة طويلة في حي "وادي الصليب" بالقدس(١٥). وقضى فترة الخدمة العسكرية الإلزامية بوحدات المظليين(١٦). تخرج في الجامعة العبرية بالقدس ثم في جامعة "السوربون" في باريس، وهناك درس المسرح والسينما وحصل على درجة الدكتوراه من "السوربون" في موضوع: "التراجيديا اليونانية في السينما". ويعمل حاليًا أستاذًا في قسم المسرح وقسم السينما والتليفزيون بكلية الفنون جامعة تل أبيب(١٧).

تعد مسرحية "ملك مغربي" باكورة أعمال "جفرينيل بن سمحون" المسرحية، وقد فازت هذه المسرحية عام ١٩٧٨م بجائزة " ليفر" التي تمنح للمسرحيات اليهودية الكلاسيكية من قبل جامعة تل أبيب(١٨).

جاء العرض الأول لهذه المسرحية على خشبة المسرح القومي الإسرائيلي "هبيماه"، في تل ابيب، وكان ذلك في الرابع عشر من شهر أبريل عام ١٩٨٠م(١٩). هذا وقد رفضت المسارح الممولة من قبل الحكومة عرض هذه المسرحية لكن بعد مجهودات مضنية وتدخل شخصي لرئيس "دولة إسرائيل" تم العرض(٢٠)، ونشرت مسرحية "ملك مغربي" في العام ذاته، عام ١٩٨٠م، عن دار نشر"عادي" في تل أبيب.

تعد مسرحية "بوزميما" هي عمله المسرحي الثاني، وقد جاء العرض الأول لها على خشبة مسرح قصر ثقافة تل أبيب، في الثالث من أغسطس عام ١٩٨٣م، في إطار ملتقى "شوراشيم - جذور(٢١)" الفني، ثم عرضت بعد ذلك على خشبة مسرح "ليلغ"(٢٢). وصدرت في دورية" زهوت" عدد صيف ١٩٨٣م، وحصلت على جائزة "الياهو جولدنبرج" التي تمنح من قبل جامعة تل أبيب لإبداعات المسرحية (٢٣).

وصدرت للمؤلف ثلاث مسرحيات أخري هي: "الطريق إلى القدس رحلة سفينة المهــاجرين يهودا هليفي"، وهي مسرحية ومسلسل إصدار دار نشر "مريون"، في تل أبيـب عـام ١٩٨٨م؛ ومسرحية "١٩٤٨: مسرحية ذات ثلاثة فصول"، صدرت عام ١٩٩٤م؛ ومسرحية "الشيخ سيدي عمر".

ونظم "جفريئيل بن سمحون" ديوانًا شعريًا بعنوان "أيام الهدوء والرقص"، إصدار دار نشـر "محبروت لسفروت" في تل أبيب عام ١٩٦٥، ونال جائزة "أناه فرانك" التـي تمـنح للشـعراء الإسرائيليين الشبان(٢٤).

كما كتب العديد من المسلسلات، تتحدث معظمها عن يهـود المغـرب، ومـن أبـرز هـذه المسلسلات: " همشياح-المسيح" وتدور أحداثه حول موضوع المسيحانية في المغـرب، وفـاز بمنحة "صندوق تشجيع الأفلام الإسرائيلية المتميزة" عام ١٩٧٩م. وكذلك مسلسل "زخارف ملك مغربي" ويدور حول نفس الموضوع السابق، وفاز بجائزة "مجلس الثقافــة والفنــون لتشــجيع إنتاج الأفلام الإسرائيلية" عام ١٩٧٦م، ثم مسلسل "ما بعد الحرب"، ويدور حول حربي ١٩٦٧ و١٩٧٣م.

ومسلسل" وكأنما كنا نحلم" عام ١٩٩٤، ويحكي قصة ميلاد ووفاة المسيح اليهـودي فـي إحدى القرى المغربية "سفرو" خلال العقد الثالث والرابع من القرن العشرين، وعن حلم الخلاص وهجرة يهود شمال إفريقيا إلى إسرائيل(٢٥).

ومن أحدث إصداراته: "السائرون على المياه" إصـدار الكيبـوتس الموحـد عـام ١٩٩٧، و"تذهب ومعها الكمون وتعود ومعها الزعتر: قصص حب مغربية" إصدار الكيبوتس الموحد عام ٢٠٠٢، و"مرأة ذات ثلاثة نهود: صورة المرأة في سنيما فيليني" إصدار الكيبوتس الموحد عام ٢٠٠٤(٢٦).

(ب) دانيانيل لينزيني

كاتب ومخرج مسرحي ولد في المغرب وقضى هناك فترة الطفولة، وتلقى تعليمه في مدارس "أولفانا" بفرنسا. وبعد أن هاجر إلى إسرائيل عام ١٩٧٠م أقام في كيبوتس "أفيـك "(٢٧). ثـم اضطر إلى الرحيل عن إسرائيل نظرًا لصعوبة التأقلم واتجه إلى فرنسا حيث اسـتقر فيهـا(٢٨) لبعض الوقت، وحاليًا يقيم في مدينة رحوفوت.

تعد مسرحية "هواجس تظهر في الشرق" من أبرز أعماله الأدبية. هذا وقد نشرت له هـذه المسرحية في مجلة "عيتون ٧٧" عدد سبتمبر-أكتوبر عام ١٩٨٦م، وجاءت المسرحية علـى هيئة مشاهد متتابعة، نحو أحد عشر مشهدًا، وإن كان النص الذي نشر في مجلة "عيتـون ٧٧" حذف منه المشهدان الثالث والسادس.

وعرضت المسرحية ضمن أعمال "مهرجان عكا" للمسـرحيات العبريـة ١٩٨٦م. وتجـدر الإشارة هنا إلى أن مؤلف المسرحية قام أيضًا بإخراج المسرحية خلال فاعليات المهرجان(٢٩). ومن بين اثنتي عشرة مسرحية عرضت خلال أيام المهرجان والتي اختيرت من بين أكثر مـن اثنتين وسبعين مسرحية دخلت التصفيات لاختيار ما سيعرض منها، لم تعرض سوى مسـرحية واحدة فقط عن "الصراع الطائفي" في إسرائيل(٣٠)، هي مسرحية "هواجس تظهر في الشـرق"، وبعد انتهاء مهرجان عكا المسرحي انتقل عرض المسرحية إلى أحد مسارح تـل أبيـب(٣١). وفي١٩٩٠ عرضت له مسرحية "لا تطلق النار على القمر" ضمن مهرجان عكا المسرحي، وقد قام بإخراجها أيضًا(٣٢).

ومن آخر أعماله مسرحية "صغيري، ها هو العصفور"، التي افتتح بها مسرح "بيت ليسان" موسمه الفني لصيف ٢٠٠٥، وقد نالت هذه المسرحية جائزة هيئة التحكيم المخصصة لتشجيع الابداع الأدبي ضمن فاعليات مهرجان "رُفع الستار" المسرحي، الذي نظم في سـبتمبر ٢٠٠٥ على خشبة مسرح "تسفتا" في تل أبيب(٣٣)، وتدور حول أسرة يهودية مغربيـة هـاجرت إلـى فرنسا في الستينات.

(٢) مجال التأليف القصصي

من أبرز من ظهر في مجال القصة من الأدباء الإسرائيليين المغاربة: "موشيه بن هاروش"، و"يتسحاق كينان" و"شالوم خلفون". وهم من الأدباء المغمورين، ولعل أبرزهم هو "موشيه بـن هاروش" الذي لم يعرف كقصاص بقدر ما عرف كشاعر. وليس لهؤلاء الثلاثة إنتاج غزير فـي مجال القصة، ليس لعدم القدرة على الإبداع، بل كنتاج طبيعـي لسياسـة التجاهـل والإهمـال وإبعادهم القسري عن دائرة الضوء:

(أ)موشيه بن هاروش

ولد "موشيه بن هاروش" أو "مويز بن هاروش"، الشاعر والأديب والمتـرجم، فـي مدينـة تطوان بالمغرب عام ١٩٥٩م، ثم هاجر إلى إسرائيل عام ١٩٧٢م. درس في الجامعة العبريـة

الفيزياء والرياضيات، والأدب الإنجليزي وأدب أمريكا الجنوبية كما درس العلاج الطبيعي في الكلية الأوروبية للعلاج الطبيعي في فرنسا. وأسس وحرر (مع مجموعة من أصدقائه) الدورية الأدبية "مرئوت"(٣٤)، وبدأ في أعماله النثرية والشعرية منذ ثمانينات القرن العشرين.

ومن أبرز أعماله الشعرية: ديوان شعر بعنوان "مرثية المهاجر" عام (١٩٩٤م)، و"خُبز الحلم" (١٩٩٨)، "شعر نهاية العالم" (١٩٩٩)، و "وزن المِداد" (٢٠٠١)، و"واق الضربات" (نسخة إلكترونية فقط على شبكة الإنترنت)(٣٥)، وديوان "ناديتك باسمك"(٢٠٠٦).

كما نشر "موشيه بن هاروش" العديد من القصائد الشعرية في الدوريات الأدبية المتخصصة، مثل: موزنايم، ومرئوت، ومجلة ٧٧، وأبريون، وديموي، وحداريم(٣٦).

ومن أبرز أعماله النثرية: "الكتاب التالي" (١٩٩٧) الذي يتضمن "الأزمة السورية الأفريقية" وهي رواية قصيرة، و رواية "مفاتيح تطوان" (١٩٩٩)(٣٧)، و"الرجل الصغير الذي يأكل النوى" (٢٠٠٠) وهي عبارة عن ثلاث روايات قصيرة، ورواية "ليسانه" (٢٠٠٢) (٣٨)، و "شهر في باريس" (٢٠٠٢). ولم تحظ هذه الأعمال، سواء النثرية أو الشعرية، ألا باهتمام نقدي متواضع، الأمر الذي أثار حفيظة "بن هاروش"(٣٩).

وصدرت له في أواخر عام ٢٠٠٥ رواية "أبواب طنجة(٤٠)"، التي تشكل مع روايتي "مفاتيح تطوان" و "ليسانه" ثلاثية روائية بعنوان "ثلاثية تطوانية"(٤١).

ونشر "موشيه بن هاروش" أجزاء من رواية له بعنوان "رابوبورت بنياميني" في الدورية الأدبية"مرئوت" في العدد الرابع عام ١٩٨٣م (ص ص ٦٦-٧٩)، ثم في الدورية الأدبية" بروزاه" عدد ٧١ لعام ١٩٨٣م (ص ص ٦٦ -٦٧) (٤٢). كما نشر فصل بعنوان "برزيماه" من رواية أخرى له في مجلة "مرئوت" العدد الثاني ١٩٨٢م (ص ص ٤٣-٥٥)، وهو يعد الفصل الأول وربما الوحيد لهذه الرواية(٤٣).

وقد نشرت له العديد من القصص على صفحات الدوريات الأدبية المتخصصة، مثل، قصة "قرض" في مجلة "مرئوت" في عام ١٩٨٢م التي تصدرت إحدى مقالاته الافتتاحية، وقصة "الشخصية" في مجلة "موزنايم" في عام ١٩٨٣م. وقصة "اثنان متمسكان بالخلاص" في مجلة "مرئوت" في عام ١٩٨٥م، ثم قصة "حكاية الحرف ب الذي سقط" في مجلة " موداعوت" المجلد الرابع عدد ٢٩، في عام ١٩٨٨م (ص ص ٣٠٣- ٣١١). كما نشرت له أجزاء من روايته القصيرة "الأزمة السورية الأفريقية في مجلة "أبريون" عدد ٣٨، في عام ١٩٩٥م (ص

٣٠-٣٤) (٤٤). وأخيرًا قصة "كلنا بولنديون" التي نشرت على صفحات مجلة "موزنايم" في عام ١٩٩٦م.

وتتميز أعمال "بن هاروش" بأنها تحتقن بتعبيرات لاذعة تنطوي على شعور بالغضب والاحباط، خاصة تجاه الإشكناز الذين انتهجوا أساليب غير آدميه في استيعابه هو وأفراد أسرته وطائفته، وهو جرح لم يندمل بعد، ولا يزال ينزف في أشعاره وأعماله المختلفة، ويتفاقم هذا الوضع مع أشواقه الجارفة لماضيه المغربي(٤٥).

(ب) يتسحاق كينان

مدرس وأديب وشاعر ورئيس المجلس المحلي في بيت شان (١٩٧٤ - ١٩٨٥). عمل في رابطة "الفن للشعب"(٤٦) وهي رابطة تسعى لتقديم جميع ألوان الفن للشعب(مسرح، وموسيقى، ورقص وفن تشكيلي) وقد تقلد مؤخرًا منصب المدير العام لهذه الرابطة. ولد عام ١٩٤١م في مراكش بالمغرب، هاجر إلى إسرائيل عام ١٩٥٣م في إطار هجرة الشباب، واقام مع أفراد أسرته في إحدى معابر مدينة حيفا، ثم انتقل للإقامة في قرية نافيه هداساه التابعة لكيبوتس تل يتسحاق في منطقة هشارون في وسط إسرائيل، وبعدها انتقل إلى بيت شان. وبالنسبة لدراسته: فقد حصل على دورة تأهيلية للمدرسين في جامعة حيفا، كما حصل على دورة تدريبية للإدارة في مؤسسة "فان لير" بالقدس. وعمل في التدريس في بيت شان، ثم شغل منصب مدير مدرسة بيت شان خلال حرب الاستنزاف، وهو عضو في العديد من الهيئات: المجلس القطري للتخطيط والبناء، وصندوق ولفسون، وصندوق مشروع اليانصيب ومجلس الثقافة والفن(٤٧).

وللأديب العديد من الأبداعات الأدبية، منها: "إيجوز" (١٩٩٥) كتاب للشباب، "أفعى مراكش العجيبة" (١٩٩٥) وهو كتاب للأطفال، ورواية "طفل من الصحراء"، و"مظلي في مهمة خارجية"، والمجموعة القصصية "نظرة الحب الأولى"(٤٨).

ومن أبرز أعماله القصصية أيضًا: قصة "قبر على جبل الزيتون" وقصة "فتات في حقيبة" وقد حظيتا بالعديد من الجوائز الأدبية. كما نظم قصيدتين من الأغاني الشعبية الأولى بعنوان "واديّ" والأخرى "بحر السنابل"، وقد تغنت بهما فرقة "الجفعترون" في حيفا (٤٩).

هذا وقد صدرت قصته " قبر على جبل الزيتون" ضمن مجموعة قصصية بعنوان"ثلاث قصص" اشترك فيها "يتسحاق كينان" بقصته هذه مع مجموعة أخرى من الأدباء، وصدرت عام ١٩٦٩م عن وزارة التربية والثقافة(٥٠)، كما أعيد طبعها بعد ذلك عام ١٩٨٠م، ثم طبعة ثالثة عام ١٩٨٣م. وكانت ضمن مقررات الفرقتين الخامسة والسادسة في المدارس الإسرائيلية(٥١).

ووردت أيضًا هذه القصة ضمن بعض الكتب التي تقدم مختارات للأدباء الإسـرائيليين مـن ذوي الأصول اليهودية السفارادية(٥٢).

(ج) شالوم خلفون

من مواليد سفرو بالمغرب، هاجر إلى فلسطين قبل إقامة الدولة عبر قبرص. شـارك فـي حرب ١٩٤٨، درس الفلسفة والأدب والعلوم السياسية، وهو مؤلف ومربي، كما عمل حاخامًـا للطائفة، وقام بتدريس العبرية في جامعة فيكتوريا بكندا، وهو نائب رئيس هستدروت صهيوني كندا، وعضو اللجنة التنفيذية للاتحاد الصهيوني الكندي المغاربي المشترك. ولـه العديـد مـن الإصدارات من كتب ومقالات بالعبرية والفرنسية والإنجليزية(٥٣).

كتب بعض القصص التي تدور حول ذكرياته عن المغرب، مثل: قصة "الذميون" التي صدرت في مجلة"ماسا" عدد أيلول/ سبتمبر ١٩٥٤م، وتدور أحداث هذه القصة حول وصف لأنماط حياة بعض الباعة الجائلين اليهود الذين يتجولون بين قرى البربر في المغرب. وكذلك قصة "الشـيخ وجبل مدينة سفرو " التي صدرت في مجلة "أوروت" عدد آذار/مارس ١٩٥٤م، وتدور أحـداث هذه القصة في إطار أسطوري حول مجموعة من حاخامات اليهود بالمغرب رغبوا في استعجال الخلاص(٥٤). وفي عام ١٩٨٤م صدرت له قصـة بعنـوان "خـالتي" فـي الدوريـة الأدبيـة المتخصصة"شيفط فعام" في أكتوبر ١٩٨٤م.

(٣) مجال التأليف الروائي

لم يكن حظ الرواية أفضل من سابقتيها، فالأدباء الإسرائيليون من مهاجري يهود المغـرب الذين ظهروا في مجال التأليف الروائي يعدون على أصابع اليد الواحدة، ومن أبرزهم:

(أ)عوزينيل حازان

ولد في المغرب عـام ١٩٤٥م، هـاجر إلـى إسـرائيل فـي عـام ١٩٥٥م. نشـأ فـي كيبوتس"رشافيم" في "بيت شان" في إطار مجموعة من الأولاد المهاجرين. وفي سـن الرابعـة عشر ترك الكيبوتس وعاد إلى منزل أسرته في مدينة التطوير"كريات جت"، وعندما بلـغ سـن التجنيد التحق بسلاح البحرية الإسرائيلي. كما عمل في إطار الشباب المهمـش(٥٥) لسـنوات طويلة(٥٦).

درس في معهد لإعداد المرشدين الرئيسين في "بيت روتنبرج" بحيفا، وتخـرج فـي معهـد لإعداد مرشدي كتائب الشباب"جدناع "(٥٧)في كيبوتس "رخاسـيم". ودرس التـاريخ وفلسـفة

العلوم في جامعة بن جوريون بالنقب، وحصل على درجة الليسانس في القانون في الجامعة العبرية بالقدس، وهو صاحب مكتب للمحاماة. وكان فيما مضى، عضوًا في لجنة انتخابات الكنيست، وعضوًا في محكمة الاستئناف وعضوًا أيضًا في مجلس إدارة صندوق الترميم التابع لوزارة العمل والرفاه (٥٨).

صدرت له مجموعة قصصية بعنوان " نباح إلى قمر مطفأ" التي يصف فيها حياة اليهود بالمغرب(٥٩)، وتعد هذه المجموعة القصصية باكورة أعماله الأدبية(١٩٧٧م). ومن أبرز قصص هذه المجموعة التي تدور حول واقع حياة اليهود في المغرب: قصة "المنشد الضرير(٦٠) "، وقصة" دماء فوق الماء" وقصة " طفولة "(٦١).

ومن أعماله الأدبية الأخرى: "أرمند نوفيلا مغربية" (في عام ١٩٨١م)، و"إلى ثلوج الأطلس" (في عام ١٩٨٧م) وهي رواية للأطفال، و"خاتم فتاة بربرية"(١٩٩١م)، و"اختبار اللبن"(١٩٩٦م) و"قصة وتعويذة"(٦٢). وصدر له الفصل الأول من راوية بعنوان "عروق النعناع" في مجلة "أبريون " (العدد ٢، شتاء ٨٣-١٩٨٤م؛ وفي العدد ٤/٥ شتاء ١٩٨٥-١٩٨٦)، لكنه لم يستكمل نشر باقي فصولها.

ومن أعماله أيضًا "مثل قشرة ثمرة الجوز" وهي مسرحية من ثلاثة فصول (١٩٩٨)، و"ليس هذا نفس البيت" (٢٠٠٣) وهي سيرته الذاتيه، " تعالى إليَّ لإميلشيل" (٢٠٠٦).

حصل على العديد من الجوائز الأدبية كان آخرها جائزة ليفي أشكول(٦٣) للأبداع الأدبي في عام ١٩٩٨(٦٤).

(ب) ألبرت سويسا

ولد "سويسا" في الدار البيضاء بالمغرب، علم ١٩٥٩م، وهاجر إلى إسرائيل عام ١٩٦٣م وأقام في القدس(٦٥). وهناك قضى طفولته في البلوكات الخرسانية بأحياء "عير جانيم" على أطراف مدينة القدس، التي أصبحت فيما بعد خلفية لإحدى أعماله الأدبية(٦٦).

التحق ألبرت سويسا بإحدى المدارس التابعة لحبد، وعندما وصل للفرقة الثانية من التعليم الابتدائي سارع والده بنقله إلى مدرسة أخرى بالحي الإشكنازي "بيت فجان"؛ لأنه وجد أن "المجرمين هم الذين يتخرجون من هناك". وفي سنوات المرحلة الثانوية تنقل ألبرت من مدرسة لأخرى، وكان كثير الهروب من المدرسة محبًا للتجوال (٦٧). درس في العديد من المعاهد التلمودية العليا، ومن بينها "المعهد الديني العسكري(٦٨) " (٦٩).

وقد خدم "ألبرت سويسا" كجندي في سلاح المدرعات في هضبة الجولان، ونجح في اجتياز دورة لإعداد ضباط المدرعات. وأنهى خدمته العسكرية عشية حرب لبنان ١٩٨٢م(٧٠).

وإذا كان تعليمه الابتدائي وما بعده في مدارس(إشكنازية) أرثوذكسية وحسيدية، إلا أنه عندما بلغ الثالثة والعشرين من عمره، تخلى البرت سويسا عن التيار الأرثوذكسي(٧١) وسافر إلى باريس عام ١٩٨٢م، حيث درس هناك فن البانتوميم، ثم التحق بعد ذلك بإحدى الفرق المسرحية المتجولة، وخلال فترة تواجده في باريس درس المسرح(٧٢). وحاليًا يقيم "ألبرت سويسا" في مدينة القدس ويعمل في إحدى الصحف المحلية"كول هاعير"(٧٣).

ظل "ألبرت سويسا" مقيمًا في باريس نحو ثمان سنوات، وهناك بدأ في كتابة أول أعماله الأدبية وهي قصة " الذبيح" متأثرًا بأيام صباه في حي "عير جانيم" بالقدس(٧٤).

حول "ألبرت سويسا" عمله القصصي هذا إلى عمل روائي، صدر تحت عنوان القصة ذاتها " الذبيح". وتتكون هذه الرواية من ثلاثة أقسام، هي: قصة "الذبيح"، وتمثل القسم الأول من الرواية، وكتبت هذه القصة بالتحديد في عام ١٩٨٦، ونشرت في مجلة "عخشاف" في عام ١٩٨٧م. والقسم الثاني من الرواية بعنوان" يتم مبارك"، وقد كتبت في نهاية عام ١٩٨٧م، ونشرتها مجلة "سيمان كريئاه" في عدد ٢١، ديسمبر ١٩٩٠م (ص ص ٩٥-١٢٩)، والقسم الثالث والأخير من هذه الرواية يحمل عنوان "مجهود كاذب لذاكرة آخذة في التلاشي " كتب في عام ١٩٨٨م (٧٥). هذا وقد نشرت الرواية بأجزائها الثلاثة في عام ١٩٩١م، عن دار نشر "الكيبوتس الموحد"، ثم صدرت طبعة ثانية في نفس الشهر(يناير ١٩٩١م).

ومن الممكن قراءة رواية "سويسا" ذات الأقسام الثلاثة كل على حده. القسم الأول، عبارة عن قصة قصيرة، تقع في نحو عشرين صفحة، القسم الثاني عبارة عن نوفيلا، تقع في خمسين صفحة، وأخيرًا القسم الثالث، يمتد إلى مائة وتسعين صفحة، وكان من الممكن أن يكون رواية مستقلة بذاتها(٧٦).

تدور الرواية حول الصبية الثلاث (يوحاي بزوئيلو في القسم الأول، بيير سولطان في القسم الثاني وعيوش مونسنجور في القسم الثالث) في أحد أحياء الفقر على أطراف القدس، حي "عير جانيم" حيث يعيش مهاجرون يهود من المغرب منذ خمسينات القرن العشرين.

يصف "سويسا" في روايته حياة الطفولة التي تتميز بالعنف والوحشية، وتسيطر عليها الرغبة الدائمة في الهروب المزمن. حيث وجد الأطفال في الحياة الهمجية وسيلة للهرب، وذلك لأن الآباء، الذين كانوا ورعين، اصبحوا الآن ضعفاء سلبيين. هذا العجز حطم الأباء(٧٧).

شرع "ألبرت سويسا" في كتابه رواية أخرى، بدأها بكتابة الفصل الأول الذي جاء تحت عنوان "عند الجدة يقوط وفي الطريق إلي تل القواقع " وقام بنشره في مجلة "عخشاف" عدد ٥٨، في عام ١٩٩٢م (ص ص ١٨٠-١٩٣)، لكنه لم يستكملها بعد.

وقد كتب قصة قصيرة أخرى بعنوان "ذات يوم غطت القواقع الجبل"، التي نشرت في الملحق الأدبي لصحيفة معاريف-٨/١/١٩٩١م- (ص ص ٥٠-٥١).

(٤) مجال الإبداع الشعري

ظهرت مجموعة من الشعراء الإسرائيليين من مهاجري يهود المغرب، لكنها عانت هي أيضًا من التجاهل والإهمال وهو الأسلوب الرسمي الذي تنتهجه المؤسسات الأدبية المختلفة مع معظم الأدباء السفاراديم، ومن أبرز شعراء هذه المجموعة: "موشيه بن هاروش"، و"دودو أيل"، و"إيرز بيطون"، و"ميري بن سمحون"، و"سامي شالوم شطريت" و"دان إلبو".

(أ)دودو إيل

ولد في مكناس عام ١٩٤٠م، وهاجر إلى إسرائيل عام ١٩٤٨م. أخذ يصدر أعماله منذ السبعينات، نشرت له سبعة دواوين شعرية من أبرزها: "صاخب" صدر عام ١٩٧٧م، و"هدوء وهمي" عام ١٩٨٦م، و"قصة حب مقدسية" عام ١٩٩٣م و"أقصى الاحتمالات" عام ١٩٩٦م(٧٨).

(ب)إيرز بيطون

ولد الشاعر "إيرز بيطون" في مدينة وهران بالجزائر (١٩٤٢م) لأبوين يهوديين مغربيين، ثم هاجرت الأسرة إلى فلسطين في عام ١٩٤٨م(٧٩). قضى طفولته في مدينة اللد، وقد كف بصره في إثر انفجار قنبلة فيه عام ١٩٥٣م، تعلم في مدرسة المكفوفين. وحصل على درجة الليسانس في العمل الاجتماعي في الجامعة العبرية وعلى درجة الماجستير في علم النفس التأهيلي في جامعة بار إيلان. و يقوم بيطون منذ عام ١٩٨٢م بتحرير الدورية الأدبية "أبريون"(٨٠).

وهو يعد من الشعراء العبريين المعاصرين البارزين في إسرائيل، وقد فاز بجوائز أدبية عديدة منها جائزة رئيس الوزراء. وكان رئيسًا لرابطة الأدباء العبريين في إسرائيل(٨١). صدرت له أربع مجموعات شعرية، الأولى بعنوان "هدية مغربية" عام ١٩٧٦م، والمجموعة

الثانية بعنوان "كتاب النعناع" عام ١٩٧٩م والمجموعة الثالثة بعنوان "عصفور بين القارات" عام ١٩٩٠م(٨٢). والكتاب الرابع بعنوان "شعر جديد (شعر إيماني)" عام ١٩٩٦م(٨٣).

(ج)ميري بن سمحون

ولدت في عام ١٩٥٠، في إحدى المعسكرات الانتقالية بفرنسا، عندما كانت أسرتها في طريق الهجرة من فاس المغربية إلى إسرائيل. نشأت في حي "القطمون" في القدس، درست الأدب العبري في الجامعة العبرية. كانت تكتب في صحيفة "القدس"، ومنذ عام ١٩٨٥ أصبحت محررة لغوية ومترجمة في العديد من المؤسسات. بدأت تنشر أشعارها في الصحف وهي في سن الخامسة والعشرين، كما كتبت مقالات في موضوعات أدبية عديدة في مختلف الصحف المحلية، ولها أيضًا بعض القصص القصيرة. ولقيت "ميري" حتفها في إثر حادثة طريق في ٢٤ يونيو ١٩٩٦م. وصدرت لها ثلاثة دواوين، هي: "مهتمة غير مكترثة" ١٩٨٣م، "سنبلة رقيقة في أصيص خزفي قديم " عام ١٩٨٥م و"ظمأ" عام ١٩٩٠م. وصدر لها في عام ١٩٩٩م ديوان رابع بعد موتها بعنوان "وجودية مرتاعة"(٨٤).

(د)سامي شالوم شطريت

ولد، الأديب والشاعر والباحث، سامي شالوم شطريت في بلدة قصر السوق في منطقة تافيلالت المغربية عام ١٩٦٠م، هاجر مع أسرته إلى إسرائيل عام ١٩٦٣م حيث أقاموا في حي المهاجرين في أشدود. درس في الجامعة العبرية وحصل على درجة الليسانس في الأدب العبري، كما حصل على درجة الدكتوراه في العلوم السياسية من الجامعة ذاتها وتناولت رسالة الدكتوراه موضوع "التاريخ السياسي للشرقيين في إسرائيل"، ودرس في جامعة كولومبيا في نيويورك في كلية العلاقات الدولية. وأصبح من التسعينات عضوًا نشطًا في الحركات الاجتماعية الشرقية، مثل: كيدما، والفهود الديموقراطي الشرقي. ويعمل حاليًا باحث ومحاضر زائر في مركز دراسات الأديان بجامعة كاليفورنيا بلوس أنجيلوس، ومحاضر زائر في قسم الفنون السينمائية والتليفزيونية بمعهد سَبِّير في النقب. ترجمت أشعاره للإنجليزية والعربية ونشرت في العديد من كتب الأنثولوجيا الأدبية [المختصة بنشر مختارات شعرية أو نثرية]. وهو مهتم بالكتابة الصحفية في موضوعات اجتماعية، وثقافية وتربوية في العديد من الصحف، منها: "حداشوت"، و"هاآرتس" و"هاعير". وصدرت له ثلاثة دواوين، هي: "إفتتاحية" صدر عام ١٩٨٨م، " إزهار جميل هناك"عام ١٩٩٦م و"ركن معتم " عام ١٩٩٩م. وكتاب "وفاة الثورة

الإشكنازية: تأملات بشأن إسرائيل من زاوية معتمة، مجموعة مقالات، ١٩٩٢- ١٩٩٩" صدر عام ١٩٩٩، و"قصائد أشدودية: عاجلاً وآجلاً، ١٩٨٢- ٢٠٠٢" صدرت في عام ٢٠٠٣، و"النضال الشرقي في إسرائيل: بين القمع والتحرر، بين التماثل والبديل ١٩٤٨- ٢٠٠٣" صدر في عام ٢٠٠٤، وترجمه إلى العربية سعيد عياش وقدم له انطوان شلحت، ورواية "عين الدمية" عام ٢٠٠٧(٨٥).

(هـ)دان إلبو

ولد في عام ١٩٥٦م، هاجر والديه من المغرب إلى إسرائيل وهو في سن التاسعة من عمره. درس الفلسفة والفن في السوربون، وتخرج في الجامعة العبرية في العلوم السياسية. حرر الدورية الشعرية "شيلم" عام ١٩٨٨م. ينشر أعماله، التي تتنوع بين الشعر والقصة والرواية والمقال، بصورة مستمرة في الدوريات الأدبية المتخصصة، كما نشرت أشعاره في كتب الأنتولوجيا العبرية، ومن أبرز دواوينه الشعرية: "ملاحظات محدودة حول الهدوء" في عام ١٩٩١م، "عودة إشل رود إلى الرمزية" عام ١٩٩٨م و"ملابس حبكوكو الداخلية " عام ١٩٩٨م، و"قصائد" عام ٢٠٠٠، و"ثمانية عشر" عام ٢٠٠٥(٨٦).

(سادساً) أسباب التفوق الأدبي ليهود العراق في إسرائيل

يلاحظ من هذا العرض لحجم إسهامات الأدباء الإسرائيليين من مهاجري يهود المغرب أن ثقلهم العددي داخل المجتمع الإسرائيلي لا يتناسب مطلقًا مع هذه الإسهامات. كما أن هؤلاء الأدباء لم يحظوا بأي نوع من الشهرة والدعاية وليس هناك دليل على ذلك أقوى مما أعلنه "دان ميرون"، من أبرز ناقد الأدب العبري في إسرائيل حاليًا وأستاذ الأدب العبري في الجامعة العبرية وجامعة كولومبيا بنيويورك، بقوله: " إنه ليست لديه أية معلومات عن هؤلاء الأدباء الإسرائيليين من مهاجري يهود المغرب وأنه يعاني من جهل تام في هذه النواحي"(٨٧).

ويتضاءل هذا الدور الأدبي إذا ما قورن بحجم إسهامات الأدباء الإسرائيليين من مهاجري يهود العراق، الذين أثبتوا حضورًا ملحوظًا وتفوقًا واضحًا في مجال الإبداع الأدبي، ومن أبرز أسباب هذه الظاهرة ما يلي:

(١)مكان الإقامة:

(أ) تركز يهود العراق إبان إقامتهم في العراق في مواقع حضرية محددة، بينما انتشر يهود المغرب في أماكن عديدة، وكانت بغداد عاصمة قديمة جدًا، بينما كانت الدار البيضاء مركزًا

تجاريًا للاستعمار الفرنسي(٨٨). وقد ضمت بغداد القسم الأكبر منهم حيث وصلت نسبتهم قبل الهجرة عام ١٩٤٩م نحو ٢٥% من عدد سكانها، ثم تأتي البصرة والموصل وكركوك بعد ذلك(٨٩).

بينما توزع اليهود بالمغرب في أماكن كثيرة متفرقة أقام معظمهم في المدن ذات النشاط التجاري مثل الرباط، والدار البيضاء، وطنجة، وأغادير، والصويرة، ومراكش، وفاس، وتطوان، ومكناس ووجدة. لكن هذا التواجد في المدن لم يأت إلا في فترات متأخرة جدًا، وكانت أماكن إقامتهم الأصلية تقع في المناطق النائية المعزولة بجبال الأطلس.

(ب) شكلت أماكن إقامة يهود العراق في إسرائيل، في المنطقة الحضرية في مركز البلاد، فارقًا كبيرًا. إذ إنهم بإقامتهم في تل أبيب(القدس وحيفا) وحولها، كانوا على مقربة من مصادر البلاد الرئيسة، الاقتصادية منها والاجتماعية والسياسية والمهنية والتعليمية وغيرها، واكتسبوا القدرة مع الوقت على الوصول إلى الفرص الوفيرة الموجودة هناك، والاستفادة منها(٩٠).

بينما أقام يهود المغرب في مدن التطوير(٩١) المنتشرة في أطراف إسرائيل بعيدًا عن مركز البلاد. مثل، أوفاقيم، ونتيفوت، وسدروت، وبيت شمش، وديمونه، ويروحام، وكريات شمونه، وشلومي، وحتسور، ومجدال هعيمق، معلوت وملاخي وغيرها من بلدات التطوير.

ويتضح على ضوء ما سبق، أن أماكن الإقامة كان لها تأثير قوي على وسائل الحراك الاجتماعي لكل طائفة من الطائفتين العراقية والمغربية داخل إسرائيل. وقد جاءت أماكن الإقامة في صالح يهود العراق سواء في إسرائيل أو قبل ذلك في العراق، حيث مكنتهم من سهولة التكيف الاجتماعي الهادئ وهضم مكونات المجتمع الجديد ومن ثم المشاركة الفعالة في مختلف الألوان الثقافية لهذا المجتمع.

(٢)الحياة الثقافية في بلد المنشأ:

(أ) كانت العراق عامة وبغداد خاصة(أحد أكبر مراكز تجمع يهود العراق) تتمتع بمكانة بارزة في تاريخ الحضارة الإنسانية وبتراث ثقافي متعدد الألوان وبإسهامات واضحة في إثراء الحركات الفكرية والإبداعية بالآلاف من المؤلفات والدراسات. وبمعني آخر، كانت العراق ولفترة قريبة مركزًا رئيسًا للنشاط الثقافي العربي والإسلامي. وهو الأمر الذي تفتقده المغرب. بحكم موقعها الجغرافي وتضاريسها الجبلية وانخفاض مستوى المعيشة إلى حد ما. وقد حال كل ذلك دون وجود حركة ثقافية ثرية كما هو الحال في العراق.

(ب) خضعت العراق لسلطة الانتداب البريطاني (١٩١٧-١٩٣٢م) بينما خضعت المغرب للحماية الفرنسية (١٩١٢-١٩٦٦م). وقد اتبعت كل من بريطانيا وفرنسا نهجًا وأسلوبًا خاصًا يختلف عن بعضهما البعض، فبينما اكتفت بريطانيا بفرض سيطرتها الإدارية والعسكرية على العراق، نجد أن فرنسا حرصت على فرض أنظمتها السياسية والاجتماعية والثقافية على المغرب؛ لذلك كان في المغرب ارتباط وثيق بين الصفوة اليهودية المثقفة وبين الثقافة الفرنسية. والدليل على طغيان الثقافة الفرنسية على المجتمع المغربي، أنه من بين ٣٩ صحيفة كانت تصدر في المغرب (١٨٩١-١٩٦٤م) كانت تصدر نحو ٢١ صحيفة بالفرنسية(٩٢)؛ ولذلك رحلت معظم الصفوة (الاقتصادية والثقافية) اليهودية لفرنسا عند حصول المغرب على استقلالها.

(ج) شارك يهود العراق في النشاط الأدبي والثقافي في العراق قبل هجرتهم، وكانت لهم خبرة واسعة وتجارب ثرية في هذا الصدد. فنجد مثلاً "شمعون بلاص" قد بدأ في الكتابة أثناء إقامته في العراق. وشارك "شالوم درويش"(٩٣) في تحرير الدورية الأدبية "الحصاد" في العراق(٩٤). كما بدأ هناك تسيم رجوان"(٩٥) في الكتابة لصحيفة "العراق تايمز". وخلال هذه الفترة قام بإدارة حانوت الكتب "الرابطة"، التي كانت مقرًا للالتقاء وقبلة للأدباء والمثقفين الصفوة في العراق(٩٦). وهناك الكثير من الأدباء والمثقفين اليهود الذين كان لهم حضور واضح في الحياة الثقافية بالعراق.

(د) كانت درجة التحصيل العلمي والمهني الحديث أعلى بكثير بين يهود العراق(٩٧).

(هـ) شكلت طائفة يهود العراق في إسرائيل رابطة أدبية لأدبائها تقوم بنشر أعمالهم الأدبية: عربية وعبرية(٩٨).

(٣) الهجرة والاستيعاب:

(أ) كان لتوقيت الوصول إلى إسرائيل تأثير حاسم علي المهاجرين، خاصة في الخمسينات، إذ إن فرقًا في مدة زمنية لا تتجاوز بضعة أشهر، غالبًا ما كان يقرر المنطقة التي سيقيم فيها المهاجرون، ونوع السكن الذي يتوفر للقادمين الجدد، وكان لكل هذا بدوره تأثير هائل على "فرص حراكهم الاجتماعي" وكذلك فرص استيعابهم الاجتماعي والاقتصادي اللاحقة(٩٩).

وقد تركزت هجرة يهود العراق "الترانسفير- الترحيل" خلال عامي ١٩٥٠-١٩٥١م، بينما امتدت هجرة يهود المغرب لسنوات طويلة بلغت ذروتها خلال الفترة الممتدة من ١٩٥٢-١٩٦٤م. وقد تم إرسال مهاجري أوائل الخمسينيات للإقامة في مساكن مؤقتة في التجمعات

السكنية بوسط البلاد، بينما الذين جاءوا في أواخر الخمسينات تم توجيههم للسكن في بلدات التطوير والمناطق الحدودية.

وتعود هذه الفروق أساسًا إلي سياسات الحكومة والوكالة اليهودية الخاصة بالتوطين في أوائل الخمسينات، حيث أرسلت أعدادًا كبيرة من المهاجرين الذين وصلوا آنذاك للإقامة في مخيمات، ومن ثم نقلوا فيما بعد إلي أماكن إقامة مؤقتة (المعابر)، أقيمت بالقرب من المراكز السكانية الرئيسة، بينما جرى إرسال المهاجرين في أواخر ذلك العقد مباشرة إلي بلدات وقرى جديدة، جرى بناؤها أو كان يجرى في شمال البلاد وجنوبها. وقد تصادف تطبيق السياسة الثانية مع هجرة واسعة النطاق قام بها يهود المغرب(١٠٠).

(ب) كانت هجرة يهود العراق إلى إسرائيل هجرة جماعية لكل أفراد طبقات المجتمع اليهودي العراقي، بينما كانت هجرة يهود المغرب هجرة انتقائية اعتمدت على الشباب والقادرين على العمل واستبعدت الشيوخ والمرضى وكل من لا يتمكن من القيام بالأعمال الجسدية الشاقة، وقد أدى هذا إلى تفتيت الأسرة اليهودية المغربية وإلى تأخير اندماجهم مع المجتمع الجديد.

ويلخص الأديب "سامي ميخائيل" أهم الأسباب التي دفعت يهود العراق للإسهام الملحوظ في حركات الإبداع الأدبي في إسرائيل، وكذلك الأسباب التي عطلت يهود المغرب عن لعب مثل هذا الدور، بقوله:" هاجرت الطائفة اليهودية العراقية كلها وفي فترة زمنية واحدة ومعها صفوتها وبذلك عاشوا معًا الآمال والأحلام. وبعد فترة من الزمن تُقارب ٢٠ عامًا بدأ الأدباء الإسرائيليون من أصل عراقي يظهرون على الساحة الأدبية؛ نتيجة استيعابهم للغة العبرية وهضمهم للتجربة، وأصبح لهم ثقل واضح داخل المجتمع. وبداية من عام ١٩٧٠م بدأ الصوت اليهودي الشرقي في الظهور على ساحة الأدب العبري. وعلى الجانب الآخر، كانت الطائفة اليهودية المغربية خلال هذه الفترة بدون نخبة ثقافية؛ فقد هاجرت صفوتها إلى فرنسا وكندا، وواصل هناك أدباؤهم ومثقفوهم الكتابة باللغة الفرنسية التي يجيدونها"(١٠١).

(٤)التوجهات السياسية السائدة في إسرائيل:

كانت الصفوة المثقفة من بين يهود العراق تميل للفكر اليساري وانتمى الكثير منهم للعديد من الحركات اليسارية والشيوعية مثل "شمعون بلاص" و"سامي ميخائيل". وتواصلت توجهاتهم السياسية هذه حتى بعد الهجرة لإسرائيل، التي كان يسيطر فيها حزب العمل على مقاليد الأمور حتى عام ١٩٧٧م، بينما غلب الطابع الديني على معظم أفراد الطائفة اليهودية المغربية.

وكانت المؤسسة الأدبية العبرية تحت سيطرة اليسار الصهيوني من الأربعينات وحتى بداية الثمانينات، وذلك لأن الصهيونية الاشتراكية كانت هي العنصر المؤثر والفعال في بناء الاستيطان الصهيوني وتشكيل مؤسساته. وقد كانت العلاقة الإيجابية مع الاتحاد السوفيتي هي التي وحدت في عام ٤٨ الحزبين اليساريين "الحارس الفتي" و" اتحاد العمل" في حزب "العمال الموحد "(المبام) وهو الحزب الذي سيطر على عدة مؤسسات أدبية (مثل: سفريات هبوعليم والكيبوتس الموحد، ومجلات مثل"مسًا" و"أورلوجين") وقد كانت قوة اليسار الصهيوني في هذا المجال الثقافي تفوق قوته في المجال السياسي(١٠٢).

وأمام هذا التواجد الواضح لليهود العراقيين في الحياة الثقافية الإسرائيلية، نجد تواجدًا مقابلاً له ولكن على الساحة السياسية ليهود المغرب. وقد استطاعت العديد من الشخصيات الإسرائيلية المنتمية لمهاجري يهود المغرب في إقامة الكثير من التنظيمات السياسية الأثنية المغربية مثل حزب" تامي"(١٩٨١م)، وحزب"شاس"(١٩٨٤م)، وأصبح للمغاربة خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين ظهور واضح على المسرح السياسي الإسرائيلي، واستخدموا هذا النهج كوسيلة للحراك الاجتماعي، وأصبحت لهم قوة سياسية مؤثرة على المؤشرات الانتخابية وترجيح كفة الحزب الذي سيتولى الحكم في إسرائيل.

وقد أظهرت إحدى الدراسات أن ١٦،٢% من المغاربة يفضلون قيام التنظيم السياسي على أسس ترتبط بالأصول الجماعية مقارنة بـ٣،٣% فقط من العراقيين، واستنتجت الدراسة أيضًا أن العراقيين بشكل عام، كانوا أكثر توجهًا نحو نموذج معدل لبوتقة الانصهار بينما احتفظ المغاربة بدرجة أعلى من الانغلاق الأثنى(١٠٣).

وربما تكون من أسباب ذلك تواجد العراقيين في مواقع قريبة من مركز البلاد مما مكنهم من استخدام مهاراتهم (التجارة والمهن)، لاستغلال المصادر الغنية نسبيًا القريبة منهم، لأنهم لو ركزوا على الرموز الأثنية، لأدى الأمر إلى نتائج عكسية في تلك الظروف، وبالإضافة لذلك، أدركوا بحدسهم أيضًا، أن العلاقة المهمة في "اللعبة الإسرائيلية" هي الطبقة الاجتماعية وليس الانتماء الأثنى. أما المغاربة فقد تواجدوا بالأساس في الأقاليم النائية، حيث المصادر القليلة التي تخضع للبيروقراطية، واكتشفوا أنه يمكنهم الحصول على امتيازات سياسية بسبب كونهم أغلبية سكانية، وبالتالي، فقد كان انتظامهم تحت رايات أثنية مفيدًا لهم في تلك الظروف، وقد استخدموا الطريق السياسي وسيلة لإنتاج مصادر القوة والانتقال بالتالي إلى موقع المسرح(١٠٤).

هذا بالإضافة إلى كون الطائفة اليهودية المغربية الطائفة الأكبر من حيث العدد من بين الطوائف اليهودية السفارادية، هذا الثقل العددي أكسبها قوة ملحوظة على الساحة السياسية، وربما قد يتيح لها هذا الثقل السياسي الفرصة لإحراز تقدم آخر على ساحة الأدب العبري المعاصر في المستقبل القريب.

الهوامش:

(1) شمعون بلاص ولد في بغداد عام ١٩٣٠م. هاجر إلى إسرائيل عام ١٩٥١م، استقر هو وعائلته في "المعابر" لمدة عام، وكان لهذه الفترة تأثير كبير في حياته الأدبية. عمل بعد هجرته لإسرائيل في الكتابة الصحفية والترجمة. تخرج في جامعة تل أبيب ١٩٦٨م، وفي عام ١٩٧٤م حصل على درجة الدكتوراه في جامعة السوربون، وعمل أستاذًا للأدب العربي في جامعة حيفا. (تحرير شهاب الكروي، إشكالية الاندماج الطائفي في بعض الأعمال الروائية العبرية للأدباء اليهود العراقيين:٤٨-١٩٩٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم اللغة العبرية وآدابها كلية الآداب جامعة عين شمس، ١٩٩٢م، ص١٩٢). ومن أبرز أعماله: "المعبرة" ١٩٦٤، "حجرة مغلقة" ١٩٨٠، "شتاء أخير" ١٩٨٤، "الوريث" ١٩٨٧، "سولو" ١٩٩٨، ثلاثية "تل أبيب شرق" ٢٠٠٣

(٢) لم يتم إدراج الأديب السفارادي "أ. ب يهوشواع" ضمن هذه المجموعة رغم سبقه لهم؛ لأنه تجاهل في أعماله الأولى قضايا السفارديم، ولم يعلن صرحة أصوله السفاراديه. لكن في نهاية سبعينات القرن العشرين بدأ يدخل إلى عالم السفارديم مع ظهور رواية "العاشق" (١٩٧٧)، ومن أعماله الأخرى ذات الحضور السفارادي "مولخو" ١٩٨٧، "ما ماي" ١٩٩٠، "رحلة إلى نهاية الألفية" ١٩٩٧

(٣)أمنون شموش:أديب وشاعر، ولد في حلب ١٩٢٩م، هاجر إلى إسرائيل عام ١٩٣٨م وبعد أن أنهى دراسته. في مدرسة "جيمنسيا هرتسيليا"بتل أبيب، التحق بالبلماح "سرايا الصاعقة" وهو من مؤسسي كيبوتس "معيان باروخ" تخرج في الجامعة العبرية بالقدس، وبدأ نشاطه الأدبي وهو في سن الأربعين، ومنذ ذلك الحين نشر العديد من القصص، والروايات، والأشعار، والمقالات والدراسات وترجمت كتبه للعديد من اللغات، وحصل على العديد من الجوائز الأدبية (انظر سامي شالوم شطريت "محرر"، مئة عام ومئة مبدع: الانتاج الأدبي العبري في الشرق خلال القرن العشرين، الفن القصصي، المجلد الأول، إصدار بيمت قيديم لسفروت، تل أبيب، ١٩٩٨، ص ٢٣٣، [بالعبرية]). ومن أبرز أعماله "صقيع وأجراس" ١٩٦٦، "شقيقي العروس" ١٩٧٤، "ميشيل عزرا سفرا وأبناؤه" ١٩٧٨، "ديوان سفارادي" ١٩٨١، "جبل المقهورين" ١٩٩١، "طريق بلاد الحرير" ٢٠٠٠.

(٤)سامي ميخائيل:ولد في بغداد ١٩٢٦م، هاجر إلى فلسطين عام ١٩٤٩م، وقد استقر في حيفا حيث أصبح أحد أعضاء رئاسة تحرير مجلة "الاتحاد" الناطقة بلسان الحزب الشيوعي الإسرائيلي، ثم ترك الجريدة والحزب عام ١٩٥٥م. وحصل "ميخائيل" على الشهادة الجامعية في الأدب العربي من جامعة حيفا. (تحرير شهاب الكروي،مرجع سابق، ص١٩٥) ترجمت مؤلفاته للعديد من اللغات وحصل على العديد من الجوائز الأدبية، منها جائزة بلدية حولون، وجائزة بلدية بيتح تكفا ووسام الاتحاد الدولي للأدب والشباب وحصل على الدكتوراه الفخرية في الفلسفة من الجامعة العبرية عام ١٩٩٥م. (انظر:سامي شالوم شطريت، مئة عام ومئة مبدع، الفن القصصي، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ١٤٥). ويتولى منذ ٢٠٠١ منصب رئيس جمعية أكري

"جمعية حقوق المواطن في إسرائيل" ومن أبرز أعماله "متساوون ومتساوون أكثر" ١٩٧٤، "حماية" ١٩٧٧، "بوق في الوادي" ١٩٨٧، "حب بين النخيل" ١٩٩٠، "فيكتوريا" ١٩٩٣، "الجناح الثالث" ٢٠٠٠، "حمائم في الطرف الأغر" ٢٠٠٥

(٥)رشاد عبد الله الشامي، "الاتجاهات الرئيسة للأدب العبري المعاصر في إسرائيل"، عالم الفكر، المجلد الرابع والعشرون –العدد الثالث، يناير/ مارس ١٩٩٦م، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، (ص٣١).

(٦)رشاد عبد الله الشامي، لمحات من الأدب العبري الحديث: مع نماذج مترجمة، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٨م، (ص٤٠).

(٧)رشاد عبد الله الشامي، " مقدمة "، في:سامي ميخائيل، رواية فكتوريا، ترجمة: سمير نقاش، تقديم ومراجعة رشاد عبد الله الشامي، مركز الدراسات والترجمة لحوض المتوسط، القاهرة، يونيو ١٩٩٥م، (ص١٥).

(٨)لمزيد من التفاصيل انظر: رشاد عبد الله الشامي، عجز النصر، الأدب الإسرائيلي وحرب ١٩٦٧م، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠م، (ص٢٨)

(٩)جرشون شاكيد، الفن القصصي العبري ١٨٨٠– ١٩٨٠، المجلد الأول، الكيبوتس الموحد،كيتير، تل أبيب، ١٩٩٣، (ص ١٦٧)، [بالعبرية].

(١٠) المرجع نفسه.

(١١)المرجع نفسه، (ص ١٦٨).

(١٢)رشاد عبد الله الشامي، لمحات من الأدب العبري الحديث، مرجع سابق، (ص٤٠).

(١٣)رشاد عبد الله الشامي، " مقدمة "، مرجع سابق، (ص١٤).

(١٤) جفريئيل بن سمحون، ملك مغربي. دراما قبالية في ثلاث فصول، إصدار عادي، تل أبيب، ١٩٨٠، (الغلاف الخارجي)، [بالعبرية].

(١٥)فيريد هارئيل، " المسرح في إسرائيل كاقتصاد خاص. دكتور جفريئيل بن سمحون في حوار مع دكتور فيريد هارئيل"، مجلة أبريون، عدد ٣، شتاء ١٩٨٤/١٩٨٥، (ص ٢٦)، [بالعبرية].

(١٦)جدع جلادي، إسرائيل نحو الانفجار الداخلي:التقاطب بين المستوطنين الأوروبيين وأبناء دار الإسلام، دار البيادر للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨م، (ص ٢٤٨).

(١٧)جفريئيل بن سمحون، ملك مغربي، مرجع سابق، (ص الغلاف الخارجي).

(١٨)المرجع نفسه.

(١٩)المرجع نفسه، (ص ٧).

(٢٠)ناحوم مناحيم، اضطرابات وتمييز طائفي في إسرائيل، إصدار روبين، رمات جان، ١٩٨٣، (ص ١٣٣)، [بالعبرية]

(٢١)ملتقى شوراشيم: ملتقى فني سنوي تنظمه المنظمة العالمية لمهاجري شمال إفريقيا ياشراف الهستدرو، بمبادره من "شاؤول بن سمحون"، عضو اللجنة المركزية للهستدروت، عام ١٩٨٤م، في محاولة "للاحياء الثقافي" والأكاديمي بالعودة للجذور. (شمعون شاحال، "القديم والجديد في الموسيقى"، مجلة أبريون، العدد١٢، شتاء ١٩٨٨- ١٩٨٩، ص ٥٣، [بالعبرية])

(٢٢) جفريئيل بن سمحون، بوزميما، مجلة زهوت، العدد٣، صيف ١٩٨٣، (ص ٢٤٧)، [بالعبرية].

(٢٣)المرجع نفسه.

(٢٤)جفريئيل بن سمحون، ملك مغربي، (ص. الغلاف الخارجي).

(٢٥)جفريئيل بن سمحون، وكأنما كنا نحلم، مسلسل، إصدار ميرون، تل أبيب، ١٩٩٤، (ص الغلاف الخارجي)، [بالعبرية].

(٢٦) سيرة الأديب جفريئيل بن سمحون [بالعبرية]:

http://library.osu.edu/sites/users/galron.1/00883.php

(٢٧) شمعون ليفي، "قبل رفع الستار"، مجلة ٧٧، عدد ٨٠- ٨١، سبتمبر- أكتوبر، ١٩٨٦، (ص ٢٤)، [بالعبرية].

(٢٨) محمد محمود أبو غدير، "الأدب العبري والصراع الطائفي في إسرائيل"، مجلة الزهراء، حولية محكمة تصدر عن كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، جامعة الأزهر، العدد السادس، شعبان ١٤٠٨هـ-مارس ١٩٨٨م، (ص١٠٠).

(٢٩) دانيائيل ليتريني، "هواجس تظهر في الشرق- يوميات مخرج مسرحي"، مجلة بامـاه، عدد ١٠٥- ١٠٦، ١٩٨٧، (ص ص ١١٦- ١١٧)، [بالعبرية].

(٣٠)محمد محمود أبو غدير، مرجع سابق، (ص ٩٩).

(٣١)دانيائيل ليتريني، هواجس تظهر في الشرق- يوميات مخرج مسرحي، مرجع سابق، (ص ١٢١).

(٣٢)انظر: **http://www.rimonschool.co.il/rimon/teachers.asp?sid=50**

(٣٣)انظر: **http://www.art-text.com/articles-98.htm**؛ انظر أيضًا:

http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-3143757,00.html#n

(٣٤)سامي شالوم شطريت "محرر"، مئة عام ومئة مبدع: الانتاج الأدبي العبري في الشرق خلال القرن العشرين، الشعر، إصدار بيمت قيديم لسفروت، تل أبيب، ١٩٩٩، ص ٢٥٧)، [بالعبرية].

(٣٥) إيلي أشيد، المهاجر الخالد: حول الأديب موشيه بن هاروش، ١٨/١٠/٢٠٠٣، موقع كيدما "بوابة الشرق إلى إسرائيل": **http://www.kedma.co.il/index.php?id=928&t=archive**

(٣٦)إلحنان إيلدر وآخرون، كشاف الدوريات العبرية، الجزء الأول، جامعة حيفا، (١٩٨١، ١٩٨٦- ١٩٨٨، ١٩٩٤- ١٩٩٦)، [بالعبرية].

(٣٧)وتدور أحداث رواية "مفاتيح تطوان"، الصادرة عن دار نشر "بيمت قيديم لسفروت" في ديسمبر عام ١٩٩٩م، حول أسرة يهودية مغربية تفرق أفرادها في مختلف أنحاء العالم- أسبانيا، وفنزويلا، وفرنسا. وإسرائيل وغابات الأمازون، ورغم هذا يشدهم سحر مدينة تطوان المغربية التي هاجروا منها منذ القرن ١٩ الميلادي، حيث تمنحهم هذه المدينة مفاتيح الكشف عن هويتهم.

(٣٨) تدور أحداث رواية "ليسانه"، وهي إحدى المدن الأندلسية التي دمرت في القرن ١٢ الميلادي، حول ليسانه وهو رجل معمر يبلغ عمره ألف عام يحكي سيرة حياته لشاب في العشرين من عمره، هاجرت أسرته من مدينة تطوان بالمغرب إلى إسرائيل ومنها إلى أسبانيا، مُركزًا على ما حدث لليهود أثناء محاكم التفتيش بعد زوال الحكم الإسلامي في الأندلس، ويهدف "بن هاروش" من وراء ذالك إلى التأكيد على أن الثقافة اليهودية السفارادية، التي لم تنجح محاكم التفتيش في القضاء عليها أو حتى الحكم الإسلامي طوال خمسة قرون أو الشتات طوال مئات السنين، استطاع الإشكناز دفنها في إسرائيل في أقل من مائة عام.

(٣٩) إيلي أشيد، مرجع سابق.

(٤٠)تدور أحداث رواية "أبواب طنجة" حول عائلة بن زمرا، التي توفي عائلها وترك لأبنائه وصية يخبرهم فيها بضرورة البحث عن شقيقهم من الخادمة المسلمة، التي كانت تعمل في منزل العائلة منذ ٣٠ عامًا في المغرب، وطالبهم بإشراكه في الميراث؛ فسافر ثلاثة من أبناء العائلة للبحث عن الشقيق المفقود.

(٤١) انظر: http://www.wallabuy.co.il/sap.aspx?xi=124364

(٤٢)إلحنان إيلدر، مرجع سابق، (ص ١٩٨٣، ١٩٨٧).

(٤٣) المرجع نفسه، (١٩٨٧).

(٤٤)إلحنان إيلدر، مرجع سابق، (ص ١٩٨٧، ١٩٨٨، ١٩٩٥).

(٤٥) إيلي أشيد، مرجع سابق.

(٤٦)الفن للشعب: أنشأ "هستد روت"عام ١٩٥٢م مسرحًا أطلق عليه "مسرح معسكرات الانتقال". كان هذا المسرح يهدف إلى مساعدة المهاجرين الجدد القادمين من دول الشرق الأوسط والأدنى في الاندماج والتكيف مع المجتمع الإسرائيلي من خلال العروض المسرحية التي تعرفهم باللغة العبرية. ثم أعيدت تسمية هذا المسرح عام ١٩٦٢م لتصبح "الفن للشعب".(انظر: محمد أحمد صالح، "المسرحية العبرية الحديثة تطورها وموضوعاتها"، مجلة الدراسات الشرقية، العدد ٢٠، يناير ١٩٩٨م، (ص٢٣٧).

(٤٧) انظر: يتسحاق بن بنديتر، أبرز الشخصيات في إسرائيل وفي العالم اليهودي، ١٩٩٤- ١٩٩٥، إصدار سفاريم، تل أبيب، تل أبيب، الطبعة العبرية الثامنة، ١٩٩٦، (ص ١٦٦)، [بالعبرية]؛ انظر أيضًا: http://www.qaz.co.il/Article.asp?id=620

(٤٨) انظر: http://simania.co.il/authordetails.php/?item_id=178426

(٤٩)يتسحاق بن بنديتر، مرجع سابق، (ص ١٦٦).

(٥٠) أفراهام شطال "محرر"، طوائف إسرائيل، فصول في الأدب والفلكلور والتاريخ، المجلد الأول، إصدار عام عوفيد، تل أبيب، ١٩٧٨، (ص ١٣٠)، [بالعبرية].

(٥١)أفراهام شطال، السفاراديم وأبناء الطوائف الشرقية في الأدب العبري، بيليوجرافيا وكشاف، إصدار مركز التدريب للمكتبات العامة، القدس، ١٩٨٠، (ص ١٦٢)، [بالعبرية].

(٥٢)وردت هذه القصة فيما يلي: أفراهام شطال، طوائف إسرائيل، مرجع سابق، (ص ١٢٦- ١٣٠)؛ يوسيف هاليفي "محرر"، الجديد في أدب مهاجري الشرق في إسرائيل: مختارات ونقد، إصدار جامعة بن جوريون، بئر سبع، ١٩٧٩، (ص ص ١١٤- ١١٨)، [بالعبرية]؛ أفراهام شطال، يهود الشرق في أدبنا، وزارة التربية والتعليم، القدس، ١٩٧٤، (ص ١٨٦- ١٩٢)، [بالعبرية](انظر: أفراهام شطال، السفاراديم وأبناء الطوائف الشرقية في الأدب العبري، مرجع سابق، ص ١٦٢).

(٥٣)انظر: http://kabbalahnow.indranet.com/about/faithful.html

(٥٤)أفراهام شطال، السفاراديم وأبناء الطوائف الشرقية في الأدب العبري، مرجع سابق، (ص ١١٦).

(٥٥) الشباب المهمش: يقتاتون من الأعمال المؤقتة، ويرفضون الانضمام لأي إطار مؤسسي. (شلومو سفيريسكي ومناحيم شوشان، بلدات التطوير: في مواجهة غد متغير، إصدار يتير، ١٩٨٥، (ص ٢)، [بالعبرية]).

(٥٦) عوزيئيل حازان، أرمند، نوفيلا مغربية، إصدار سفريات بوعليم، تل أبيب، ١٩٨١، (ص الغلاف الخارجي)، [بالعبرية].

(٥٧)جدناع: "كتائب الشبيبة" التي تقدم الثقافة العسكرية المسبقة والإعداد للخدمة العسكرية.بدأت هذه الكتائب في عام ١٩٣٦م، وتتكون من شباب تتراوح أعمارهم بين١٤-١٧ سنه.(أفرايم ومناحم تلمي، معجم المصطلحات الصهيونية، ترجمة: أحمد بركات العجرمي، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، الأردن، ١٩٨٨م، (ص٨٩).

(٥٨)سامي شالوم شطريت "محرر"، مئة عام ومئة مبدع: الانتاج الأدبي العبري في الشرق خلال القرن العشرين، الفن القصصي، المجلد الثاني، إصدار بيمت قيديم لسفروت، تل أبيب، ١٩٩٩، ص ١٢٣، [بالعبرية].

(٥٩)عوزيئيل حازان، مرجع سابق، (ص الغلاف الخارجي).

(٦٠)وردت قصة "المنشد الضرير" في كتاب" أفراهام شطال، طوائف إسرائيل، مرجع سابق، (ص ص ١٢١- ١٢٣) ".

(٦١)أفراهام شطال، السفاراديم وأبناء الطوائف الشرقية في الأدب العبري، مرجع سابق، (ص ٩١).

(٦٢)سامي شالوم شطريت، مئة عام ومئة مبدع، الفن القصصي، المجلد الثاني، مرجع سابق، (ص ١٢٣).

(63) ليفي إشكول: (٢٥ اكتوبر ١٨٩٥ إلى ٢٦ فبراير ١٩٦٩)، ثالث رئيس وزراء إسرائيلي من ١٩٦٣ إلى ١٩٦٩ عندما مات بالسكتة القلبية. وُلد إشكول في قرية صغيرة بالقرب من مدينة كييف الأوكرانية، هاجر إشكول من أوكرانيا إلى فلسطين في عام ١٩١٤. وفي ١٩٥١ عُيّن إشكول وزيرًا للزراعة والتطوير واعتبارًا

من ١٩٥٢ وحتى ١٩٦٣ كان وزيرًا للمالية، وفي الفترة ما بين ١٩٤٩ و١٩٦٣ كان إشكول يُشغل منصب رئيس قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية.

(٦٤)انظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا: http://he.wikipedia.org/wiki /

(65) Shaked, Gershon, (editor), Hebrew writers, A general directory. The Institute for The Translation of Hebrew Literature, A pril 1993, (p.124).

(٦٦) مجلة سيمان كريئاه، عدد ٢١، ديسمبر ١٩٩٠، (ص ٦)، [بالعبرية].

(٦٧) يجآل سيرناه، "رواية مغربية"، يديعوت أحرونوت، ملحق شيفع ياميم، ١٩٩١/١/٤، (ص ١٥)، [بالعبرية].

(٦٨)المعهد الديني العسكري:"يشيفات هيسدير " التسمية المعتادة للمعهد التديني الذي يقيم نظامًا خاصًا مع الجيش الإسرائيلي، وبمقتضاه تعد فترة دراسة طلابه كنوع من الخدمة العسكرية لمدة أربع سنوات.(انظر:يائير بورلا، موسوعة دافير للمصطلحات عسكرية، إصدار دافير، تل أبيب، ١٩٨٨، ص ص ١٨٩- ١٩٠، [بالعبرية]).

(٦٩)سامي شالوم شطريت، مئة عام ومئة مبدع، الفن القصصي، المجلد الثاني، مرجع سابق، (ص ١٩٥).

(٧٠)يجآل سيرناه، مرجع سابق، (ص ١٥).

(٧١)تشتمل اليهودية على ثلاث تيارات رئيسة: اليهودية الأرثوذكسية، واليهودية المحافظة واليهودية الإصلاحية. وتعد اليهودية الأرثوذكسية التيار الأكثر تطرفًا وتشددًا، ومن أبرز الأحزاب الارثوذكسية في إسرائيل: الحزب الديني (المفدال).(لمزيد من المعلومات انظر : رشاد عبد الله الشامي، القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، سلسلة عالم المعرفة، عدد ١٨٦، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يونيو ١٩٩٤م، (ص ص ٨٥-١٢٢)؛ محمد خليفة حسن، الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، عدد ٤، مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة، د.ت.،(ص ص ٧٧-٩٢)).

(72) Gover, Yerah, Zionism, The Limits of Moral Discourse in Israeli Hebrew Fiction, University of Minnesota Press, Minnesota ,1994, (p.150).

(٧٣)سامي شالوم شطريت، مئة عام ومئة مبدع، الفن القصصي، المجلد الثاني، مرجع سابق، (ص ١٩٥).

(٧٤)يجآل سيرناه، مرجع سابق، (ص ١٥)

(٧٥) كوفي نسيم، "الكتابة ذاتها هي موضوعي"، عل همشمار، ١٩٩١/١/١٨، (ص ٢٣)، [بالعبرية].

(٧٦)انظر:كوفي نسيم، "ثراء محفوظ لقرائه"، عل همشمار، ١٩٩١/١/١٨، (ص ٢٣)، [بالعبرية].

(77) Shaked, Gershon ,Op. Cit. , (p. 124).

(٧٨)سامي شالوم شطريت، مئة عام ومئة مبدع، الشعر، مرجع سابق، (ص ١٠٠).

(٧٩)محمد فوري ضيف، "إيرز بيطون شاعر الطائفة المغربية في إسرائيل"، رسالة المشرق، مجلة دورية محكمة تصدر عن مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، المجلد السابع، ١٩٩٨م، (ص ٢٨٢ هامش رقم ٢٠).

(٨٠)سامي شالوم شطريت، مئة عام ومئة مبدع، الشعر، مرجع سابق، (ص ١٢٧).

(٨١)محمد فوزي ضيف، مرجع سابق، (ص ٢٥٠).

(٨٢)المرجع نفسه، (ص ٢٥١).

(٨٣)سامي شالوم شطريت، مئة عام ومئة مبدع، الشعر، مرجع سابق، (ص ١٢٧).

(٨٤)المرجع نفسه، (ص ٢٠٣).

(٨٥) المرجع نفسه، (ص ٢٣٤)؛انظر موقع الموسوعة الحرة ويكيبيديا بالعبرية:

http://he.wikipedia.org/wiki

(٨٦) سامي شالوم شطريت، مئة عام ومئة مبدع، الشعر، مرجع سابق، (ص ٢٤٢)؛ انظر أيضًا: موقع موسوعة الأدب العبري الحديث بالعبرية:

http://www.library.osu.edu/sites/users/galron.1/00629.php

(٨٧) دان ميرون، "اليهود السفارديم في عالم متغير"، محاضرة ألقيت في المركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة، الأربعاء ٥/٤/ ٢٠٠٠.

(٨٨)أليكس واينجرود، "أشكال التكيف الأثني، توطن يهود العراق ويهود المغرب في إسرائيل دراسة مقارنة"، ترجمة:خليل توما، في: عادل مناع وعزمي بشارة "إعداد"، دراسات في المجتمع الإسرائيلي، مركز دراسات المجتمع العربي في إسرائيل، صندوق فريدريش إيبرت، بيت بيرل، إسرائيل، ديسمبر ١٩٩٥م، (ص ١٦٤).

(٨٩)تحرير شهاب الكروي، مرجع سابق، (ص ٤٣).

(٩٠)اليكس واينجرود، مرجع سابق، (ص ١٧٠).

(٩١) مدن التطوير: وتسمى أيضًا مدن التنمية وتبلغ نحو ٤٣ مدينة، أقيمت بداية من خمسينات القرن العشرين في شمال وجنوب إسرائيل بالقرب من المناطق الحدودية النائية؛ بغرض استيعاب موجات الهجرة الجماعية لليهود السفارديم خاصة يهود شمال إفريقيا، ولكي تكون حاجزًا بشريًا أمام أي هجوم عربي محتمل. وتفتقد هذه المدن للخدمات والمرافق والأعمال الثابتة؛ لذلك ترتفع فيها نسبة البطالة. ومن أشهر هذه المدن: إيلات، بئر سبع، بيت شان، كريات شمونه، سدروت، ديمونه، وطبرية، نتيفوت، عكا، العفوله، عراد، صفد وشلومي.

(٩٢)انظر: أفرهام هطال، "الصحافة اليهودية في المغرب"، مجلة بيعاميم، عدد ٥٧، خريف ١٩٩٤، (ص ص ١٢٥- ١٣١)، [بالعبرية]؛ وانظر أيضًا: أفرهام هطال، الصحافة اليهودية في شمال إفريقيا، إصدار معهد بن تسفي، القدس، ١٩٨٠ (ص ص ٥٤- ٦٧)، [بالعبرية]

(٩٣)شلومو درويش: عرف في العراق باسم"فولتير العراق"، وهاجر إلى إسرائيل عام ١٩٥٠م. عمل في المحاماة وفي الكتابة بالعربية وبعد ذلك بالعبرية وحظي بشهرة كبيرة بعد مقالاته التي نشرت في مجلة "الحصاد" تحت

عنوان"وسوسات إبليس". ومن أعماله الأدبية مجموعة قصصية بالعربية بعنوان"أحرار وعبيد"، ورواية "فرايم! فرايم!" بالعبرية وصدرت عام ١٩٨٦م. (انظر: سامي شالوم شطريت، مئة عام ومئة مبدع، الفن القصصي، المجلد الأول، مرجع سابق، (ص ٢١٨)

(٩٤) المرجع نفسه.

(٩٥)نسيم رجوان: ولد في بغداد ١٩٢٤م، هاجر إلى إسرائيل ١٩٥١م، درس في الجامعة العبرية، وخلال ١٩٥٩-١٩٦٦م قام بتحرير الصحيفة اليومية العربية "اليوم". وهو معروف كصحفي، ومؤرخ ومحلل سياسي، ومتخصص في شئون الشرق الأوسط.وله العديد من الأبحاث والكتب في مجال الثقافة العربية والصراع العربي الإسرائيلي. (المرجع نفسه، ص ١٠٩).

(٩٦) المرجع نفسه

(٩٧)اليكس واينجرود، مرجع سابق، (ص ١٦٥).

(٩٨)محمد جلاء إدريس، "نجيب محفوظ في الصحافة العبرية في إسرائيل"، مجلة الدراسات الشرقية العدد ١٧ الجزء الأول، ١٩٩٧م، (ص ٦).

(٩٩)اليكس واينجرود، مرجع سابق، (ص ١٦٥).

(١٠٠)المرجع نفسه، (ص ص ١٦٦-١٦٧).

(١٠١) سامي ميخائيل، "الصوت السفارادي في الأدب الإسرائيلي"، محاضرة ألقيت في المركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة، الأربعاء ١٩٩٨/٧/٨.

(١٠٢)رشاد عبد الله الشامي، عجز النصر، مرجع سابق، (ص ص٢١-٢٢).

(١٠٣)اليكس واينجرود، مرجع سابق، (ص١٧٧).

(١٠٤)المرجع نفسه، (ص١٧٨).

الفصل الثاني
الخلاص الزائف وأزمة الهوية
في بعض الأعمال المسرحية العبرية لأدباء يهود مغاربة

يعالج هذا الفصل الآثار المترتبة على عمليات تهجير يهود المغرب، وهـرولتهم المتعجلـة وراء الدعاوي الصهيونية الخادعة، التي استغلت لهفتهم الشديدة ورغبتهم الملحة في تحقيـق حلم الخلاص المسيحاني المنشود، وما انطوت عليه هذه التجربة من تحطم الماضي المغربـي والحاضر الإسرائيلي بالنسبة لمعظم أبناء الطائفة اليهودية المغربية.

ويعرج بعد ذلك على الوسائل والأدوات القذرة التي اتبعها القائمون على شئون إسرائيل من اليهود الإشكناز ضد المهاجرين الجدد من أبناء الطائفة اليهودية المغربية، في محاولة مستميتة من الإشكناز لسلخ يهود المغرب عن هويتهم وذاتهم، ولغرس بـذرة الكراهيـة والحقـد فـي نفوسهم ضد تراثهم وثقافتهم ولقطع أواصر الارتباط بالماضي المغربي الجميل.

عرض لأحداث المسرحيات

(١) مسرحية "ملك مغربي" لجفريئيل بن سمحون:

تدور أحداث المسرحية، المكونة من ثلاثة فصول، في إحدى القرى المغربية وتحديـدًا فـي قرية سفرو (مسقط رأس المؤلف)، ولم يحدد المؤلف العنصر الزمني لوقوع الأحداث لكن مـن المرجح أنها وقعت خلال فترة الأربعينات وهى نفس الفترة التي كـان يوجـد فيهـا المؤلـف بالمغرب. وغالبًا تدور أحداث مسرحياته في نفس المكان" سفرو" وفـي نفـس الزمـان خـلال ثلاثينات وأربعينات القرن العشرين.

تعيش في هذه القرية المغربية البسيطة جالية يهودية غارقة، مثل معظم يهود المغرب، في جو يتطلع شوقًا لظهور المسيح المخلص ليتحقق لهم الوعد الإلهي بالخلاص. وفي ظـل هـذا الجو المسيحاني المشحون باللهفة والترقب لتلك اللحظة الحاسمة، يكون من السهل تصديق أي خبر حول ظهور المسيح. وبالفعل، يترامى إلى سمع بعض منشـدي الأشـعار الدينيـة(١) أن

المسيح قد ظهر في مكان ما قريب من القرية أو ربما داخل القرية نفسها، وبمجــرد سـماعهم لهذا الخبر يرتقون فرادى أسطح المنازل ليسارعوا بتحقيق النبوءة المنتظرة بــالطيران علــى أجنحة السحاب ليصلوا إلى القدس، وذلك وفقًا لما تردده الأسطورة: " أنه عندما يظهر المسيح في المدينة يكون بالإمكان ارتقاء السحاب والطيران على أجنحته نحو القدس". لكنهم لم يتمكنوا من الطيران وكانوا يسقطون وتدق أعناقهم على الأرض، ويلقون حتفهم الواحد تلو الآخر.

يتحول هذا الخبر من مجرد إشاعة إلى حقيقة راسخة يؤمن بها كل أبناء الجالية، ويحــاول كل فرد إثبات أنه المسيح المنتظر، ويكون دليله الوحيد للبرهنة على صدق كلامه هو مقدرتــه على الطيران، لكن النتيجة المؤكدة هي أن أبناء جالية سفرو كانوا يسقطون الواحد تلو الآخــر صرعى وكأنما أصابهم وباء قاتل أو أصيبوا بلوثة عقلية. وأمــام هــذا الاســتعجال المســعور لتحقيق الخلاص يتواصل النزيف الدامي وينساق أبناء الجالية اليهودية مســلوبي الإرادة وراء هذا الوهم القاتل والحلم الزائف. وكان لابد من البحث عن حل لوقف هذا الصراع الــلا نهــائي حول من هو المسيح، فكان في الحل هلاكهم جميعًا، فصعد كل يهود القرية إلى أسطح المنــازل وتشابكت أيديهم واستعدوا للطيران على أجنحة السحاب بحيث إذا كان المسيح موجودًا بيــنهم فإنه ستكتب لهم النجاة ويتحقق لهم الخلاص، وهنا يسدل الستار.

(٢)**مسرحية"بوزميما" لجفريئيل بن سمحون**:

تدور أحداث المسرحية في إحدى القرى المغربية خلال العقد الرابع من القــرن العشــرين، حيث تعيش جالية يهودية حياة تقليدية بسيطة، يتلقى أبناؤها تعليمًا دينيًا تقليديًا فــي مدرســة القرية على يد معلمهم الشاب "بوزميما". ويحظى مدير هذه المدرسة الحاخام "عوفاديا" بمكانــة مرموقة؛ بقوة نفوذه الديني، وبمقتضى هذه السلطة يفرض حظرًا على كل أبناء الجالية بعــدم دراسة "القبالاه" (٢) أو القراءة في كتابها "الزوهر"(٣)، وعدم سماع الأغاني وترديــدها وعــدم الاقتراب من الساحرة "سوليكا".

وذات مرة يرضخ "بوزميما" لإلحاح الطلاب ليقرأ عليهم من كتاب "الزوهر"، وحينئــذ يعثــر بين صفحات كتابه على ورقة مكتوب عليها أنشودة تدعوهم للبحث عن الملــك لتحريــره مــن قيوده لكي يحقق لهم الخلاص المنشود. ولأنهم يعيشون فــي مجتمــع يســيطر عليــه الفكــر المسيحاني والحكايات الخرافية، تجذبهم كلمات"أنشودة الملك"ويخرج "بوزميما" مع طلابه بحثًــا عن الملك في رحلة تغلب فيها العناصر الأسطورية على الواقع، لكنهم يفشلون!!

يحاول الحاخام "عوفاديا" استخدام أسلوب التهديد والوعيد لردعهم حتى لا ينزلقوا في هذا الطريق الخادع وينتزع منهم "أنشودة الملك". ويتضح من سياق الأحداث أن الحاخام "عوفاديا" تعرض لمثل هذا الموقف منذ نحو عشرين عامًا، لكنه فقد في هذه الرحلة ثلاثة من طلابه. ومنذ ذلك الحين غير مسار حياته فحرم على نفسه كتابة الشعر أو سماعه كما حرم على نفسه الموسيقى والأحلام، وعندما تقلد منصب مدير المدرسة عمم هذا الحظر على كل من في المدرسة.

ينصاع "بوزميما" لأوامره في أول الأمر لكن سرعان ما يتمرد عليه ويعلن تحديه له ويخرج بمفرده للبحث عن الملك، لكن هذه المرة كان إيمانه عميقًا ويقينه قويًا بأنه سيجده ولذلك خرج عازمًا على عدم العودة. ويشعر الطلاب بالخوف على معلمهم من هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر، لكنهم لن يستطيعوا الوصول إليه بدون "أنشودة الملك" وهنا يلجأون للساحرة "سوليكا" لتدبر لهم حيلة ماكرة تنتزع بها "أنشودة الملك" من الحاخام "عوفاديا". ويخرج الطلاب و"سوليكا" بحثًا عن "بوزميما"، ويتعقبهم الحاخام "عوفاديا" ليسترد منهم الأنشودة ويعيدهم إلى القرية. وفي جو أسطوري، يستخدم الحاخام "عوفاديا" سلطته الدينية وامتلاكه لاسم الله الأعظم في وضع كل العراقيل الممكنة في طريقهم، لكنهم ينجحون في اجتيازها، ويقتربون من معلمهم "بوزميما" الذي اندفع إلى داخل نور وهاج ومن ورائه الطلاب و"سوليكا" وأخيرًا الحاخام "عوفاديا"، الذي اندفع وراءهم مرغمًا في محاولة لإثنائهم عن عزمهم وتبصيرهم بأن كل هذا وهم وكذب، وهنا يسدل الستار.

(٣)مسرحية"هواجس تظهر في الشرق" لدانيائيل لينزيني

تتكون المسرحية من أحد عشر مشهدًا، تسبقها افتتاحية طويلة. ومع إزاحة الستار، وعلى خلفية من الموسيقى الشرقية الهادئة، يقوم "زايش" بتوزيع قطع من الحلوى الشرقية اللذيذة على الحاضرين في قاعة المسرح مصحوبة بتقديم تحياته وتهانيه لهم باللغة العربية. وفي غضون ذلك يعلن الموظف ورئيس جوقة المنشدين بالتناوب أمام الحضور عن وجوب قيام المشاهدين من أصول مغربية بتسليم ما يحملونه من سكاكين للأمانات، وعلى الحضور أن يكونوا حذرين لأن هناك مجموعة من الباعة الجائلين ينتمون لطائفة بدائية تسللوا إلى قاعة المسرح ويقومون بتوزيع حلوى مشكوك في أمرها، وأن إدارة المسرح غير مسئولة عن أي أضرار تصيب أي فرد من الحضور من جراء تناوله لهذه الحلوى. ويتعالى في جنبات المسرح

صوت ما يلقي محاضرة حول مصطلح "...نس" فيشرح معناه عند علماء علم الاجتماع والفرق بينه وبين مصطلحي "بربري" و"متحضر".

وبعد هذه الافتتاحية، يبدأ المشهد الأول وفيه يظهر "زايش" على المسرح مرتديًا جلبابًا وصندلاً مغربيين وعلى رأسه الطربوش المغربي المشهور، ويتقدم نحو الموظف الذي يسأله عن بياناته الشخصية (اسمه، واسم عائلته وبلد المنشأ)، ثم يدفعه بعد ذلك إلى موظفة الشئون الاجتماعية لتستفسر منه عن بعض التفاصيل المتعلقة بتقديمه طلب للحصول على إعانة اجتماعية. ولكن لكي يتمكن من الحصول على كافة حقوقه داخل هذا المجتمع؛ عليه أن يكون متماثلاً معهم في كافة الجوانب المتعلقة بالهوية الثقافية سواء السمات الخارجية أو السمات الداخلية.

تبدأ أولى تلك الخطوات، لكسر الحواجز بينه وبين هذا المجتمع، بإجباره على تغيير اسمه من "زايش" إلى "زوهر" بالإقناع تارة وبالإلحاح تارة أخرى. وبعد رضوخه لتلك الضغوط وإذعانه لقبول هذا الاسم الجديد، تبدأ الخطوة الثانية لتغيير هويته الثقافية الخارجية وذلك بإجباره على ارتداء الملابس الأوروبية الحديثة (البدلة وربطة العنق) بدلاً من الملابس الشرقية التقليدية (الجلباب، والطربوش والصندل).

وبعد أن تمت عملية تغيير السمات الخارجية (الاسم والملبس) المميزة لهوية "زايش" الثقافية، تبدأ المرحلة الثانية بتغيير معالم سماته الداخلية الروحية، وأولى خطواتهم في هذا الصدد تبدأ بمحاولة قطع كل الروابط التي تجذبه للماضي، وسلخه عن بيئته التي نشأ فيها وورث عنها كل مكوناته الثقافية. ولأن الأم تعد النموذج المثالي لعالمه القديم بما تحمله من عادات وتقاليد وذكريات، لذلك كان لابد من القضاء على هذا الرباط العاطفي الوجداني بإجباره على طعن قبر أمه التي ماتت توًا. ومن ثم تبدأ الخطوة الثانية والأخيرة، وهي تشويه كل الذكريات الجميلة عن موطنه الأول "المغرب" بعرض كل الجوانب السلبية والمزرية لواقع حياة اليهود داخل "الملاح": فإلى جانب ما يفوح منه من روائح كريهة نتنة، تفوح منه أيضًا روائح الذل والاضطهاد والمعاناة التي يقال إن اليهود تجرعوها داخل المجتمع المغربي. ويتم تصوير يهود المغرب داخل "الملاح" بأنهم يفتقدون للحد الأدنى من الثقافة، ويعيشون على التسول واستجداء لقمة العيش، وبمعنى آخر يفتقدون للحد الأدنى من الكرامة الإنسانية، هذا بالإضافة لما تتعرض له المرأة اليهودية من ذل واضطهاد.

بهذه الصورة الداعية لاحتقار الماضي، تنتهي خطوات إعادة تشكيل "زايش" ليكـــون قـــادرًا على التكيف مع هذا المجتمع الجديد. والمشهد الأخير قبل إسدال الستار يماثل المشهد الأول في المسرحية، فها هو الموظف يعود ويطرح نفس السؤال على "زايش" "اسمك واسم عائلتـــك ؟ "، وهنا وبعد هذا السؤال وقبل أن ينطق "زايش" بالإجابة-يسدل الستار.

(أولاً) حلم الخلاص الزائف في مسرحيتي "ملك مغربي" و"بوزميما"

(١) المسيحانية وعلاقتها بالفكر الصهيوني:

كلمة "مسيحانية" مصطلح للكلمة العبرية "مشيحوت" وتعني الاعتقاد في مجيء مسيح يهودي وبطل قومي يتميز بصفات القدرة القتالية تمكن بني إسرائيل من الخروج من حالـــة الهزيمـــة العسكرية والفشل السياسي والانحلال الديني الخلقي(٤)، وتمنيهم بمجيء عالم مثالي تتحقق لهم فيه –على ما يعتقدون– السيادة على سائر الشعوب فتأتيهم عابدة طائعة مقدمة الهـــدايا لـــربهم (يهوه) وتصبح عبادة الشعوب لهذا الرب خضوعًا لبني إســـرائيل فـــي ذات الوقـــت. وتمثـــل المسيحانية بهذا المفهوم أحد أسس الإيمان باليهودية(٥).

يعد مفهوم انتظار المسيح المخلص، بمثابة الوسيط بين مفهـــوم الاختيـــار، وبـــين محـــن "المنفي" التي تتناقض مع هذا المفهوم. والمسيح المخلص الذي يطلق عليه اسم"المســـيح بـــن داود"، يشكل اعتقادًا راسخًا عند عامة اليهود، منذ السبي البابلي ٥٨٦ق.م (٦).

يرى "أبو هليل سيلفر" في كتابه " تاريخ التأمل المسيحاني" أن العامـــل المســـيحاني أحـــد العوامل الأساسية في التفكير القومي اليهودي وقد أدى إلى ظهوره في الديانة اليهودية فقـــدان الاستقلال القومي بعد نهاية الوجود السياسي الإسرائيلي. وهـــو يعتقـــد أن مفهـــوم المســـيح المخلص مفهوم جماعي نشأت عنه كل المطامع والتطلعات السياسية والدينية والأخلاقية. وكان المثال المسيحاني في البداية مثالاً سياسيًا دنيويًا، تلون بعد ذلك باللون الديني الصوفي النـــابع من النبوة الإسرائيلية، ثم اكتسب المفهوم صفته الخارقة للعادة بأن تحول إلى مهمـــة تحقيـــق الخلاص القومي والتحول إلى اليهودية وهي مهمة لا يمكن تحقيقها بالمجهود الإنساني وحـــده ومن هنا بدأت شخصية المسيح في الظهور. وقد كانت هـــذه الشخصـــية شخصـــية إنســـانية ورسالته رسالة سياسية دينية، إلا أن بعض الصفات الخارقة للعادة أضـــيفت إلـــى الشخصـــية الإنسانية نظرًا لنوعية مهمته الشاقة الصعبة على البشر(٧).

ورغم أن الصهيونية وصفت نفسها بأنها حركة عقلانية ونشيطة تسعى لتحقيق أهدافها في إطار الأمر الواقع وبقوة المجهود البشري المخطط، إلا أنها تأثرت بالأفكار المسيحانية وخاصة بمفاهيم مثل"جمع الشتاتات"، "أورشليم مدينتك"، "يوم الرب"(٨)، ثم انتقلت هذه المفاهيم إلى مصطلحات التاريخ العلماني(٩).

ومما لاشك فيه، أن فكرة "المسيح المخلص" كانت إحدى العوائق الفكرية التي جابهت الحركة الصهيونية. وقد لجأت إلى الالتفاف عليها عن طريق الادعاء بأن جهودها لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، ستكون من أجل تمهيد الطريق أمام قدوم المسيح(١٠).

وقد اضطرت الصهيونية إلى تحوير معنى المسيح المخلص الذي سيأتي في نهاية الأيام لتنفيذ الخلاص، فأعلنت أن المسيح المخلص ليس إنسانًا أو شخصًا من نسل داود له قوى خارقة للعادة، ولكنه فكرة أو رمز إلى حرية الإنسان اليهودي الفردية، وحريته القومية كما أنه إشارة إلى تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية لمجموع اليهود، أو بمعنى آخر هو رمز لتحقيق سعادة ورفاهية الإنسان اليهودي والجماعة اليهودية(١١).

وهكذا، قدمت الفكرة الصهيونية نفسها على أساس أنها هي المسيح المخلص الفكرة، أو بمعنى آخر ألبس زعماء الحركة الصهيونية حركتهم ثوب المخلص الديني وجعلوا منها امتدادًا لفكرة الخلاص المسيحاني، وأذاعوا في أوساط اليهود أن الحركة الصهيونية تسعى لتجميع الشتات اليهودي في فلسطين اختصارًا لوقت وجهد المسيح الجسد. وبهذا يكونوا قد أفرغوا مفهوم الخلاص من محتواه الديني وغيروه إلى مضمون علماني، يعتمد على المجهودات البشرية واستغلال الظروف السياسية لتحقيق مآربهم الاستعمارية.

(٢)حلم الخلاص الزائف في مسرحيتي "ملك مغربي"و"بوزميما":

وفيهما يعبر "جفرينيل بن سمحون" عن الحلم بالعودة لأرض الميعاد، الحلم المغلف بالأساطير المرتبطة بمملكة الخلاص المسيحاني، ذلك الحلم الذي ظل يداعب خيال يهود المغرب منذ مئات السنين، وساعدت الدعاوي الصهيونية الزائفة على تأججه في قلوب يهود المغرب. ولكن بعد هجرتهم إلى إسرائيل، بإلحاح من الحركة الصهيونية، تبين لهم زيف هذا الحلم وأنه قبض الريح.

لم يكن خلاصهم المنشود الذي ادعت الحركة الصهيونية أنها تحملـه لهـم علـى أجنحـة السحاب، إلا سقوطًا مدويًا بدأت ملامحه تتضح مع تزايد تيارات التهجير اليهوديـة الجماعيـة التي اندفعت خارجة من المغرب مع إعلان قيام إسرائيل.

(أ) سمات السقوط

كان من الطبيعي نتيجة انسياقهم وراء هذا الحلم الواهي أن تكون نهايتهم الهلاك، ومما زاد من حجم تلك الفاجعة، أن المأساة لم تكن فردية بل مأساة شاملة جماعية ضمت جميـع أفـراد يهود المغرب.

[١/أ] المأساة تشمل كل يهود المغرب

لم يؤمن "بوزميما" وطلابه والساحرة "سوليكا" فقط في مسرحية "بوزميما" بحلـم الخـلاص الزائف"، بل سبقهم الحاخام "عوفاديا" منذ نحو عشرين عامًا:

"عوفاديا: خذ، سيجار. ولتسمع حكايتي. ولذا، يجب عليك الإنصات جيدًا: فحكايتك تكررت مـن قبل. فمنذ نحو عشرين عامًا، في بداية السنة الثانية عشرة. خرجـت وراء نفـس الأنشـودة. نقطة. هل تسمع؟ لتسجل هذا أمامك. انتهت هذه الأنشودة بكارثة. اختفى ثلاثة أولاد وهم حتى الآن في عداد المفقودين. نقطة. هل سجلت ذلك؟ "(١٢).

وفي مسرحية "ملك مغربي"، انساقت الجبهة المعارضة أيضًا، الممثلة في الحاخام مخلـوف والجابي (١٣) ميمون، وراء أوهام الخلاص الزائف، رغم محاولاتهما المتواصلة لمنـع إقـدام يهود سفرو على الطيران بحثًا عن الخلاص، فجاء على لسان "برسيادة" ابنة الحاخام "مخلوف" ما يوضح ذلك:

"برسيادة :...إن الجابي يكتب قصائدًا في السر ويصعد في الخفاء إلى السطح، ينتظر المسـيح. ويعتقد أبي في نفسه أنه هو المسيح -وفي السر-يتدرب على الطيران. كما صـعد الشـماس والحازان في بداية الأمر لانتظار المسيح. وبعد ذلك دفع كل منهما الآخر للطيران عندما شـكا في بعضهما البعض، بأن أحدهما هو المسيح "(١٤).

لم يصب رجال الدين وحدهم بهذه الطامة، بل انضمت إليهم أيضًا مختلف طبقـات الجاليـة اليهودية في مدينة سفرو:

" الحاخام يروحام: ... في منتصف ليلة أمس قفز من هنا الأخوة نحماني الثلاثة، أسـكنهم الله فسيح جناته.

الحاخام يشوعا: (باستهزاء) يعتقد آل نحماني أنهم مسحاء! هؤلاء الخياطون البائسون!...
الحاخام يروحام:...لقد لقي ثلاثة وعشرون مسيحًا حتفهم خلال أسبوعين"(١٥).

هذا؛ ولم تقتصر هذه المأساة على يهود مدينة معينة، بل شملت كل يهود المغرب. ففي مسرحية "بوزميما"، تعمد المؤلف إغفال مكان الأحداث للدلالة على إمكانية حدوثها في أي مكان بالمغرب. وفي مسرحية "ملك مغربي"، أصاب هذا الوباء بالإضافة ليهود سفرو، يهود ميدلت ويهود وزان(١٦) وغيرها من المدن المغربية:

"المغني :...هذا ما حدث في ميدلت منذ خمس سنوات"(١٧).

ونفس ما يحدث في سفرو حدث من قبل في مدينة وزان :

"المغني :...إنني المسيح. ولدت في وزان بالقرب من فاس. ابن منشد الأشعار الدينية الحاخام دافيد بوزاجلو. كشفت الكواكب لأبي أنني المسيح...وعندما كبرت بدأ منشدو الأشعار الدينية والمتصوفون في الطيران من فوق الأسطح، فماتوا..." (١٨).

[٢/أ] صعوبة العودة والنهاية المحتومة

لم يرغب يهود المغرب، بكامل إرادتهم أو بدونها، في التوقف عن الانزلاق إلى هذه الهاوية المميتة، وواصلوا الإيمان بهذا الحلم الزائف رغم أنهم أدركوا زيفه وما ينطوي عليه من مآسي وأحزان.

ورغم اعتراف الحاخام "عوفاديا" بأن كل هذا وهم وغش، إلا أنهم (بوزميما وسوليكا والطلاب) واصلوا الاندفاع نحو النور غير مكترثين بتحذيراته وغير مبالين بمصيرهم المجهول:

"بوزميما: إلى قلب النور، إلى قلب النور. إلى السنا المتلألئ، إلى النار المتأججة. إلى المرآة الصافية، إلى هيكل الملك، إلى أقمار الياقوت الأزرق، للنور الإلهي.
عوفاديا: قفوا، قفوا باسم الرب...
سوليكا: لا تنصتوا له، -غنوا معي.
عوفاديا: (يمسك بطرف الخيط) سوليكا، سوليكا أنصتي إلى باسم ملائكة السماء العليا، أنقذيهم؛ فقدت هنا أولادي... سوليكا، لا وجود للأغنية، لا وجود للملك، إنك تعرفين الحقيقة. كل شيء مزيف. أقسم لك بحبي- إنني اختلقت الأغنية، لقد ألفتها- كل شيء مزيف! الملك لا يناديكم. إنني بنفسي الذي وضعت هذا المؤلف في الصفحة ٢٦٣"(١٩).

لكن هذه التحذيرات التي أطلقها "عوفديا" في اللحظات الأخيرة ذهبت سدي، ورغم أنها كانت مثل الطرقات القوية الكفيلة بإعادتهم للواقع لكنها جاءت متأخرة جدًا بعد أن سيطر عليهم هـذا الوهم وسقطوا في حبائله.

وفي مسرحية "ملك مغربي"، كان من الصعب عليهم التراجع عن هذا الوهم، رغـم إعـلان المغني المتجول قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة لدافيد تسيون والد "يوناثان-آخر منشدي الأشـعار الدينية" بأن كل هذا وهم؛ وعليهم أن يعودوا لصوابهم ويتركوا هذا الهراء القاتل:

"المغني: لا وجود للمسيح في سفرو. لا يوجد في هذه المدينة أي مسيح! أنقذوا يوناثان! أنقذوا أنفسكم واتركوا المدينة. انسوا كل ما ألم بكم في هذا الموضوع"(٢٠).

ورغم كل هذه التحذيرات والعبر والدماء التي سالت على مذبح حلم الخـلاص الزائـف، إلا أنهم كرروا نفس المأساة.

(ب) مقومات السقوط

هناك عناصر أهلت يهود المغرب، ومن على شاكلتهم، للوقوع في براثن هذا الحلم الزائـف الذي ارتموا فيه بغرض تحقيق الخلاص. فكانت هجرتهم الجماعية نحو "أرض الميعاد" بمثابـة انتحار جماعي عندما تحطمت آمالهم وأحلامهم على صخرة الواقع الإسرائيلي المريـر. وقـد جاءت الجالية اليهودية في المغرب في المسرحيتين محملة بالعديد من العناصر التـي تؤهلهـا للتمسك بأهداب "حلم الخلاص"، ومن أبرز هذه المقومات:

[١/ب] الشعور بالدونية

كان الشعور بالدونية يدفعهم للترحيب بأية محاولة للتغيير، ويحثهم على التخلي عن الواقع والهروب إلى الخيال. وقد أدى هذا التعارض بين الإحسـاس بالدونيـة علـى أرض الواقـع، والإحساس بالسيادة والتعالي المستمد من التراث الديني، إلى إيمانهم بأن المستقبل لهم وأنـه سيحمل لهم الانتصار والسيادة على الأمم الأخرى، وستتبدل أحوالهم للأفضل.

نستطيع أن نلمس هذا الإحساس من خلال مشـاعر الحقـد والكراهيـة تجـاه الآخـرين والإحساس بأن هؤلاء الأغيار يضمرون لهم الشر دائمًا ويسعون للفتك بهـم فـي كـل أوان، فنسمع خلال صلاة "بركة القمر"(٢١):

"المصلون: (يرقصون) لأنني أرى سماءك، صنع يدك، والقمر والكواكب من مخلوقاتك...تبارك خالقك، تبارك صانعك، تبارك مالكك، تبارك فاطرك...وكما أننا نرقص أمامك، ولا نستطيع أن نمسك بسوء، فإن هناك آخرين سيرقصون أمامنا ليضرونا، ولن يستطيعوا أن يمسونا بسوء.
ومن حين لآخر كانت الهمهمات الجماعية تخلى مكانها لتموجات صوت المنشد يوناثان:
يوناثان: فليحل عليهم الهلع والخوف. فليصبحوا كالحجارة بعظمة قدرتك، ليصبحوا كالحجارة. ليحل عليهم بطشك(٢٢)".

وفي مكان آخر نلمح روح التعالي والكبرياء وانتظار حظ أفضل ومستقبل أحسن وحياة مثالية، رغم أن كل ذلك يتم من منطلق الحقد والكراهية على الآخرين والشعور بالدونية:

"بوزميما :...إن جورميزانو يريد أن يعلم لماذا لدى أبناء الفرنسيين كرات قافزة من المطاط وأنتم لديكم فقط كرة من أسمال القماش لا تقفز، وكذلك سأل بوتسيانا قديشا! لماذا يدخن معلمك شموئيل بوزميما(يشير إلى نفسه)أعقاب السجائر ولا يدخن سجائر كاملة! لتقل من الآن: إن هذا أيضًا نعمة. لأن هذا العالم ليس إلا ممرًا للعالم الآخر. ونحن بنو إسرائيل مكاننا هناك! (يشير نحو السماء) فهناك سيلعب الجميع بكرة من أسمال القماش. وأنتم يا مرتسيانو، ستلعبون بكرات ذهبية. وهناك سيدخنون جميعًا أعقاب السجائر وسيدخن بوزميما سجائر كاملة..." (٢٣).

[٢/ب] الإغراق في عالم الأسطورة والخيال

تمتع كبار حاخامات يهود المغرب بمكانة مميزة في الوجدان الروحي والثقافي لليهود هناك، ولم يقتصر الأمر على الاحترام والإجلال لهؤلاء، بل أن الأمر تعدى إلى الاعتقاد بقدرتهم الخارقة على شفاء المرضى وتلبية الأماني وفك أعمال السحر وتوسيع الرزق؛ لذلك كانوا يحرصون على زيارة قبورهم(٢٤) بصورة مستمرة والتبرك بصورهم:

" إنهم يزينون الجدران بصور الصديقين(٢٥) من أمثال: ربي مئير بعل هنيس، ربي عمرام بن ديوان. وتغطى صورة ربي شمعون بر يوحاي حائطًا بكاملة تقريبًا "(٢٦).

وقد نسب لهؤلاء الصديقين العديد من المعجزات والقصص الخرافية، التي حظيت بقبول واسع بين يهود المغرب:

" قال نسيم الصغير: قصة بر يوحاي فقط وكفى. صفحة ٢٦٣ !(يقتبس) خرج ربي شمعون بــر يوحاي وابنه من المغارة وكان كل مكان ينظران إليه يحترق على الفور. وصدر صدى صــوت وقال لبر يوحاي وابنه...هل خرجتم لتدمروا عالمي؟ فلتعودا إلى مغارتكما"(٢٧).

يشرح "شلومو بن عامي(٢٨)" هذا العالم قائلاً: "إن الممارسات الدينية ترتكز على قصــص الصديقين، إن ممارساتنا الدينية لم تركز على أصول "الهالاخاه" (الشريعة اليهودية)، وإنما على الأساطير. إن قصص الصديقين رافقتني طوال فترة طفولتي، قصصًا عن هذا الصــديق وعــن ذلك. هذا ما كانت عليه ديانتنا: على حدود الآراء المسبقة، وعلى حدود الفلكلور، وفي مجــال الإيمان الساذج"(٢٩).

هكذا، ظل عالم الأسطورة والخيال مسيطرًا على حياتهم وملازمًا لهم فــي كــل تحركــاتهم خاصة في رحلتهم للبحث عن الملك الأسير:

"بوزميما: عما قريب سنعبر نهر السمباتيون(٣٠) ونهزم التنين الضخم، ونحطم السيف المتقلب ونحرر الملك من أسره...وسيعطينا الحوت الكبير. والثور البري. وعما قريب سيعدوا لنا مائدة ذهبية "(٣١).

دفع هذا الجو المفعم بالأساطير أبناء الجالية اليهودية لتصديق أيــة إشــاعة دون تحــرى صدقها وصحتها، والانسياق وراء أي خبر دون توخي الحذر. وكانت النتيجة الطبيعية للإغراق في عالم الأسطورة والخيال، أن ألصقوا بشخصية المسيح ملامح فوق طبيعية أقرب للخرافات، ومنها: إنه بمجرد ظهور المسيح فبإمكان اليهود أن يطيروا فوق السحب التي ستحملهم بدورها للقدس مركز مملكة الخلاص المسيحانية.

ويتحدث عن ذلك سعديا جاءون(٣٢) في كتابه "الأمانات والاعتقادات" حين يصــف العــودة مؤكدًا أن اليهود سينقلون فوق السحب إلى القدس التي تصــبح مدينــة المعجــزات، أمــا إذا اضطروا إلى عبور المياه، فإنهم سيركبون في مراكب من الذهب والفضة(٣٣).

ويوضح المشهد التالي مدى تأثر اليهود بمثل هذه المعتقدات:

"يوناثان: سيدي حاييم أفيطل، إلى أين؟

الرجل الطائر: إنني سأطير للقدس، يا بني لقد حان موعدي...انتظرت بما فيه الكفاية، يا بنــي. لدى سحابة جيدة. إلى اللقاء في القدس...

يوناثان: لا تقفز يا سيدي. لم يحن بعد. لم يحن الوقت بعد...

الرجل الطائر: إنني لن أسقط، يا بني. المسيح بين أيدينا. المسيح هنا ! "(٣٤).

[٣/ب] التطلع لظهور المسيح المخلص

إن الفكر الغيبي لعب دورًا بالغ الأهمية في وجدان الجالية اليهودية بالمغرب، واحتلت فكرة الخلاص على يد المسيح المنتظر مكانًا محوريًا في هذا الفكر الغيبي، فكان يحدوهم الأمل لظهور المسيح اليهودي، ملك عصر الخلاص، ليحقق لهم الوعد الإلهي بإقامة مملكة عصر الخلاص المسيحانية على أرض فلسطين. وكانوا ينتظرون هذا الحلم في كل زمان ويبحثون عنه في كل مكان، ويدفعهم هذا لطرح العديد من التساؤلات:

"بوزميما :...يريد ابن رئيس جالية الدار البيضاء أن يعرف ولكن ليست لديه الشجاعة ليسأل. متى سيأتي المسيح ؟ لا ! بل متى سيبعث الموتى ؟ "(٣٥).

وفي مسرحية "ملك مغربي"، كانوا يدعون على الدوام أن يظهر المسيح المنتظر. فها هو "مخلوف"حاخام سفرو يرفع يده بالدعاء، طالبًا من الرب أن يحقق لهم وعده بالخلاص:

"مخلوف: الخلاص يا رب. سيعذبنا الملك يوم ينادينا.

الجمهور: الخلاص يا رب. سيعذبنا الملك يوم ينادينا.

مخلوف: نسألك الخلاص يا ربي.

الجمهور: نسألك الخلاص يا ربي"(٣٦).

[٤/ب] استعجال النهاية

- **إشاعة ظهور المسيح**:

جاءت نقطة التحول في مسرحية "بوزميما"عندما عثر المعلم على أنشودة بتوقيع الملك بين صفحات كتاب "الزوهر"، تدعو اليهود للبحث عن هذا الملك "المسيح المنتظر" ليطلقوا سراحه ويخلصوه من أسره؛ ليتمكن هو من تحقيق الخلاص المنشود لهم:

" ترصدتموني في كل الصلوات/سمعتموني من بين كل الأصوات/بحثتم عني بكل الحسابات الرقمية(٣٧)/رسمتم صورتي في كل النسخ.

بحثتم عني في كل طريق./ أنا الملك، أنا الملك.

والآن أنا أتعقب أحلامكم/أضع مترصدين لأفكاركم/أنصت لألحانكم/انتظر وقع خطواتكم/أريد أن أسلم نفسي لكم.

بحثت عنكم في كل طريق/ أنا الملك، أنا الملك.

تعقبوا أشعاري/تعالوا إلى هيكلي/حطموا قيودي/ارفعوا عنـي جـداري/ حرروني/ أحـرركم/ خلصوني/أخلصكم.
بحثت عنكم في كل طريق/أنا الملك، أنا الملك"(٣٨).

كان من الطبيعي أن ينتظر اليهود بشغف مقدم المسيح المخلص ليحـررهم ويحقـق لهـم "الوعد الإلهي" المنشود بإعادتهم إلى "أرض الميعاد". لكن الجديد في الأمـر، أن هـذا الملـك الأسير أو المسيح المخلص ينتظرهم هو الآخر ليحرروا قيوده ويفكوا أسره؛ وهنا فقط سيتمكن من تحقيق الخلاص لهم. ومعنى ذلك، أن الخلاص المسيحاني المنشود، هو خـلاص مشـروط يتوقف على العنصر البشري، حيث يتحمل فيه اليهود عبء المبادرة. وإن كـان هـذا ينـاقض الشريعة اليهودية الداعية لضرورة انتظار الوعد الإلهي، إلا أنه يوافق الفكر الصهيوني الـذي يحاول استغلال التراث الديني ويطوعه لتحقيق أهدافه.

وفي مسرحية"ملك مغربي"، جاءهم خبر ظهور المسيح على لسان أحد المغنين المتجـولين ليكشف لهم عن سر مقتل ثلاثة من منشدي الأشعار الدينية:

"المغني: منشدوكم لم يسقطوا ولم يتم إسقاطهم...لقد طاروا ! طاروا !...وهذا ما حـدث فـي مدينة ميدلت منذ خمس سنوات...حيث سقط عشرة في أسبوع واحد والريش في جيوبهم.
دافيد تسيون: وكيف هذا ؟ ولماذا ؟
المغني: وصلت إليهم رسالة. جاء فيها، أن المسيح يعيش بينهم...نعـم. المسـيح. وأنـه، أي المسيح، سيرسلهم على السحاب للقدس. لذلك كانوا يصعدون إلى الأسطح طوال الأسبوع. فـي انتـظار السحاب. ومن فرط الإيمان والحماس حاولوا الإمساك بأية سحابة وهذا بالضـبط مـا حدث هنا"(٣٩).

- **التمهيد البشري للخلاص**:

يعد التمهيد البشري للخلاص أحد وسائل استعجال الخلاص، التي تبناها أبطـال مسـرحية "بوزميما" حيث إن مجيء المسيح اليهودي بالخلاص لن يتحقق إلا بالاعتماد على جهود اليهود البشرية، وعليهم أن يبدءوا بالخطوات الأولى وهي نفس الأفكار التي روج لها دعاة الصهيونية الدينية (٤٠).

نجد أصداء لهذه الدعاوى الصهيونية في مسرحية "بوزميما"، فها هـو "بوزميمـا" يخـرج بصحبة طلابه تارة، وبمفرده تارة أخرى للبحث عن الملك الأسـير عـن المسـيح المخلـص، فخلاصهم مرتبط بقدرتهم على الوصول إليه وتحريره من قيوده:

"بوزميما:...أنا ذاهب. إنني أودعكم من هنا من ساحة العطارين. اليوم. يوم ١٤من نيسان ١٩٤٧م وقد أخذت معي رغيفًا من خبز الشعير، وحفنة من الزيتون الأسود، وقليلاً من العسل، وقليلاً من الثرى، ومزوزا (٤١)، وطاليت، وكتاب الزوهر والبوق. وحملت على عاتقي كل القرية"(٤٢).

لم يكن تاريخ خروج "بوزميما" للبحث عن ملك الخلاص محض مصادفة، فالرابع عشر من نيسان يوافق عشية الاحتفال بعيد الفصح اليهودي؛ حيث خرج بنو إسرائيل من مصر ليتحرروا من نير العبودية. ويحاول المؤلف هنا أن يربط بين هذا الخروج الجديد، وبين خروج بني إسرائيل السابق، فكما كان موسى عليه السلام يسعى لتخليص بني إسرائيل من بطش فرعون مصر واضطهاده، فإن "بوزميما" يسعى هو الآخر لتحقيق الخلاص النهائي لليهود عن طريق تحرير الملك المخلص من أسره، وإن كان هذا الخلاص سيكون خلاصًا أبديًا وشاملاً. وهذا ما أكد عليه العديد من كبار حاخامات اليهود في العصور الوسطى، وعلى رأسهم سعديا جاءون(الفيومي).

يذهب "سعديا الفيومي" في رأيه إلى أن الخلاص من مصر هو بمثابة نموذج للخلاص الأخير بكل مظاهره الإعجازية، بل سيتميز الخلاص الأخير عن الخروج من مصر بحدوث معجزات أقوى وأعظم مما حدث في عصر موسى (٤٣).

وفي مسرحية"ملك مغربي"، نستشعر من بعض العبارات أن هناك تأثيرًا واضحًا للأفكار الصهيونية، الداعية لعدم انتظار معجزة السماء، وأن خلاص اليهود وتحررهم سيتحقق بأيديهم فقط، وذلك خلال حديث "دافيد تسيون" وزوجته "رينا" مع ابنهما "يوناثان":

" دافيد تسيون:...إن مسئولية الخلاص ملقاة على عاتقك ! عليك أن تتحمل الواجب، وسيؤمنون بك ! وإذا كان جمهور اليهود في حاجة من أجل هذا لمعجزة- فلتمنحها لهم ! أجل ! فلتمنحها لهم !...

رينا: ربما يمكن أن نساعد المعجزة على الحدوث!

دافيد تسيون: يجب أن نساعد المعجزة على الحدوث!...يجب ألا نترك كل شيء في يد السماء"(٤٤).

لكن التمهيد البشري لاستعجال الخلاص في مسرحية "ملك مغربي" اتخذ طابعًا أكثر دموية. فعندما لاحت ليهود المغرب في الأفق أخبار تنبئهم بوجود المسيح وأنه على وشك الظهور؛ سارع الجميع وراء هذا السراب دون تأن أو روية، وسارعوا في استعجال الخلاص، مهرولين

نحو هذا المجهول معبنين بالأفكار الأسطورية، التي تحكي أنه في حال ظهور المسيح سيكون في استطاعة اليهود ركوب السحاب، ومن هنا بدأت المأساة:

"مزق الجو فجأة صرخة هلع، صوت إنسان ممتزج بصوت طائر ينتفض. ثم أعقبها صوت خبطة...

عمور[النجار]: سقط ؟ ثلاثة في أسبوع واحد ؟

ليلة رحمة [زوجته]: في أسبوع واحد؟...

بيززو[صبي الحانوتي]: لم ننته بعد من دفن الحاخام بنيامين...

دايفد تسيون: من هو؟ من هو ؟...(بعد نظرة سريعة) إنه الحاخام رفائيل موشيه الباز !...

عمور:(يعلن) ثالث منشد في أسبوع واحد ! "(٤٥).

كان هؤلاء الثلاثة هم أول من حاول استعجال الخلاص من بين يهود سفرو، ومنذ ذلك الحين بدأت سلسلة من المآسي والأحزان:

" مخلوف: يا عزيزي، دافيد تسيون، منذ أن وصل هذا المغني، حتى ظهر عندي خمسة "مسحاء"...

ميمون [الجابي]: سيادة الحاخام! في صلاة منتصف الليل (٤٦) ظهر سبعة آخرون. ولا يوجد في دار إسقاية إلا أربعة "مسحاء".

ميمون: وجميعهم وعدوني بأنهم سيطيرون. نعم. سيطيرون. كل فرد منهم مستعد أن يثبت، أنه المسيح عن طريق الطيران"(٤٧).

وهنا تبدأ مرحلة مهمة من مراحل استعجال النهاية، وهي مرحلة الصراع بين اليهود على من هو المسيح، فيتصارع "يوناثان" آخر منشدي سفرو ووالده "دافيد تسيون" حيث يعتقد كل منهما بأنه هو المسيح الحقيقي وبإمكانه التحليق في السماء وتحقيق الخلاص:

"دافيد تسيون: أجل. أنا المسيح! (ليوناثان) يا بني. إنني سأطير!...(وكأنما يحاول إيقاظ ابنه) أجل. يا بني. إنه أنا. انزل.

يوناثان: (وهو نصف نائم) ليس لديك ما تخاف عليه، يا أبتي. إنني لن أسقط.

دافيد تسيون: (ليوناثان) تحرك. يا بني، ودعني.

يوناثان:(كما هو) إنني واثق، يا أبي! قف وانظر.

دافيد تسيون: الوقت يمر. الفجر يبزغ، دعني، إنني سأطير..." (٤٨).

وهكذا؛ سيطرت الرغبة العارمة في استعجال الخلاص على كل أفراد الجالية اليهودية في المغرب وأصبحت هي المحرك الرئيس للأحداث.

(ج)هجرة جماعية أم انتحار جماعي

وضع الكاتب المسرحي "جفريئيل بن سمحون" في السطور الأخيرة من مسرحية "بوزميما" حدًا لهذا الصراع المحتدم بين "بوزميما" ورفاقه وبين الحاخام "عوفاديا":

"يخيم الصمت علي الجميع. ويوجهون رؤوسهم هنا وهناك ثم يبدءون في السير نحو الأغنية والنور. ويتبعهم عوفديا وهو منفعل. وبينما تتردد أصداء الأغنية من داخل النور يأخذ الحاجز في الانفتاح. ويداهمهم لمعان النور أمواجًا وراء أمواج بينما يسيرون جميعًا قدمًا ويحلقون بداخلها بالغناء والألحان وينساق وراءهم عوفديا"(٤٩).

إن انتهاء هذا الصراع بمثل هذه الصورة لا يعني أن هناك طرفًا منتصر وطرفًا مهزوم، فالجميع قد انساق وراء هذا النور الساطع، كل أولئك الذين آمنوا بفكرة الملك الأسير ويسعون لتحريره ليحقق لهم الخلاص المنشود، مع أولئك الذين يدركون زيف هذا الحلم وأنه ينطوي علي كارثة محققة. وكان مصير طرفي النقيض واحدًا، وخاصة أن النور الشديد حجب ما وراءه دون أن يستطيع المرء أن يتبين ما تخبئه له الأحداث، أي أن مصير يهود المغرب، الذين انساقوا وراء هذا الحلم الزائف لتحقيق الخلاص، كان غامضًا ومبهمًا.

وفي مسرحية "ملك مغربي"، نجدهم يتوصلون إلى أن أفضل حل لما يعانونه من حيرة وقلق وصراع حول من هو المسيح المنتظر، هو أن يتشابك الجميع فوق الأسطح في سلسلة طويلة استعدادًا للطيران، فإذا كان المسيح واحدًا منهم فستكتب النجاة لهم جميعًا ويتحقق الخلاص المنشود. لكنهم تناسوا الاحتمال الآخر، وهو الأقرب للحقيقة، وهو أنه إذا لم يكن المسيح من بينهم، فإن مصيرهم جميعًا سيكون الموت والهلاك:

" دافيد تسيون: اعطني يدك. إنني سأحملك .

يوناثان: سأحملك أنا. اعطني أنت يدك .

رينا: (تقترب منهما)اعطوني أيديكما. فالمسيح منكما سيحملنا...

برسيادا: يوناثان، اعطني يدك، يا حبيبي...

مخلوف: اعطني يدكِ، يا ابنتي. لقد جاء المسيح حقًا.

الحانوتي: يا من هناك! لحظة واحدة. انتظروا لحظة! مدوا أيديكم للحانوتي! مدوا أيديكم للحانوتي!...

ميمون: إذا كان الأمر كذلك وأن المسيح جاء حقًا! فاعطوني أيديكم!...(يهمس) فالمسيح الذي بيننا سيحملنا.

مخلوف يمد يده لميمون، وهو بدوره مد يده لكثيرين سارعوا وراءه. جماعات جماعات وأزواجًا أزواجًا صعد الناس مادين أيديهم لبعضهم البعض...ومن كل جانب ترددت الكلمات:

مد لي يدك. اعطوها أيديكم. اعطوه أيديكم. اعطني يدك...

يواصل الناس التدفق للسطح من جميع المداخل، يمدوا أيديهم لبعضهم البعض. هؤلاء من ناحية الأب وأولئك من ناحية الابن...ويتلاحم الناس مع بعضهم البعض كحلقات في سلسلة. وتدلت هذه السلسلة أيضًا إلى داخل قاعة المسرح، ولامتدت بين المقاعد، حيث مد المشاهدون أيديهم لبعضهم البعض...ويقف الجمهور الموجود على خشبه المسرح وذلك الموجود في قاعة المسرح، متأهبين للطيران. حركة واحدة وتتحرك كل السلسلة "(٥٠).

نجد هنا أن المؤلف لم يغفل عن ذكر نهاية المسرحية، ولكنه تعمد ذلك لأن النهاية معروفة ومطابقة للواقع، فخروج يهود المغرب عن بكرة أبيهم وراء هذا السراب، بحثًا عن الخلاص ورغبة في إقامة المملكة الإلهية على الأرض كما وعدهم الرب، يماثل خروج اليهود من المغرب إلى فلسطين انصياعاً وراء الدعاوى الزائفة والأحلام الكاذبة التي روجت لها الصهيونية وآمن بها يهود المغرب.

وهكذا، يلمح الكاتب إلي أن هجرة اليهود المغاربة إلي إسرائيل لم تكن إلا انتحارًا جماعيًا؛ حدث في المعسكرات الانتقالية وفي مدن التطوير، وفي أحياء الحزام الأسود(٥١). وعلى ذلك لم يكن المؤلف يهدف من هاتين المسرحيتين إبراز تأصل فكرة الخلاص المسيحاني في فكر ووجدان يهود المغرب، بل كان جل اهتمامه ينصب على تصوير ما آل إليه حال يهود المغرب داخل المجتمع الإسرائيلي، رغم أن كل الأحداث تدور في إحدى القرى المغربية.

ويؤكد "جفرييل بن سمحون" على ذلك، في حوار له مع مراسلة صحيفة هاآرتس (١٩٨٠/٥/٢٨م): "أن موقف عائلته كان- ولا يزال- دينيًا روحانيًا؛ فقد اعتقد والده أن الملائكة سوف يحومون حوله عندما يصل إلى الأرض المقدسة، ولذلك ألبس أبناءه ملابس يوم السبت البيضاء. وفجأة وجد نفسه مع عائلته يعانون من الفقر والوحل والاكتظاظ السكاني والبلبلة؛ في معسكر شعر هاعليا. وهناك دفع الموظفون الصهاينة إلى أيديهم سمك الرنجة، وكان هذا هو غذاء العالم الآخر! ولم يظهر مسيح اليهود لمساعدتهم(٥٢). ويمضي "بن سمحون" فيقول: " إن كل امرأة يهودية في المغرب آمنت بأن كل طفل من أطفالها العشرة؛ قد

يكون مرشحًا لمنصب المسيح اليهودي المنتظر، أما في إسرائيل فقد أصبح هؤلاء الأطفال سكان السجون، يدب في قلوبهم اليأس"(٥٣).

وقد كانت الصهيونية في نظر هؤلاء بمثابة مسيح هذا الزمان الذي سيحقق لهم الحياة المثالية على أرض مملكة الخلاص؛ لذلك آمنوا بكل ما تدعيه وبقدرتها على تحقيق الوعد الإلهي، كما آمنوا من قبل بأفكار الخلاص وبالمعجزات التي يحملها إليهم المسيح المنتظر. وقد عبر عن ذلك "ليلنتال" في قوله: " تمثل الصهيونية الرداء الحديث للأمل المسيحاني القديم الذي حفظ اليهود أحياء خلال العصور الماضية... (٥٤)".

لكن الصهيونية لم تكن إلا أحد المسحاء الكاذبين(وربما آخرهم) الذين ظهروا في مختلف العصور بين اليهود، وادعوا أنهم ملوك عصر الخلاص؛ لذلك لم يكن نصيب من اتبعهم سوى الخراب والضياع والهلاك (٥٥)، وهو نفس مصير يهود المغرب في المسرحيتين مقارنة بواقع حياتهم السلمي والهادي داخل المجتمع المغربي، فلم تتمكن الحركة الصهيونية من تحقيق أهدافها السياسية(إقامة دولة يهود، وجمع الشتات، وبناء مجتمع منظم وعادل، وتحقيق السلام...) ولم تنجح في حل المشكلة اليهودية وتغيير المصير اليهودي الذي يتسم بالكراهية والعزلة والشتات.

وقد عبر الكاتب الإسرائيلي "مردخاي بر أون" عن فشل الصهيونية بقوله: " إن دولة إسرائيل ورثت المصير اليهودي من كل الأجيال: فهي دولة منعزلة، محاطة ببحر من الكراهية في بيئة شرق أوسطية، كما كان اليهودي كفرد والجيتو كمجتمع طوال الأجيال منعزلاً ومكروها في المجتمعات الأجنبية. وهكذا لم يتحقق أمل مفكري الصهيونية، بأن تحرر الصهيونية الشعب اليهودي من مصيره (٥٦)".

وقد عبر العديد من الأدباء الإسرائيليين من ذوي الأصول الشرقية بأسلوبهم عن الخلاص المسيحاني لدى يهود الشرق، هذا الحلم الذي لعب دورًا محوريًا في حياة الجاليات اليهودية، فعبر الأديب الإسرائيلي "مردخاي طبيب(٥٧)" عن هذا الحلم المسيحاني لدى الجاليات اليهودية التي عاشت في اليمن، وذلك في قصة "شالوم بن دافيد" في مجموعته القصصية "رحلة إلى البلاد العظيمة" وفي قصة " البشارة " في مجموعته القصصية " الطريق الترابي".

وحكى "شالوم مدينا(٥٨)"، وهو أديب إسرائيلي آخر من أصول يمنية، عن انغماس أبناء طائفته في أساطير الفكر المسيحاني حتى النخاع في روايته "مسيح اليمن" عام ١٩٧٧م. وتدور

أحداث الرواية حول ظهور مسيح كاذب في اليمن، على خلفية حياة اليهود في اليمن داخل المدينة والقرية اليمنية(٥٩).

وتحدث الأديب الإسرائيلي "أمنون شموش"، سوري الأصل، أيضًا عن واحد من أشهر المسحاء الكاذبين وهو " شبتاي بن تسفي" في قصة "إصلاح العالم أو حمار المسيح" ضمن مجموعته القصصية "جبل المقهورين، قصص عن مطرودي الأندلس١٤٩٢-١٩٩٢م" الصادره عام ١٩٩١م.

ثانيًا) أزمة الهوية والإجبار الثقافي في مسرحية "هواجس تظهر في الشرق"

يعبر "دانيائيل لينزيني" في هذه المسرحية عن أزمة الهوية ومحاولة طمس ملامح الهوية اليهودية الشرقية بفرض أنماط ثقافية واجتماعية غربية على يهود المغرب كوسيلة لدمجهم داخل المجتمع الإسرائيلي.

والفكرة الرئيسة في المسرحية، هي التعرض لإشكالية الهوية، من خلال المواجهة بين ثقافتي الشرق والغرب، ليس بهدف طرح حلول وإجابات لتلك المشكلة بقدر ما هي محاولة لتقديم المعطيات بدون أي تحيز. وقد لجأ المؤلف نتيجة لذلك إلى تقديم صور عن واقع الحي اليهودي في المغرب "الملاح" وأنماط التعامل مع هذا الجزء الغامض من حياة هذه الطائفة. ومن أجل ذلك لم يرغب المؤلف في تقديم الهوية اليهودية الشرقية عن طريق عرضها في صور منمقة(مثل، انظروا: لدينا أيضًا ثقافة جميلة وثرية)، بل من خلال الألم والمعاناة(٦٠).

نظرًا لأن المجتمع الإسرائيلي، هو مجتمع مهاجرين فقد كان لابد، بطبيعة الحال، من حدوث صدام بين ثقافات الجماعات المهاجرة إليه. وكان التقاء كل من الثقافة اليهودية الشرقية بالثقافة الغربية السائدة داخل المجتمع الإسرائيلي، أحد أبرز معالم هذا "الصدام الثقافي"، الذي نتج عنه حدوث أزمة حادة للهوية الثقافية لدي اليهود السفاراديم.

ويلاحظ أن المسرحية تهتم بإلقاء الضوء على مشكلة الهوية، ولكنها تعالجها من المنظور الإنساني وليس لها أية علاقة بالجانب السياسي للمشكلة(٦١).

(١) الواقع الثقافي للمجتمع الإسرائيلي

حاول الكاتب المسرحي "دانيائيل لينزيني" تغذية المسرحية ببعض الملامح المميزة لموقف المجتمع الإسرائيلي "الإشكنازي" تجاه يهود المغرب كنموذج لليهود السفاراديم إجمالاً:

(أ)مجتمع متحامل ضد يهود المغرب

" أعلن الموظف ورئيس جوقة المنشدين، بالتناوب، على الجمهور تنويهات مختلفة منها علـى سبيل المثال: "يرجى من حاملي السكاكين من بين أوساط المشاهدين المغاربة أن يودعوها فـي الأمانات. وشكرًا ". أو أيضًا: " تسللت إلى القاعة مجموعة من الباعة الجائلين ينتمـون إلـى طائفة بدائية ويقومون بتوزيع حلوى مشكوك فيها، والإدارة ليست مسئولة عن أي ضرر يلحق بأي فرد من جراء تناوله لهذا الطعام؛ شكرًا." (٦٢) ".

جاء هذا التحذير الأخير أثناء قيام "زايش" بتوزيع قطع من الحلوى على جمهور الحاضرين، بما يعكس أن المجتمع الإسرائيلي ينظر إلى هذه الطائفة اليهودية المغربية على أنها مجموعـة من المجرمين. وقد التصق بيهود المغرب مسمى "مغربي أبو سكين" أو "مغربي مجرم"، وذلـك نتيجة ارتفاع نسبة المجرمين والمنحرفين من أبناء هذه الطائفة (٦٣). كمـا يعـدهم المجتمـع الإسرائيلي مجموعة من الباعة الجائلين محترفي النصب والتسول، وهي نظرة عنصرية تحاول أن تنقص من مكانة يهود المغرب، وتتجنى على المجتمع المغربي الذي نشأوا فيه باعتبار أنهم اكتسبوا كل هذه الرذائل من المجتمع الإسلامي الذي عاشوا في وسطه.

وتهدف هذه المحاولات من جانب المجتمع الإسرائيلي، لإلصاق كل ما هو وحشـي وبـدائي باليهود المغاربة، ولترسيخ الإحساس بالدونية في نفوسهم، باعتبار أنهم يقفـون فـي أدنـى درجات الرقي الثقافي، وهو ما يؤدى بدوره لدفعهم لكراهية ونبذ هويتهم الثقافية والتبرم مـن أية رابطة تجذبهم نحو هذا الماضي أو بمعنى آخر دفعهم لكراهية الذات.

(ب)سيطرة الثقافة الإشكنازية

تفرض ثقافة اليهود الإشكناز مكوناتها وسماتها على مختلف أوجه النشاط الثقـافي داخـل المجتمع الإسرائيلي، وهي بذلك لا تسمح لأية عناصر ثقافية أخرى بالتسلل لهذا المجتمع. فترى أن هناك مئات من كتب النقد الأدبي والمقالات النقدية تخصص للأدباء الإسـرائيليين الإشـكناز لدراسة وتحليل أعمالهم الأدبية مهما كانت درجة تدني الإبداع الفني فيها؛ وعلى ذلك يكون من السهل أن يحظى هؤلاء الأدباء بشهرة واسعة حتى في أوساط العامة وغير المهتمـين بـالأدب لأنهم وجبة يومية في مختلف وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة. لذلك كـان مـن الطبيعي أن يتعرف "زايش" على أحد هؤلاء الأدباء الإسرائيليين الإشكناز دون أن يقرأ لـه أي شئ يذكر:

"داليا [موظفة الشئون الاجتماعية]:...هل تعرف أن أبي هو حاييم نوري؟

زايش : حاييم نوري ...حاييم نوري، الشاعر...حقًا؟

داليا : نعم . هل تعرف أشعاره؟

زايش : سمعت عنها، إنه ذائع الصيت هنا، لكنني لم أقرأ له شيئًا "(٦٤).

وهكذا، تحاول المؤسسة الصهيونية منذ لقائها الأول مع اليهود السفارديم، أن تقضي على الهوية "الشرق أوسطية" لهؤلاء اليهود الآخرين- مثلاً بتهميش تاريخهم في المناهج الدراسية وبتجاهل وسائل الإعلام الإنتاج الثقافي للسفارديم ونشاطاتهم السياسية(٦٥).

ج)الجهل بثقافة يهود المغرب

إذا كان هناك تجاهل للثقافات الأخرى داخل المجتمع الإسرائيلي، وتسليط الضوء فقط على الثقافة المميزة لليهود الإشكناز، فإن هذا أدى بدوره لخلق نوع من الجهل بتلك الثقافات التي من بينها ثقافة يهود المغرب:

" زايش :... أنا زايش، أنا ...

روائح عطرية نادرة ومنسية

تخدر جروحي المفتوحة

نغمات تخفق في قلبي

كل كلمة تتراقص في صوتي

أنا زايش ...

الموظف: (يقاطعه) لتتوقف عن هذا !! ويمسكه من ذراعه ويخرج معه للخارج. وتكرر جوقة المنشدين السطور التالية: "الثقافات البدائية في أيامنا هذه... "."(٦٦).

تستهل هذه الفقرة بترديد زايش لاسمه تعبيرًا عن اعتزازه به، في رمزية واضحة لتراث اليهودي المغربي، لكن جهل المؤسسات الإشكنازية بتراث يهود المغرب أدى إلي إيجاد نوع من عدم الاحترام والاستهزاء بهم وبما يحملونه من ثقافة وتراث، ومن هذا المنطلق توصف بأنها بدائية ومتخلفة.

ويبرز هذا الجهل في موضع آخر، عندما يشرع الموظف "ممثلاً عن السلطة الإشكنازية الحاكمة" في تغيير اسم "زايش"، الذي يعد بالنسبة لزايش السمة الخارجية الممثلة لهويته الثقافية، والتخلي عنها يعني التخلي عن هويته، لكن كل هذا لا تعرفه الجهات السلطوية:

" جوقة المنشدين:... تؤمن جميع الشعوب البدائية بأن الاسم ليس مجرد سمة خارجية وعفوية بل توجد رابطة بينه وبين روح الشخص الذي يحمله. ومن يعرف اسم شخص ما يستطيع أن يستخدمه في أعمال السحر الضارة، ومن يمحو الاسم يعرض حياة الإنسان للخطر. فلا تنتقوا الأسماء بأسلوب اعتباطي"(٦٧).

(٢) نموذج لسياسة التجهيل والإجبار الثقافي

تمارس السلطات الإسرائيلية سياسة الاضطهاد الحضاري ضد يهود "البلاد الإسلامية":ليس في المناهج الدراسية فحسب وإنما في جميع نواحي الحياة؛ مثل: الإذاعة الصوتية والإذاعة المرئية والأدب والمسرح...إلخ. وتصور هذه الوسائل الإعلامية يهود"البلاد الإسلامية" كأنهم "بدائيون"، لا يملكون أية سمات حضارية عدا التراث الشعبي، وتحاول طمس هويتهم العربية الإسلامية(٦٨)؛ سعيًا نحو فرض الثقافة الإشكنازية ذات الطابع الغربي لخلع التراث الشرقي عن اليهود، ولدفع اليهود السفاراديم قسرًا نحو مسيرة الحداثة، وذلك على غرار ما فعله اليهود خلال فترة الهسكالاه(٦٩) من اللجوء للتمثل بالنمط الأوروبي الغربي والتخلي عن الطابع اليهودي المغرق في الدينية والانعزالية لأنه يذكرهم بصورة اليهودي البائس الذليل في حواري الجيتو الكئيب.

هذا، وقد اتخذ مشروع تحديث يهود الشرق الأوسط أشكالاً عديدة، مثل: الفصل بين الأسر، وتحقير الزعماء التقليديين، وتشتيت الجماعات، والعزل في الإسكان، ومحو التعليم والإعلام لتاريخ اليهود العرب والسفاراديم وثقافتهم وهويتهم(٧٠).

وقد تعاملت معهم المؤسسات الإسرائيلية على أساس أنهم قادمون من مجتمعات بدائية ومتخلفة، لذلك كان لابد من إخراجهم من أوضاعهم البدائية من حالات الفقر والجهل والخرافة وإدخالهم لمجتمع غربي حديث يتسم بالتسامح والديمقراطية والقيم الإنسانية. لكن عملية التحديث هذه، هي تعبير مخفف للدلالة على فك نسيج الثقافة السفارادية.

كانت الرغبة غير العادية من أغلب اليهود "الإشكنازيم" في نسيان ماضيهم، والتخلص منه هي التي أدت، من جهة، إلى نبذهم لليهود "السفاراديم". كما أدت، من جهة أخرى، إلى التحول الخطير عن تقاليدهم الأصيلة وثقافتهم القديمة. وتكاد تتفق معظم التحليلات السيكولوجية التي كتبت بأقلام يهودية، على أن اليهود "الإشكنازيم" لا يزالون عن وعي أو عن غير وعي، يخجلون من ماضيهم، ولكي يقنعوا أنفسهم بأنهم أصبحوا الآن من الجنس الأبيض الفاتح، تسيطر عليهم حاجات ملحة لإبداء الازدراء للعناصر التي تتشابه معتقداتها وعاداتها مع

معتقدات وعادات أجدادهم. ومن هنا، فإنهم يشعرون بنزعة قاهرة للاستخفاف باليهود السفارديم والعرب على حد سواء لإرضاء كبريائهم([٧١]).

وحرصًا منهم على صبغ المجتمع بالصبغة الغربية العلمانية كان لابد من إعادة تشكيل الشخصية السفاردية([٧٢])؛ وجاءت عملية الإجبار الثقافي وتغيير الهوية الثقافية المميزة لليهودي المغربي (زايش) على مرحلتين: (أ)تغيير السمات الخارجية المادية للهوية ذات السمات الشرقية، (ب)تغيير السمات الداخلية الروحية للهوية ذات السمات الشرقية.

هكذا، تطلب استيعاب المجتمع الإسرائيلي للمهاجرين السفارديم قبولهم للإجماع القائم في المجتمع المتلقي والتخلي عن التقاليد السابقة على المجتمع الحديث. وبينما كان متطلبًا من المهاجرين الأوروبيين مجرد الذوبان، كان متطلبًا من مهاجري أفريقيا وآسيا الذوبان والتحديث. وضمن هذا الخطاب تعين على اليهود الشرقيين أن يمروا بعملية نزع اجتماعية–أي مسح هويتهم الثقافية، ثم إعادة تشكيل اجتماعي تمثل طريقة الحياة الإسرائيلية([٧٣]).

ولكن قبل الخوض في عملية التغيير يجب أولاً أن نتعرف على حالة "زايش" قبل حدوث عملية التغيير وما كان يتصف به، لكي يكون من السهل تمييز ما يحدث له من اختلاف، ومن أبرز سمات " زايش " ما يلي:

- كان الطابع الشرقي واضحًا جدًا على "زايش"، فملابسه ملابس شرقية صرفة، كما أن تصرفاته عند بداية دخوله للمسرح كانت متأثرة بالعادات العربية، مثل الكرم والبشاشة والترحيب الحار بالحاضرين:

"يقوم زايش بتوزيع قطع حلوى وخبز شرقي مصحوبة بعبارات ترحيب عربية... وهو يرتدي "جلابية"، و"بَبوشا" (٧٤)في قدميه، وطربوشًا على رأسه"(٧٥).

- حبه الشديد لذاته وهويته واعتزازه ببلده وأصوله المغربية وتغنيه بذلك:

" زايش : ...أنا زايش، من المغرب

أنا زايش اليهود...

أنا زايش ... "(٧٦).

هكذا، كان "زايش"معتزًا بأصوله فخورًا بهويته. وليس هناك أدنى شك في أنه أراد بإعلانه عن جذوره أن يخبر الجميع بأنه متمسك بها ولا يتبرأ منها.

(أ)تغيير السمات الخارجية المادية للهوية ذات السمات الشرقية

ومن أبرز السمات الخارجية المميزة لأية هوية هي الاسم والملبس، ومن هنا بدأت أولى خطوات تغيير هوية "زايش"، حيث فرض عليه اسم جديد وملابس مختلفة لا تناسبه، لكي يكون مماثلاً لأفراد هذا المجتمع ويسهل عليه الاندماج معهم.

[١/أ] تغيير الاسم

يشير العهد القديم في أكثر من موضع إلى عادة تغيير الأسماء، حيث تغير اسم "أفرام" إلى "أفراهام" (التكوين ١٧: ع ٥)، وزوجته "ساراي" إلى "سارة" (التكوين ١٧: ع ١٥)، و"يعقوب" إلى "يسرائيل" (التكوين ٣٥: ع ١٠) وارتبطت عملية التغيير هذه في الثقافة اليهودية القديمة بتجديد عهد الرب مع الآباء بمنحهم الأرض ومباركة النسل عهدًا أبديًا لهم ولمن يخرج من صلبهم. وسارت الحركة الصهيونية على هذا النهج وشرعت في تغيير أسماء المهاجرين إلى فلسطين ومنحهم أسماء عبرية أصيلة بدلاً من أسمائهم الشتاتية التي تذكرهم بالشتات وحياة الجيتو في محاولة منهم لتجديد فكرة العهد. وخضع زعماء الحركة الصهيونية لهذا المبدأ فأصبح "دافيد جرين" يسمى "دافيد بن جوريون"(٧٧)، و"موشيه شرتوك" يسمى "موشيه شاريت(٧٨)"، وتحول اسم "ليفي شكولنيك" إلى "ليفي أشكول" و"يتسحاق شيمشيليفيتس " إلى "يتسحاق بن تسفي(٧٩)". ولذا كان لابد على مهاجري المغرب أن يمروا بمرحلة التحول هذه طوعًا أو كرهًا، حيث تحول "زايش" إلى "زوهر"، و"أرمند" إلى "بر جيورا"، و"إيزاك" إلى "يتسحاق" و"يعيش" إلى "إيرز"؛ كوسيلة لخلق مجتمع عبري جديد على أرض فلسطين ليست له أية علاقة بالماضي اليهودي في الشتات، ويتضح هذا النهج من خلال المشهد التالي:

" الموظف: زوهر!

زايش : زايش، أنا زايش!

الموظف: هذا الاسم لا يعني شيئًا. هذا الاسم ليست له قيمة، هذا الاسم مثل الهواء ! يا زوهر!...إنك تولد بلا اسم، وهم يمنحونك اسمًا، وبإمكانهم إطلاق أي اسم آخر عليك. وبالمصادفة، منحوك هذا الخليط من الحروف، بدون أن يكون له أي معنى، وله رنين غامض، وأنت متمسك به لأنك اعتدت عليه، لكن هذا أمر لا قيمة له، يا زوهر!

زايش: زايش، إنهم يدعونني...

الموظف: زوهر، مثل طوهر، حصلت على اسم وليس على هوية هويتك ليست في كلمة بل بما تقدر على أن تمنحه لك، الاسم هو مجرد مسلمة اجتماعية، الاسم هو ما يريد الأب والأم أن

يمنحانه لك بتوصية من العمة أو من الجدة، اسمك لا يحدد أوصافك، إنه يكشف نوايا أو تباهي والديك وأقربائك، وفي حالتك هذه، فإن اسمك يعرض لنا فظاظتهم وجهلهم، ولذلك تتاح أمامك الفرصة لتغير وضعك وتختار هذا النور المتلألئ لاسم زوهر–وطوهر، اسمك الآن هو زوهر!"(٨٠).

يعكس هذا الحوار بين الموظف و"زايش" مدى التعالي الممزوج بروح التسلط الفظ ضد يهود المغرب، بالإضافة للاستهزاء والسخرية من ثوابت ومسلمات المجتمع الذي نشأ فيه "زايش". ويواصل الموظف مجادلة "زايش" حتى يتمكن من فرض الاسم الجديد عليه:

" الموظف:...ومن أقنعك بأن كلمة الهوية مرتبطة بكلمة الاسم؟ لماذا الهوية بالذات؟ لماذا الاسم بالذات؟ اسم الهوية أو هوية الاسم؟ من يسبق من؟ الاسم يسبق الهوية، الهوية تسبق الاسم؟ من قال إن هناك علاقة بينهما. لنترك هذا وخذ اسمك الحقيقي، هذا سيمنحك إجازة مرور لعالمنا، هذا سيعطيك لونًا للتنكر الذي تحتاجه كي تذوب داخلنا، لأن الاسم هنا هو أمنك، هو الحلقة التي تربطك بالسلسة البشرية، أنت زوهر وكفى!

زايش: زايش

الموظف: زوهر، زوهر، زوهر، زوهر...(لم يتوقف عن ترديد الاسم) ...

زايش: زايش، زوهر، زوهر، زايش، زوهر، زوهر، زو–هر، زو–هر، زو–هر...

الموظف: جميل، استمر، مرة أخرى، زو–هر، زو–هر!

زايش: زو–هر، زو–هر، زوهر(أخذ يردد الاسم الآن دون توقف) "(٨١).

يتعمد الموظف هنا خداع "زايش"، بإيهامه بأن تغيير الاسم سيتيح له الذوبان في هذا المجتمع، ولكن هذا التنازل ليس آخر المطاف، بل هو البداية:

"الموظف:..." زوهر! في هذه اللحظة، أنت على وشك لجتياز الحد الفاصل بين عالمك وعالمنا. هذه هي خطوة أولى مهمة، لكن مما لا شك فيه أنك ستحتاج أن تخطو خطوات أخرى نحو بناء عالمك الجديد، حينئذ ستكتشف أن النور السماوي عندنا قوي جدًا." "(٨٢).

ومن هنا تبدأ الخطوة الثانية لتغيير الملامح الخارجية لهوية زايش، ألا وهي تغيير الملبس.

[٢/أ] تغيير الملبس

" الموظف: ...انزعي عنه الملابس.

المرأة: (تخلع عنه الجلابية) " إنني أجردك من هذه الملابس وأحرر جسدك من آلام الشتات. الآن يجب عليك أن ترمي وراء ظهرك ذكرياتك المؤلمة. يجب عليك أن تركز على المستقبل وعلى اختيارك الصادق للتقدم الإنساني. " "(٨٣).

وبدلاً من هذه الملابس الشرقية، أجبر "زايش" على ارتداء ملابس عصرية كاملة(قميص، سروال، وجاكيت وربطة عنق). وإلى هنا، تنتهي المرحلة الأولى للتغيير المادي، لينتقل للمرحلة الأكثر صعوبة وأهمية وهي مرحلة التغيير الروحي.

(ب)تغيير السمات الداخلية الروحية للهوية ذات السمات الشرقية

تتميز هذه المرحلة بأنها الأكثر قسوة وإيلامًا لنفسية "زايش"، وتشتمل على خطوتين: الأولى، دفعه لطعن قبر أمه التي توفيت توًا، والثانية، تشويه كل ذكرياته الجميلة عن موطنه الأصلي المغرب.

[١/ب] فصله عن جذوره الروحية

تسعى هذه الخطوة إلى قطع كل أواصر الاتصال الوجداني والعاطفي التي تشد "زايش" لعالمه الشرقي وتخليصه من كل رواسب الماضي. والسبيل الوحيد لتحقيق هذا المأرب، هو إجبار "زايش" على طعن قبر أمه، وما تمثله الأم من معان في حياة "زايش"، فهي رمز لكل الموروثات الثقافية من عادات وتقاليد ومعتقدات اكتسبها "زايش" من مجتمعه الشرقي وهي رمز للماضي الجميل الحاني:

" رئيس جوقة المنشدين: زوهر، المدعو زايش، أنت الآن على وشك أن تخطو خطوة واحدة نحو الاندماج النهائي. وقع بهذا السكين على قبر أمك الحديث طيب الله مثواها، واقطع الحبل السري الذي يربطك بالماضي. حان الوقت لتقطع عهدًا مع مستقبلك. لتنهي العادات الشيطانية، لتنهي السحر الأسود، الروائح الخانقة...كفي أحلامًا، كفى ذكريات، اطرد من نفسك هذا الشيطان البربري، لتقتلعه، لتطيح به، لتسحقه، لتدمره، لتطعنه!!!

جوقة المنشدين:(معًا) اطعنه!! اطعنه!!

زايش: (يقاطعهم بصرخة حادة، ويرفع يديه بالسكين ويلوح بها عاليًا) آه!!!(تجمد الجميع في أماكنهم، ينزل زايش يديه للوراء تدريجيًا، وبقوة حزينة يقول:) لن أواصل اللعب.(يلقي بالسكين على الأرض بحركة متعبة...) "(٨٤).

من الصعب على "زايش" أن يقطع بيديه كل الروابط التي تربطه بالماضي، لكنه تنازل من قبل وعليه الآن أن يواصل هذا الطريق بإرادته أو بدونها؛ فلن يسمحوا له بالتراجع:

" الموظف:...زوهر، يجب أن تستمر.

زوهر: لن أواصل اللعب. اسمي زايش.

الموظف: زوهر...

زايش: زايش!

الموظف: زوهر، لتتوقف عن هذه التصرفات الشتاتية.

زايش: لن أواصل اللعب.

الموظف: زوهر، لا تجبرنا على استخدام القوة معك!...لترفع السكين الذي ألقيته...

زايش: دعني وشأني!

الموظف:(إلى رئيس جوقة المنشدين، باستسلام) تكفلوا به.

رئيس جوقة المنشدين: امسكوه!(ينقض كل أفراد الفرقة على زايش، ويمسكونه ويطرحونه أرضًا بالقرب من قبر أمه. ويمسك رئيس جوقة المنشدين بالسكين ويدفعها ليد زايش. ويرفع الجميع يده وبها السكين وبكل قوة يطعنون أرضية القبر...) "(٨٥).

ورغم ما تحمله هذه الخطوة من عنف ووحشية إلا أنها لم تكن آخر المطاف، فمرحلة التغيير لم تتم بعد وعملية نزع " زايش " من عالمه القديم ومن هويته الشرقية ما زالت تنقصها خطوة أخرى.

[٢/ب] تشويه صورة جنة عدن

إن ذكريات جنة عدن التي تداعب خيال العديد من الأدباء الإسرائيليين وخاصة من ذوي الأصول اليهودية الشرقية منهم، هي تلك الذكريات الجملية العالقة بأذهانهم عن موطنهم الأصلي. فعندما يحسون بمرارة وقسوة الواقع الأليم داخل المجتمع الإسرائيلي؛ يهربون إلى داخل هذه الذكريات الجملية لتكون ملاذًا لهم وسلوى لأحزانهم. ورغم أنها تشتمل على العديد من الصور السلبية، لكنهم لا يلتفتون إليها ولا يهتمون بها. ومن أبرز من عبروا – على سبيل المثال لا الحصر– عن حنينهم لموطنهم الأصلي من بين الأدباء الإسرائيليين السفارديم:

"أمنون شموش" في رواية "ميشيل عزرا سفرا وأبناؤه ١٩٧٨م"، و"يتسحاق جورميزانو جورين" في روايته "صيف سكندري ١٩٧٨م، و"شمعون بلاص" في مجموعته القصصية "في المدينة السفلي ١٩٧٩م"، و"سامي ميخائيل" في رواية "حفنة من الضباب ١٩٧٩م وأيضًا في رواية "فيكتوريا ١٩٩٣م"، و"إيلي عامير" في روايتيه "ديك الفداء ١٩٨٤م و"مطير الحمائم ١٩٩٣م".

وفي هذه الأعمال تعبير صريح عن حنين أغلب الأدباء الإسرائيليين من أصول يهودية شرقية للماضي (العراقي) عند ميخائيل، و(السوري) عند شموش و(المصري) عند جورميزانو. ذلك الماضي الذي وصف على أنه جنة عدن المفقودة في مقابل الأرض الموعودة (٨٦).

وفي مسرحية "هواجس تظهر في الشرق"، عمدت الجماعات الحاكمة في المجتمع الإسرائيلي إلى قطع خط العودة على "زايش" وأمثاله، وذلك عن طريق تزييف واضح وتشويه متعمد لذكرياته الجميلة عن جنة عدنه وتسليط الضوء على ما بها من سلبيات ونقائص ووضع هذه النقاط السوداء في حجم أكبر من حجمها الطبيعي.

ومن هذا المنطلق، تبدأ صور شديدة القتامة في التتابع من داخل "الملاح" المغربي، صور مفعمة بكل أشكال التدني والاضطهاد الذي يتعرض له اليهود في المغرب:

"الأميرة: ...هاهو الملاح العفن الذي تصل رائحته الكريهة لنوافذ القصر. يهود سفهاء! لتتوقفوا عن السعال! إنني اسمع صوت أنفاسكم وهي تحاول استنشاق العطر المسكر الذي يفوح من جسدي." (٨٧).

تتلاحق صور الظلم والاضطهاد، موضحة مدى ما يتعرض له "الملاح" من سلب ونهب وتخريب على أيدي العرب أو على أيدي القبائل البربرية التي توصف "بالمتوحشة":

"تآمرت جميع القبائل البربرية من المنطقة ومن أماكن أخرى للانقضاض على الملاح، وسرقته وتدميره"(٨٨).

ويشار في هذا السياق أيضًا إلى أن اليهود في المغرب لم يسلموا من بطش وقهر الوجهاء وأصحاب النفوذ من المسلمين المغربيين:

"كان يوجد في مكناس شخص عربي "شريف" [من الأشراف من نسل آل البيت]، وكان إنسانًا فظًا قاسيًا وكارهًا لليهود واسمه "مأمون". اعتاد دخول الملاح، ليسرق ويخطف، يطارد النساء العذارى ويضرب كل من يقع تحت يده"(٨٩).

وإلى جانب هذه الصور المخزية للقهر والاضطهاد، يأتي بعد ذلك تصوير اليهود بالمغرب على أنهم مجموعة من المتسولين يعيشون على هامش المجتمع. وتنتقل الأحداث من مكان إلى آخر بصحبة مجموعة من المتسولين: فمن بيت حاخام يهودي مغربي يعالج المرضى، إلى المشاركة في ختان طفل صغير، إلى حفل زفاف، ثم توزيع قمح وملابس وأقمشة حتى الوصول إلى باب المعبد للحصول على صدقات من المصلين. وفي هذه المشاهد نلمس مدى الفقر والجهل والإغراق في عالم التخلف والانحطاط الثقافي الذي يعاني منه اليهود في المغرب.

نتيجة لكل هذه الضغوط القوية الناتجة عن ألوان الاضطهاد والظلم التي عانى منها اليهود بالمغرب، كما صورته المؤسسة الحاكمة في إسرائيل، لم يعد في ذهن "زايش" سوى الجانب السلبي المظلم للملاح وللمغرب "جنة عدن".

وهنا تنتهي مرحلتا التغيير ويكون "زايش" متأهبًا للاندماج داخل المجتمع الجديد، بعد أن سلب منه كل شئ وأصبح إنسانًا خاويًا مشوشًا بلا إرادة. وتنتهي أحداث المسرحية بمشهد يكاد يماثل مشهد البداية، لكن مع الفارق فزايش الأول كان شرقي الطبع والتطبع، شرقيًا قلبًا وقالبًا أما الآن فقد تغير الوضع:

" رئيس جوقة المنشدين:(موجهًا كلامه لزايش) تستطيع أن تواصل.

زايش: ...لقد انتهيت.

رئيس جوقة المنشدين: انتهيت ؟! ليس بعد، ما يزال هناك أمر صغير. (ينادي نحو الخارج) أيها الموظف! (يدخل الموظف) إنه ملك يمينك. (ويخرج).

الموظف:(يقف أمام زايش، ويفتح ملفًا) اسم العائلة واسمك؟ "(٩٠).

ولم تتضمن نهاية المسرحية اية إشارة صريحة لما سيؤول له حال "زايش"، هل خضع "زايش" لعملية التذويب؟ أم هل قاوم وصمد؟. وقد ترك المؤلف الباب مفتوحًا لكافة الافتراضات الممكنة. لكن المشهد الأخير يساعد، بعض الشيء، على التوصل للنهاية الواقعية: حيث يظهر أعضاء الفرقة وهم يرددون أسماء بعض العائلات اليهودية ذات الأصول المغربية بما يوحي بأن عملية التذويب وطمس الهوية اليهودية الشرقية لم ولن تقتصر على "زايش" وحده، بل على جميع أبناء طائفته وجميع اليهود المنحدرين من أصول يهودية شرقية:

" الفرقة: عمار اسولين دنينو

اوحنا وتوليدانو

ايلوز بن عالي بوسكيلا

ساسون بن عافي وازانا

ابن هاروش مامان حليوى

ابن حاموس جباي بن دوسا

عطية وعكنين بردوجو

ابن سعديا مرتسيانو"(٩١).

ولأنهم يتعاملون مع يهود المغرب من منظور أنهم أكثر تخلفًا وبدائية وليس لديهم إمكانات للتقدم والتطور، لذا يشرعون دائمًا في استخدام الأسلوب المتسلط معهم ويجعلون من أنفسهم أوصياء على أنماط حياتهم المختلفة. وربما كانت هذه المحاولات المكثفة لتغيير ملامح الهوية الثقافية المميزة ليهود المغرب هي إحدى هذه الأساليب المتسلطة التي تهدف ظاهريًا لدفع يهود المغرب قدمًا للتطور، وإن كانت تهدف فعليًا لتقويض دعائم الواقع الثقافي لهذه الجالية.

يقول "شلومو بن عامي" حول أسلوب معاملة الإشكناز مع السفاراديم: " توجد هنا عملية وصاية. ربما جاز اعتبارها وصاية كولونيالية، أو نيو-كولونيالية. توجد هنا فرضية تقول: إن الآخرين، الأغراب، لا يفهمون لغة الحوار التي نستخدمها. وتوجد هنا ثقافة سياسية لجيل قام بعملية الاستيعاب، ولم يتخل بعد عن مكانته هذه. فهو على الدوام يواصل القيام بعملية استيعاب الآخرين، وعلى الدوام يقوم بتعليمهم (٩٢)".

ومن ذلك نرى أن المؤسسة الحاكمة في إسرائيل تؤمن بإحدى نظريات علم الاجتماع، التي جاء تفسيرها في افتتاحية المسرحية، حول تصنيف الجماعات البشرية، ونشرها عالم الاجتماع الأمريكي "لويس هنري مورجان" في كتابه "المجتمع القديم" عام ١٨٧٧م، الذي ذكر فيه: " إنه من الممكن تصنيف "القبائل والشعوب"، في الماضي والحاضر،إلى ثلاثة أقسام: "الهمجية"، و"البربرية" و"المتحضرة". وهي مراحل مختلفة في مسيرة التقدم المادي...وهي مراحل ترتبط ببعضها البعض في تتابع طبيعي إجباري في مسيرة الرقي البشري...ويرى أن الإنسان المتحضر يتفوق بدون شك على الهمجي والبربري في الحاضر والماضي(٩٣)".

ومما لا شك فيه، أن إيمان المؤسسة الحاكمة في إسرائيل بمثل هذه النظرية؛ هو الذي دفعها للاعتقاد بأن ثقافة يهود المغرب ثقافة بدائية متخلفة، لا ترقى بأي حال من الأحوال لمستوى الثقافة السائدة داخل المجتمع الإسرائيلي التي تحمل الطابع الغربي. لذلك عمدوا إلى تجريد يهود المغرب من ثقافتهم بادعاء مساعدتهم على سهولة الاندماج والتوحد داخل المجتمع الجديد.

لكن لماذا حكموا على ثقافة يهود المغرب بأنها متخلفة؟ ربما يرجع ذلك إلى أنهم استخدموا معايير وأدوات الثقافة الغربية السائدة داخل المجتمع الإسرائيلي للحكم على الثقافة اليهودية المغربية فيما إذا كانت بدائية أم لا. وهو أسلوب خاطئ، نظرًا للاختلاف الواضح بين الثقافتين فجاءت النتيجة في غير صالح يهود المغرب.

وتذهب الأغلبية الساحقة من علماء علم الاجتماع حاليًا في اتجاه مغاير لما ذهب إليه "مورجان" في نظريته السابقة. حيث يؤكدون أن الثقافات إذا وصفت بأنها بدائية، فذلك ليس بسبب كونها في مرحلة تخطتها الثقافات المتحضرة منذ آلاف السنين، ولكن بسبب أنها تتميز ببعض الملامح والسمات التي تختلف مع تلك السمات التي ترتبط بمفهوم "متحضر"(٩٤).

وقد أحدث السعي المستمر لتحقيق الادعاء الصهيوني بأن إسرائيل هي "بوتقة صهر للجماعات اليهودية المهاجرة إليها حيث تذوب فيها كل الفروق والاختلافات، آثارًا عكسية أثرت بالسلب داخل المجتمع الإسرائيلي خاصة على اليهود السفارديم. وأصبحوا مثل الممسوخ بلا ملامح، بعد تجريدهم من سماتهم اليهودية الشرقية الداخلية منها والخارجية، وإجبارهم على تبني ثقافة غربية لا تعبر عنهم ولا تتوافق مع طبيعتهم. وأخذت تلازمهم بعض المشاعر التي لازمت اليهودي الجيتوي من الإحساس بالغربة، والشتات، والدونية، وكراهية الذات واحتقار البيئة التي نشأ فيها والنفور من العادات والتقاليد التي تربى عليها لما تحمله من جهل وخنوع. وكأنما يجب علي اليهود السفارديم في إسرائيل أن يمروا بجميع المراحل التي مر بها اليهودي الجيتوي في شرق أوروبا، ويحسوا بجميع المشاعر المؤلمة التي لازمته، ويكرهوا هويتهم كما كرهها، وأن تكون علاقتهم سلبية بماضيهم والبلاد التي احتضنتهم تمامًا مثل اليهودي الجيتوي، وهنا فقط يمكن استيعابهم وقبولهم داخل المجتمع الإسرائيلي. وبعد كل هذا، يتضح أن المجتمع الإسرائيلي لم يكن بأي حال من الأحوال "بوتقة صهر" كما يزعم دعاة الفكر الصهيوني، بل تحول المجتمع الإسرائيلي إلى "بوتقة قهر" ثقافي واجتماعي خاصة لليهود السفارديم وعلى رأسهم يهود المغرب.

الهوامش:

(١) **Paytan:** " شاعر ديني ومنشد" يصاحب الحازان، الذي يؤم المصلين اليهود في المعبد، بإنشاده الأشعار الدينية.(أليفا مولر لينتست "محررة"، حياة اليهود في المغرب، إصدار ستافيت، القدس، الطبعة الثانية منقحة، ١٩٨٣، (ص ٢٦٦)، [بالعبرية].

(٢)القبالاه: علم التصوف اليهودي، وهو علم المعرفة بالتأويلات الباطنية التي يعمل بها "القباليون" أي العارفون بالفيض الأهي...وتنقسم "القبالاه "إلى: "القبالاه" القديمة على النحو الذي تبلورت به في القرن ١٣ في كتاب "الزوهر" الذي يحتوي على فلسفتها الرئيسة، و"القبالاه" العملية، على النحو الذي تبلورت به في القرن ١٦ في القبالاه اللوريانية نسبة إلى ربي يتسحاق لوريا (رشاد عبد الله الشامي، القوى الدينية في إسرائيل، مرجع سابق، ص ٣٤٥).

(٣) الزوهر:"الضياء" كتاب القبالاه الأساسي الذي يرجع بداية ظهوره إلى أواخر القرن الثالث عشر وهو يتضمن التفاسير التي تتناولها القبالاه باتجاهيها العلمي والنظري. وكتاب الزوهر كتاب مجهول المؤلف(منى ناظم، المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية، سلسلة نحن وهم –١– سلسة ثقافية قومية تصدرها مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع، دولة الإمارات المتحدة، أبو ظبي، ١٩٨٦م، ص ١٧٤).

(٤)المسيحانية: يأتي مفهوم المسيحانية لتعويض مشاعر النقص وحالة الدونية التي سقط فيها بنو إسرائيل، في إثر حالة الانكسار العسكري والهزائم المتلاحقة التي مني بها بنو إسرائيل التي انتهت بهم إلى السبي الآشوري عام ٧٢٢ قبل الميلاد، والسبي البابلي عام ٥٨٦ ق.م وهي الحالة التي وصلت ذروتها في العصر الروماني عام ٧٠م بالشتات الكامل في أنحاء الأرض مما فرضته عليهم الإرادة الإلهية عقابًا عادلاً عما انخرطوا فيه من ضروب الفساد الأخلاقي، والانهيار الديني والانحراف بالعقيدة عن مسارها الصحيح إلى مسار الوثنية والشرك بالرب (المرجع نفسه، ص١٨).

(٥)المرجع نفسه، (ص٢٤).

(٦)رشاد الشامي، القوى الدينية في إسرائيل، مرجع سابق، (ص١٢٨).

(٧)محمد خليفة حسن، مرجع سابق، (ص ص ٢٠١–٢٠٢).

(٨)يوم الرب: أو يوم يهوه، هو مفهوم وارد في أسفار الأنبياء يشير إلى الاعتقاد في مجيء يوم للرب يحل فيه عقاب الرب "يهوه" على الآثمين من بني إسرائيل أو من تسببوا في اضطهادهم من الأمم الأخرى وهو اليوم الذي ينتصرون فيه على أعدائهم وتنتشر فيه نوع من السعادة بين الشعوب(منى ناظم، المسيح اليهودي، مرجع سابق، ص ٢٥).

(٩)يسرائيل كالوت، "صهيونية ومسيحانية والعالم الآخر"، في: تسفي بريس "محرر"، مسيحانية، مجموعة مقالات، إصدار مركز زلمان شزار، القدس، ١٩٨٤، (ص ٤٢١)، [بالعبرية].

(١٠)رشاد عبد الله الشامي، القوى الدينية في إسرائيل، مرجع سابق، (ص ص ١٢٨–١٢٩).

(١١)محمد خليفة حسن، مرجع سابق، (ص ٢٢).

(١٢)جفريئيل بن سمحون، بوزميما، مرجع سابق، (ص ٢٦١).

(١٣)الجابي: من تعينه السلطات الربية اليهودية لجمع الصدقات وتحصيل الضرائب المفروضة على الطائفة اليهودية.

(١٤) جفريئيل بن سمحون، ملك مغربي، مرجع سابق، (ص ٤١).

(١٥) المرجع نفسه، (ص ٥٣، ٥٤).

(١٦)تقع مدينة ميدلت في منطقة جبال أطلس الوسطى، بينما تقع مدينة وزان في جنوب غرب منطقة الريف المغربية.

(١٧)المرجع نفسه، (ص ٢٨).

(١٨)المرجع نفسه، (ص ٦١).

(١٩)جفريئيل بن سمحون، بوزميما، مرجع سابق، (ص ٢٧٩).

(٢٠)جفريئيل بن سمحون، ملك مغربي، مرجع سابق، (ص ٦٦).

(٢١)صلاة القمر:يقيم اليهود الأرثوذكس إحتفالاً دينيًا تكريمًا للقمر؛ فالتقويم اليهودي يعتمد على السنة القمرية. يقام هذا الاحتفال في الفترة ما بين الرابع عشر والسادس عشر من الشهر ومبرر هذا، أن اليهود يحسبون تجدد دورة القمر، وتحوله التدريجي من حالة الهلال إلى حالة البدر، بمثابة رمز لتجدد حياهم.(هارلي لوتسك، عادات وتقاليد اليهود، تعريب: مصطفى الرز، دار سلمى للنشر والتوزيع، ١٩٩٤م، ص٥٩).

(٢٢)جفريئيل بن سمحون، ملك مغربي، مرجع سابق، (ص ١١).

(٢٣)جفريئيل بن سمحون، بوزميما، مرجع سابق، (ص ٢٤٩).

(24) لمزيد من التفاصيل انظر: أحمد الشحات هيكل، زيارة قبور "الصديقين" بين الماضي المغربي والحاضر الإسرائيلي، مجلة القدس، عدد ٥٥، يوليو ٢٠٠٣، مركز الإعلام العربي، القاهرة، (ص ص ٨٠- ٨٩).

(٢٥) الصديقين: وهو مصطلح خاص بالمعتقدات اليهودية، وله نفس النطق في العبرية " تساديق" ويسبق اسمه لقب "ربّي " أي أستاذ.وهو شخص يتمتع بخصال روحانية خاصة تؤهله لأن يقوم بدور "الرسول" أو "الوسيط"، بين العوالم العليا والعوالم السفلى (بين الخالق والمخلوقات)، وقوة "الصديق" هي قوة هائلة فهو يمتلك قدرات إعجازية سواء في حياته أو بعد مماته، ومكانته تفوق مكانة الملائكة، ولا يمارس تأثيره عن طريق دراسة التوراة، بل عن طريق إيمانه وتأمله الصوفي. ويطلق على "الصديق" الآن في إسرائيل لقب "الأدمور"، وهو اختصارًا للكلمات العبرية التي ترجمتها: "سيدنا، وأستاذنا ومعلمنا".(لمزيد من التفاصيل انظر: رشاد عبد الله الشامي، القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، مرجع سابق، ص ص ٢٥٠-٢٥٣).

(٢٦)جفريئيل بن سمحون، بوزميما، مرجع سابق،، (ص ٢٤٧).

(٢٧)المرجع نفسه، (ص ٢٤٩).

(٢٨) شلومو بن عامي:ولد في طنجة بالمغرب ١٩٤٣م، هاجر مع أسرته إلى إسـرائيل عـام ١٩٥٥م.درس في الجامعة العبرية وجامعة أكسفورد. انتخب عضوًا في الكنيست منذ عام ١٩٩٦م، وهو أحد قادة حزب العمل من اليهود الشرقيين، شغل في حكومة باراك عدة مناصب وزارية منها:وزير الأمن العام ثم وزير الخارجية. وهو أستاذ للتاريخ، وقد تولى من قبل منصب عميد كلية التاريخ في جامعة رامات أبيب.(انظر: أحمد خليفة وخالد عايد "إعداد"، "الانتخابات الإسرائيلية أيار/مايو١٩٩٩م: وثائق تأليف الحكومة الجديدة والنتـائج الـبرامج الانتخابية"، مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد ٣٩، صيف ١٩٩٩م، بيروت،، ص ص ١١٥-١١٦).

(٢٩)آري شفيط "محاور"، "مقابلة مع عضو الكنيست شلومو بن عامي (مقتطفات)"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٣٦، خريف ١٩٩٨م، بيروت، (ص ١٤٠).

(٣٠) السمباتيون: اسم نهر أسطوري ورد ذكره في التلمود وفي الأساطير اليهودية فيما وراء جبال القاف يقـذف الحجارة طيلة أيام الأسبوع الأمر الذي يحول دون عبوره ولكنه يستريح في السبت (دافيد سجيف، قـاموس عبري عربي للغة العبرية المعاصرة، دار نشر شوكن، أورشليم وتل أبيب،١٩٩٠م، ص ١٢٥٥).

(٣١)جفريئيل بن سمحون، بوزميما، مرجع سابق، (ص ٢٥٦).

(٣٢)سعديا جاءون: سعديا بن يوسف الفيومي (٨٢٢-٩٤٢م)، ولد في أبو سوير إحدى قرى الفيوم، وهو نحوي وفيلسوف ومفسر وشارح ومترجم للعهد القديم، وله إسهامات بارزة في إرساء قواعد التقويم العبري.

(٣٣)منى ناظم، المسيح اليهودي، مرجع سابق، (ص ١٦٦) .

(٣٤)جفريئيل بن سمحون، ملك مغربي، مرجع سابق، (ص ٤٢، ٤٤).

(٣٥)جفريئيل بن سمحون، بوزميما، مرجع سابق، (ص ٢٤٩).

(٣٦)جفريئيل بن سمحون، ملك مغربي، مرجع سابق، (ص ١٧).

(٣٧)الحسابات الرقمية:ادعى القباليون أن الحروف العبرية هي أساس خلق العالم واعتقـدوا بالتـالي في أهميتـها ودلالتها الرقمية واشارتها بالتالي إلى معان تخفي على البشر وقد أنتجت تلك الحسابات كمًا هائلاً من التواريخ التي ادعوا قدوم المسيح اليهودي فيها، لكنها فشلت جميعها بالطبع وثبت زيفها.(منى ناظم، المسيح اليهودي، مرجع سابق ص٢١).

(٣٨)جفريئيل بن سمحون، بوزميما، مرجع سابق، (ص ٢٥٠).

(٣٩)جفريئيل بن سمحون، ملك مغربي، مرجع سابق، (ص ص ٢٧ -٢٨).

(٤٠)الصهيونية الدينية: انطلقت البداية الحقيقية للصهيونية الدينية في العصر الحديث من أفكار الحاخـام يهـودا القلعي (١٧٩٨-١٨٧٨م)، الذي دعا إلى خلاص اليهود بالعودة إلى التلمود، وأساطير القبالاه. واقتـرح في كراسته: "إسمعي يا إسرائيل" التي نشرها عام ١٨٣٤م، العودة إلى فلسطين تحت قيادة زعامـة بشـرية، دون انتظار للمسيح المخلص، كما دعا إلى إقامة مستعمرات يهودية في فلسطين كي تكون مقدمة لظهوره...وأعلن

أن الخلاص لا يمكن أن يأتي فجأة ومرة واحدة، وإنما ينبغي العمل بجد في سبيله (رشاد عبد الله الشامي، القوى الدينية في إسرائيل، مرجع سابق، ص ٨٦).

(٤١)المزوزا: عضادة الباب، تعلق على القائم الأيمن من أبواب البيوت اليهودية، وهي عبارة عن صندوق صغير مكتوب بداخله فقرات من التثنية (ص ٤: ع ٦-٨) وأيضًا (ص ٧ : ع ١٣-١٨).

(٤٢)جفريئيل بن سمحون، بوزميما، مرجع سابق، (ص ٢٦٩).

(٤٣)منى ناظم، المسيح اليهودي، مرجع سابق، (ص ١٦٦) .

(٤٤)جفريئيل بن سمحون، ملك مغربي، مرجع سابق، (ص ٨٠).

(٤٥) المرجع نفسه، (ص ص ١٢- ١٣، ١٥- ١٦).

(٤٦) صلاة منتصف الليل: التي تقام لذكرى خراب القدس وهدم هيكل سليمان.

(٤٧)المرجع نفسه، (ص٣١).

(٤٨)المرجع نفسه، (ص ص ٩٤-٩٥).

(٤٩)جفريئيل بن سمحون، بوزميما، مرجع سابق، (ص ٢٧٩).

(٥٠)جفريئيل بن سمحون، ملك مغربي، مرجع سابق، (ص ص ٩٨- ٩٩، ١٠١).

(٥١)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص٢٤٨).

(٥٢)المرجع نفسه، (ص٢٤٧).

(٥٣)المرجع نفسه.

(٥٤) منى ناظم، المسيح اليهودي، مرجع سابق، (ص ٢٥٢).

(٥٥)يعد ثيوداس الذي ظهر سنة ٤٤م من أوائل المسحاء الكاذبين، ويعد شبتاي تسفي الذي أعلن نفسه الملك المسيح عام ١٦٦٤م صاحب أشهر حركة مسيحانية، وظهر آخر المسحاء الكاذبين في اليمن عام ١٨٦١م. (حول المسحاء الكاذبين انظر: محمد خليفة حسن، مرجع سابق، (ص ص ٦٤-٦٥)؛ منى ناظم، المسيح اليهودي، مرجع سابق، (ص ١٩٨-٢٣٠)؛حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، دار القلم، دمشق، ط ١٩٩٥،٣م، (ص ص ١١٢-١٢٨).

(٥٦)مردخاي بر أون، "الحلم الصهيوني في محك التحقيق خلال تقلبات القرن العشرين"، في: يحيعام فيدن " محرر"، الحلم وتحقيقه، أفكار حول الصهيونية، إصدار وزارة الدفاع، تل أبيب، ١٩٧٩م، (ص ٢٠٦)، [بالعبرية].

(٥٧)مردخاي طبيب:ولد في ريشون لتسيون عام ١٩١٠م بعد أن هاجرت أسرته من اليمن عام ١٩٠٩م، وتوفي عام ١٩٧٩م.ومن أبرز أعماله الأدبية: رواية " كعشب الحقل " عام ١٩٤٨م، ومسرحية" قيثارة يوسي" عام ١٩٦٠م، ومسرحية "الملك سليمان وديبورا" عام ١٩٦٢م.(انظر: أحمد كامل راوي، القصة القصيرة عند مردخاي طبيب دراسة في الشكل والمضمون مع نماذج مترجمة من خلال مجموعتيه القصصيتين "الطريق الترابي"

و "رحلة إلى الأرض الكبرى"، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم اللغات الشرقية وآدابها (فرع اللغات السامية)، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٧م، ص ص١-٤، ص ٦).

(٥٨)شالوم مدينا: أديب وشاعر وباحث، ولد في اليمن عام ١٩١٥م وهاجر إلى إسرائيل عام ١٩٣٥م، ومن أبرز أعماله الأدبية:رواية " المخطوفة" عام ١٩٨٩م وله ديوان شعري بعنوان "حمل إسرائيل" عام ١٩٨٠م. (سامي شالوم شطريت، مئة عام ومئة مبدع، الفن القصصي، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ٧٠).

(٥٩)أفراهام شطال، السفارديم وأبناء الطوائف الشرقية، مرجع سابق، (ص ١٢٢).

(٦٠)دانيائيل ليتريني، هواجس تظهر في الشرق- يوميات مخرج مسرحي، مرجع سابق، (ص ١١٦).

(٦١)المرجع نفسه، (ص ١١٨)

(٦٢)دانيائيل ليتريني، هواجس تظهر في الشرق، صحيفة ٧٧، عدد ٨٠- ٨١، العام العاشر، سبتمبر- أكتوبر ١٩٨٦، (الافتتاحية ص ٦٢)، [بالعبرية].

(٦٣)لكن هذا الأمر يرجع في المقام الأول إلى ارتفاع نسبة البطالة بين أبناء يهود المغرب في إسرائيل مما دفع قطاعًا منهم للاتجاه لطريق السرقة والإجرام لكي يستطيع أن يتكسب لقمة عيشه.

(٦٤)دانيائيل ليتريني، هواجس تظهر في الشرق، مرجع سابق، (المشهد ٢ ص ٦٢).

(٦٥)إيلا حبيبة شوحط، "منظومة الأمة وخطاب التحديث: حالة اليهود المزراحي"، ترجمة: على عبد العزيز، إبداع، العدد السادس، يونيه ١٩٩٨م، القاهرة، (ص ٥٦).

(٦٦)دانيائيل ليتريني، هواجس تظهر في الشرق، مرجع سابق، (المشهد ١ ص ٦٢).

(٦٧) المرجع نفسه، (المشهد ٤ ص ٦٣).

(٦٨)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ٢٤٥).

(٦٩) الهسكالاه: الثقافة أو التنوير، نشأت في ألمانيا في القرن الثامن عشر الميلادي، وكانت تعمل على إصلاح الحياة اليهودية ورفع المستوى الثقافي بهدف دمج اليهود في المجتمعات الأوروبية التي عاشوا فيها رافعة شعار الأديب اليهودي " يهودا ليف جوردون "كن يهوديًا في بيتك وإنسانًا خارجه ". لكن بسبب معارضة الأوساط الدينية اليهودية وبعض القلاقل التي نفذت ضد يهود روسيا عام ١٨٨١م، فشلت هذه توجهات أنصار الهسكالاه وبدأت تظهر في الأفق الرغبة في العودة للثقافة اليهودية ومن ثم برزت حركة " حيبات صهيون – محبة صهيون"، والتي كانت الإرهاصات الأولى للحركة الصهيونية.

(٧٠)إيلا حبيبة شوحط، مرجع سابق، (ص ٥٢).

(٧١) رشاد عبد الله الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٠٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يونيو ١٩٨٦م، (ص ص١٢٠-١٢١).

(٧٢) انظر: أحمد الشحات هيكل، القمع الثقافي لليهود السفاراديم، مجلة مختارات إسرائيلية، العدد ١١٧، سبتمبر ٢٠٠٤، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، (ص ص ١٥٥-١٦٠).

(٧٣)إيلا حبيبة شوحط، مرجع سابق، (ص ٥٣).

(٧٤)**babucha**: حذاء مفتوح من الأمام. (ألفيا مولر لينتست، مرجع سابق، ص ٢٦٤).

(٧٥)دانيائيل ليتريني، هواجس تظهر في الشرق، مرجع سابق، (الافتتاحية، والمشهد ١ ص ٦٢).

(٧٦)المرجع نفسه.

(٧٧)دافيد بن جوريون:ولد في مدينة بلونحيك في بولندا عام ١٨٨٦م، هاجر إلى فلسطين عام ١٩٠٦م.وترأس الوكالة اليهودية منذ عام ١٩٣٥م في فلسطين،ثم عين أول رئيس للحكومة ووزيرًا للدفاع، وظل في هذا المنصب حتى انسحابه علم ١٩٥٣م،وفي عام ١٩٥٥م عاد للحكومة وزيرًا للدفاع ثم رئيسًا للوزراء، وفي عام ١٩٦٣م تخلى عن رئاسة الحكومة، واعتزل الحياة السياسية عام ١٩٧٠م، وتوفي في اليوم الأول من شهر ديسمبر عام ١٩٧٣م.(انظر: أفرايم ومناحم تلمي، مرجع سابق، ص ص ٧١-٧٢).

(78)موشيه شاريت: ٥ أكتوبر ١٨٩٤ إلى ٧ يوليو ١٩٦٥. ثاني رئيس وزراء لاسرائيل (١٩٥٣ إلى ١٩٥٥) وكانت تلك الفترة تفصل بين فترتي رئاسة دافيد بن جوريون لرئاسة الوزراء. وُلد شاريت في جمهورية أوكرانيا، وهاجر إلى فلسطين عام ١٩٠٩ وتعدّ عائلة شاريت من المؤسسين لمدينة "تل أبيب". ولخبرة شاريت في المفاوضات السياسية، فقد تمّ تعيينه كوزير للخارجية الإسرائيلية ١٩٤٨- ١٩٥٣، ثم رئيس وزراء ووزير خارجية ١٩٥٣- ١٩٥٥، ثم وزير خارجية في حكومة بن جوريون بداية من ١٩٥٦ ومن بعدها ترأس المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية من عام ١٩٦٠.

(79)يتسحاق بن تسفي: 1884-1963، الرئيس الثاني لدولة إسرائيل 1952-1963. وُلد بن تسفي في بلدة بولتافا بأوكرانيا في ١٨٨٤، هاجر إلى فلسطين في ١٩٠٧، وكان من بين مؤسسي الهستدروت– الاتحاد العام للعمال في ١٩٢٠، وأحد مؤسسي حركة الدفاع اليهودية السرية الهجانا. أدى بن تسفي منصبه رئيسًا للدولة خلال فترتي ولاية كاملتين دامت كل منهما خمس سنوات والتخب لتولي فترة ولاية ثالثة في يناير ١٩٦٢ (حيث لم تحدد بعد فترة أداء منصب الرئاسة لولايتين فقط)، وتوفي بعد ذلك بستة أشهر، في ٢٣ إبريل ١٩٦٣.

(٨٠)دانيائيل ليتريني، هواجس تظهر في الشرق، مرجع سابق، (المشهد ٤ ص ٦٣).

(٨١) المرجع نفسه.

(٨٢)المرجع نفسه، (مشهد ٥ ص ٦٣)

(٨٣)المرجع نفسه.

(٨٤)المرجع نفسه، (مشهد ٩ ص ٦٤).

(٨٥)المرجع نفسه.

(٨٦)جرشون شاكيد، مرجع سابق، (ص ص ١٧٢- ١٧٤)

(٨٧)دانيائيل ليتريني، هواجس تظهر في الشرق، مرجع سابق، (المشهد ١٠ ص ٦٤).

(٨٨) المرجع نفسه، (مشهد ١٠ ص ٦٥).

(٨٩)المرجع نفسه.

(٩٠)المرجع نفسه، (مشهد ١١ ص ٦٧).

(٩١)المرجع نفسه.

(٩٢)آري شفيط، مرجع سابق، (ص ١٤٥).

(٩٣)دانيائيل ليتريني، هواجس تظهر في الشرق، مرجع سابق، (الافتتاحية ص ٦٢).

(٩٤)المرجع نفسه.

الفصل الثالث
صعوبة الاندماج الطائفي
في رواية " أرمند" لـ"عوزيئيل حازان"

يستعرض هذا الفصل مرحلة جديدة من مراحل علاقة إسرائيل بالمهاجرين اليهود الجدد من المغرب، فبعد مرحلة الهجرة وما انطوت عليه من خداع ووهم، وبعد الاستقبال الحافل للشاب "زايش" والضغط عليه لتغيير هويته اليهودية الشرقية وسلخه عن ماضيه ودفعه قسرًا لتبني الهوية المميزة للمجتمع الإسرائيلي، تبدأ هنا مرحلة الاستيعاب في "المعابر" حيث الأوضاع المتدنية وتفشي البطالة، وعملية إعادة تشكيل شخصية الشباب اليهودي المغربي الصغير، ممثلاً في شخصية الفتي "أرمند"، داخل "الكيبوتس" وهي العملية التي يمكن وصفها بأنها "مذبحة ثقافية".

عرض لأحداث رواية"أرمند" لعوزيئيل حازان، ١٩٨١م:

رواية "أرمند" عبارة عن سيرة ذاتية للأديب الإسرائيلي "عوزيئيل حازان"، يجسد فيها الفتى "أرمند" المهاجر من المغرب شخصية المؤلف الحقيقية، الذي يخوض رحلة للبحث عن جذوره عبر المكان فتنقله لرحلة أخرى عبر الزمان، فبعد نحو ربع قرن من الزمان مضى على هجرته إلى إسرائيل، يسافر لزيارة المغرب ليتفقد أماكن طفولته ويستعيد ذكرياته الجميلة ويبحث بين الأطلال عن هذا الماضي الزاهر هربًا من الحاضر المحطم.

وهناك تتدفق عليه ذكريات حياة الطفولة، ويبدأ فيها بوصف لواقع حياته في المغرب من عادات، وتقاليد وأنماط حياتية سادت في أوساط يهود المغرب آنذاك، مركزًا حديثه على حياة الفتى "أرمند" التي تتسم بالتنقل والتجول من مكان لآخر: من جو القرية حيث المناظر الطبيعية الخلابة والحياة البسيطة وشخصية الجد (الذي ترك أثرًا عظيمًا على نفسيته) إلي حياة المدينة ورفاق الطفولة والدراسة في مدرسة "أم الأبناء[١]" وأحوال اليهود داخل "الملاح"، مستعرضًا خلال ذلك مغامراته ولهوه مع أصدقائه.

يتخلل هذه الأحداث وصفًا بارعًا للاحتفالات اليهودية مثل "عيد الميمونة"، وزيارة الأضرحة وما يصحبها من إعداد للولائم والاحتفالات(٢). كما تحدث عن الوضع السياسي المتوتر في الخمسينات وسعى المغاربة للاستقلال عن فرنسا وما صاحب ذلك من اضطرابات وأعمال عنف؛ لذلك شرعت أسرته في تسجيل أسمائها للهجرة إلى إسرائيل.

وهناك في إسرائيل، تبدأ الأحلام الوردية عن "أرض الميعاد" في التحطم: أمام الاستقبال المهين لهم برشهم بالمبيدات الحشرية لتطهيرهم من رائحة الشتات، وأمام صعوبات عملية الاستيعاب(٣) في "المعابر" و"مدن التطوير" ذات الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتدنية وأمام صعوبة التكيف مع هذا المجتمع ذي السمة العلمانية الغربية.

وفي محاولة لإعادة تشكيل شخصية "أرمند"، تمارس ضده كل ألوان الترغيب والترهيب ليتخلى عن ثقافته وجذوره في إحدى المؤسسات التعليمية داخل "الكيبوتس"، وأمام هذا الضغط الرهيب بدأ هذا الفتى الصغير يفقد كل ما تربى عليه وكل ما حرص على التمسك به.

هذا، وقد أدت به هذه الضغوط إلى توالى الكوابيس المزعجة عليه وإحساسه بالغربة وخيبة الأمل. فهذا الفتى الصغير المتدين القادم من المغرب، تلميذ مدرسة "أم الأبناء"، اضطر أن يخوض بمفرده حربًا شرسة في "الكيبوتس" ضد الأغلبية العلمانية، فكانت النهاية أنه انكسر؛ لذلك قرر أن يترك "الكيبوتس" ويعود لمنزله يعود لعالم طفولته قبل أن تندثر معالمه وتتلاشى ذكرياته الجميلة عنه، لكنه رغم هذا لم يعد كما كان "أرمند" الفتى اليهودي المغربي !

(أولاً) أسباب صعوبة تجربة الاستيعاب والاندماج

خاض يهود المغرب منذ أن وطأت أقدامهم إسرائيل تجربة استيعاب مريرة وعملية اندماج قاسية، خلفت وراءها آثارًا سلبية وجروحًا عميقة، ظلت الشخصية الإسرائيلية ذات الأصول المغربية تعاني منها لفترات طويلة. ولم تستطع الذاكرة اليهودية المغربية أن تنسى تلك الذكريات الأليمة؛ لتذكر بها الأجيال القادمة.

وقد تحدثت رواية "أرمند" عن الأسباب التي أدت لصعوبة تجربة الاستيعاب والاندماج وأرجعت معظم أسباب هذه الحالة إلى ما هو موجود بالفعل داخل المجتمع الإسرائيلي، ومن أبرز هذه الأسباب:

(١) التباين الثقافي

يعد التباين الثقافي هو السبب المحوري الذي ركزت عليه رواية "أرمند"، فكان هو العامل الأساسي الذي حال دون سهولة اندماج يهود المغرب داخل المجتمع الإسرائيلي ومنعهم من تقبل الأنماط الإسرائيلية السائدة. فالمجتمع الإسرائيلي يجمع بين جنباته الكثير من التناقضات، فبينما الطابع العلماني هو المسيطر داخل إسرائيل، نجد أن الطابع الديني هو الطابع السائد لدي يهود المغرب. هذا بالإضافة إلى، اختلاف في اللغة، وفي الملبس، وفي الكثير من العادات والتقاليد والسلوكيات شديدة الخصوصية المرتبطة بأبناء الطائفة اليهودية المغربية.

(أ)الطابع العلماني للمجتمع الإسرائيلي

تميز المجتمع الإسرائيلي بسيطرة الاتجاه العلماني على كل نواحي الحياة، ولم يعد الشخص الإسرائيلي يلقي بالاً لأداء الشرائع الدينية. فيصف "أرمند" كيف ذهب للصلاة في معبد "المعبرة" فإذا به معبد مهجور، مهمل يعلوه التراب:

" بكرت لصلاة الصبح، بلا نصاب شرعي (٤). معبد مهجور في كوخ محطم. كان تابوت العهد عبارة عن صندوق خشبي مشقق ملون بالأخضر. نظفت كتاب التوراة من التراب...شمعة الذكرى مطفأة مهانة في ركن بعيد"(٥).

وتمثل عملية ذبح الطيور (٦) مظهرًا آخر من مظاهر العلمانية وعدم احترام الشريعة اليهودية وتعمد مخالفتها داخل الكيبوتس، ووصف "أرمند" هذه العملية بقوله:

"جمع عمال حظيرة الدجاج الجيفة في أكوام. قطعوا رؤوس الطيور بأحذيتهم العالية ذات المهاميز. ومن يخرج من نحره دم أحمر يقومون بنقله لحجرة الطعام على عربات يد. أما أصحاب الدم الأسود فكانوا يلقون بهم في بئر الجيف"(٧).

معنى هذا، أن اليهود العلمانيين لا يهتمون بقواعد الذبح الشرعي، "الشحيطا"، التي تحتمها الديانة اليهودية، وتقتضي أن يقوم "القصاب" بذبح الطيور من نحرها مع ترديد بركة الذبح.

(ب)الطابع الديني ليهود المغرب

وعلى الجانب الآخر، حرص يهود المغرب على الالتزام بالحياة اليهودية التقليدية، من مخافة الرب والحرص على تنفيذ الوصايا والشرائع الدينية في المأكل والمشرب والملبس. وهي أمور مغايرة لما هو سائد داخل إسرائيل، أو بالأحرى، لما هو متبع في حياة الطغمة الحاكمة في إسرائيل والمسيطرة على مجريات الأمور هناك.

عندما شرع المبعوثون في تسجيل أسماء أبناء المهاجرين من المغرب والمقيمين في معبرة "حروفيت"، لإلحاقهم بالكيبوتسات والمؤسسات التعليمية المناسبة، كان أول سؤال طرح عليهم من قبل هؤلاء المهاجرين، وهو عن شرعية الطعام ومطابقته للشرائع اليهودية داخل هذه المؤسسات وعن الحرص على أداء الصلاة في المعبد:

" انتصب كهل، ذو لحية بيضاء، على عصاه وسأل بصوت واهن، هل الطعام حلال وهل يوجد معبد في هذه المؤسسات. صاح شيريكي الملاكم بصوت عميق " لن نرسل أولادنا ليتناولوا طعامًا محرمًا" "(٨).

من أجل ذلك، كان الآباء المغاربة يميلون لإلحاق أبنائهم بالمؤسسات التعليمية الدينية رغم أنها ذات أوضاع معيشية متدنية:

" قبل سفري لرمات هداساه ببضعة أشهر. سجل أبي اسمي في مدرسة دينية داخلية في بيت فجان بالقدس...كانت التوراة كثيرة، لكن القمح كان قليلاً. وجبات متواضعة. أولاد ذوو أجساد هزيلة. ازدحمت المدرسة بالأولاد اليتامى بصفة خاصة. أصبت بالقهر من النظام القاسي ومن حياة التقشف"(٩).

لم يقتصر هذا الحرص على إقامة الشرائع اليهودية على الكبار فحسب، حيث نجد أن الصبي "أرمند" سأل عن المعبد، حتى قبل أن تطأ قدماه كيبوتس"جيتسيم" الذي تم إرساله إليه ليستكمل تعليمه هناك:

" هل يوجد هنا معبد ؟ ولم يكن هناك من يجيبني. تطلع إلى المرشد ذو النظرة الحزينة وارتسمت على فيه ابتسامة ساخرة"(١٠).

ومن منطلق نشأته الدينية، توخى الفتى "أرمند" الحرص والحذر عند تناوله أي طعام؛ مخافة أن يكون مخالفًا للشرائع اليهودية:

" اندهشت من وفرة الطعام الذي وضع على الموائد وأعرضت عن قطع اللحم الأبيض ولحم الضأن التي كانت تطفو في أواني الحساء الألومنيوم العميقة. وضعت قطعة الخبز التي قضمتها وتركت المائدة. صاحبتني نظرات استغراب ممن يتناولون الطعام حتى تواريت عن النظر"(١١).

ولأن "أرمند" كان متمسكًا بشريعته، حرص على أن يأكل طعامًا حلالاً "كاشير"، بداية من عملية انتقاء الحيوانات التى تبيحها الشريعة اليهودية وتشترط فيها أن تكون ذات ظلف مشقوق وليست لها أنياب وتأكل العشب وتجتر، ومرورًا بعملية الذبح الحلال "شحيطا" وأخيرًا في

استخدام أواني المطبخ وتحريم طبخ اللحم في نفس أواني اللبن (١٢)؛ لذلك سارع "أرمند" بالابتعاد عن هذا الطعام لتأكده من أن هذا الطعام كان مخالفًا لقواعد الشريعة اليهودية.

وفي موضع آخر التزم "أرمند" بتعاليم الطهارة وقام بتنظيف حظيرة الخنازير بالماء:

" تذكرت الأيام الأولى لمجيئي، عندما تم إرسالي للعمل في الحظيرة. ذات يوم كنت وحيدًا بين أصوات الشخير المستمرة، وسط الروث الذي ربضت فيه صغار فئران الحقل السمينة، وخنانيص قبيحة. وهناك أمسكت بخرطوم المياه وغسلت الحظائر الأسمنتية المملوءة بالوحل. كانت بقايا الطعام العفنة مبعثرة في كل مكان. أردت أن أزيل كل شئ بتيار المياه (١٣)، أن أمسح، أن أطهر...مياه وخنازير، طهارة ونجاسة "(١٤).

كان تمسك يهود المغرب بتقاليدهم الدينية المتوارثة، مثل غيرهم من يهود الطوائف الشرقية، سببًا رئيسًا حال دون تحقيق القدر الكافي من إذابة الفروق الثقافية والاجتماعية بين قطبي المجتمع الإسرائيلي: اليهود "الإشكناز" بإصرارهم على الابتعاد عن التراث الديني وإضفاء الصبغة العلمانية على المجتمع، واليهود "السفاراد" بميلهم التقليدي لتبني الأنماط الحياتية ذات الطابع الديني اليهودي، الأمر الذي خلق حاجزًا حقيقيًا بينهما.

ذلك الحاجز هو الذي يفصل ما بين اليهودي والإسرائيلي. فاليهود هم أولئك الذين يريدون العيش بشكل أو بآخر وفقًا للتوراة، أما الإسرائيليون فهم الذين يؤمنون بالتراث اليهودي اسمًا، ولكنهم في أعماقهم يريدون أن يصبحوا شعبًا جديدًا مختلفًا، أن يكونوا تابعين للحضارة الغربية(١٥).

(٢) التمييز الاجتماعي

عانت الجماعات اليهودية المهاجرة إلى إسرائيل خلال المرحلة الأولى بعد الهجرة في معسكرات المهاجرين وفي "المعابر" ومدن التطوير، لكن هذه المعاناة لم تستمر أكثر من بضعة أشهر بالنسبة لليهود "الإشكناز"، بينما استمرت لسنوات طويلة لمعظم المهاجرين "السفاراد"، حيث عانى هؤلاء من تردي أوضاع الإقامة وانخفاض مستوى المعيشة وعدم وجود عمل ثابت يضمن لهم حياة مستقرة. ومن أبرز مجالات التمييز الاجتماعي ما يلي:

(أ) أماكن الإقامة

انتقل المهاجرون الجدد القادمون من المغرب، ومن ضمنهم عائلة "أرمند"، إلى إحدى "المعابر" التي تقع في أقصى الجنوب:

"سافرنا من حيفا متجهين نحو الجنوب البعيد...مررنا على مدن مضاءة أخذت تبتعـد وأخـذت أضواؤها تخبو. تزايدت الحقول المفتوحة. وسبب عواء بنات آوى الفزع لراكبي الشاحنة. وبعد نحو أربع ساعات من السفر توجهت العربة لطريق ترابي مظلم"(١٦).

وكانت هذه " المعبرة " تقع في مكان موحش كئيب:

"بوابة حديدية، مستوطنة كئيبة. استقبلتنا الكلاب بالنباح. فتح حارسان، يحملان على كتفيهما البنادق، البوابات. مرحبًا بكم في"حروفيت" - معبرة، اسم مؤقت، وضع عارض"(١٧).

ولا يتوفر في هذه "المعبرة" الحد الأدنى من الخدمات:

" أكواخ مضاءة بالفتائل، فوانيس الشارع ذات أضواء خافتة، مولد كهرباء صاخب في وسط البلدة، جدار من الأسلاك الشائكة، عواء بنات آوى، ظلمة من حولنا "(١٨).

يكمل "شلومو بن عامي" وصف الأوضاع المتردية التي عانى منها المهاجرون المغاربة في "المعابر" قائلاً: "وصلنا إلى مكان، هو لا مكان. هو لا شيء، معسكر من الخيم. كان يدعى "معبرة مانسي". لم تكن هناك صنابير للمياه. وأدرك الناس فورًا، أنهم ضللوا وأنهم كانوا ضحية عملية خداع، إذ إن أحدًا لم يقل لنا إننا سنقيم في خيم، في شبه لا مكان كهذا. وكان هناك إحساس فظيع بالانكسار. النساء بكين، وشرعن في العويل كأنهن في مأتم، وقامت بعضهن بمهاجمة أزواجهن، ضربنهم وصرخن في وجوههم: إلى أين أتيتم بنا، إلى أين؟ كان المشهد يمزق القلوب، وببساطة أقول كان مأساويًا(١٩)".

(ب)مجالات العمل

لم يتمكن القادمون الجدد من ممارسة الأعمال والمهن التي اعتادوا عليها في المغرب، فمعظمهم من أصحاب الحرف والمهن اليدوية التي لم تعد إسرائيل في حاجة إليها. وأقصى ما استطاعت أن توفره لهم الحكومة الإسرائيلية هو إلحاقهم بما يسمى بِ "أعمال الطوارئ" وهي أعمال شاقة مهينة كما أنها مؤقتة، مثل العمل في خدمات الطرق وتقطيع الأخشاب وغيرها من الأعمال الجسدية المرهقة، التي لا تمكنهم من العيش في حياة كريمة:

" تراءى الوضع لأبي في صورة رمادية: كان يعود كل مساء من عمله اليومي. ووجهه محروق من الشمس، وظهره محني وجسده منهك. تحدث عن العمل الشاق التابع للصندوق القومي الإسرائيلي، مع معاول الحديد عند صخور التلال المكشوفة. يضرب وينحت عمل بائس، من

السادسة صباحًا وحتى غروب الشمس. كان يعمل ثقوبًا في الحجر ليفتته ويرفعه. بينما حظي العمال السعداء بالعمل في غرس الأشجار"(٢٠).

(ج) انخفاض مستوى المعيشة

كان من الطبيعي أن يعيش قاطنو "المعابر" و"مدن التطوير" سواء من يهود المغرب أو غيرهم من المهاجرين "السفاراد" في أوضاع معيشية متدنية للغاية؛ نتيجة عدم وجود مصدر رزق ثابت وتدني الأجور وانتشار البطالة. فهم يعيشون تحت خط الفقر، ويتضح ذلك من المواد التي وزعت عليهم في المعبرة:

" وزع على كل أسرة صندوق من الكرتون به رغيف خبز أسود، وعلبة من المربى، ومعلبات من الزيتون، وسبرتاية، وبضعة لترات من النفط وأشياء أخري ضرورية"(٢١).

يتذكر "أرمند" في موضع آخر أنهم كانوا لا يتذوقون طعم اللحم لأسابيع طويلة:

" لم نتذوق طعم اللحم لأسابيع كثيرة. وأحيانًا، كان أبي يأخذ الدراجة التي أحضرها معه من المغرب، عند انتهاء عمله، ويذهب لمستوطنة قريبة، يسكنها يهود اليمن، ويحضر من هناك القليل من الخضراوات أو دجاجة بيوض "(٢٢).

كانت وسيلة الترفيه الوحيدة للأولاد في المعبرة هي البحث بين المخلفات والقاذورات:

" في إحد الأيام رتبت مجموعة من أولاد البلدة وبدأنا سويًا في رحلات تجولية ونزهات...امتد واد خرب تحت أقدامنا، كان يستخدم كمزبلة حلت محل مياه نهر متدفق. هبطنا على أكوام الخردة...وكعادة الأولاد الباحثين عن المفاجآت، الساعين وراء الجديد، والمجهول...: دمية منزوعة الرأس، كراسات مستعملة. كرتونات من البيض الفاسد، أفرخ صغيرة تم رميها أو خرجت من بيض ملقى"(٢٣).

هكذا، عاش أبناء الطائفة اليهودية المغربية في إسرائيل يعانون من شظف العيش، بما في ذلك من كان منهم يتمتع بوضع اجتماعي واقتصادي مميز في المغرب، مثل السيد "يوسف ابن السيد حمياس يتسحاق" الذي عاش هو وأسرته في أوضاع سيئة للغاية، بعد أن كان والده من أصحاب العقارات في المغرب ويتمتع بمكانة محترمة بين أبناء جاليته بالمغرب. ويصف "أرمند" أحوال "يوسف" هذا في إسرائيل قائلاً:

" وبعد مدة سأقابله في أحد أحياء مدن التطوير المكتظة بجنوب إسرائيل، وهو عامل حرفي مغموم؛ رجل يبلغ الرابعة والثلاثين من العمر ويعول خمسة أولاد...وعندما يبلغ الخامسة والثلاثين ستوافيه منيته بسبب نزيف في مخه..."(٢٤).

(٣) **القمع الثقافي داخل الكيبوتس**

تكاد تتطابق رواية"أرمند " مع مسرحية "هواجس تظهر في الشرق " في الوسائل التي اتبعت ضد يهود المغرب لسلخهم عن ثقافتهم وخلعهم من جذورهم وإعادة تشكيلهم من جديد بما يتفق مع ما هو سائد داخل المجتمع الإسرائيلي، الذي لم يفرق في تطبيق عوامل التغيير هذه بين شخص صغير(مثل أرمند في الرواية) أو شخص كبير (مثل زايش في المسرحية)، استنادًا للمبدأ المكيافيلى "الغاية تبرر الوسيلة". ومن الجدير بالملاحظة أن عملية "القمع الثقافي" تنطبق أكثر على الشباب اليهودي الذي عانى من تجربة الاستيعاب داخل "الكيبوتس".

تشتمل هذه الرواية على شهادة لما يسمى بـ"مذبحة ثقافية" قام بها مبعوثو اليسار الإسرائيلي في الخمسينات مع الشباب اليهودي المهاجر من بلاد آسيا وأفريقيا الذين اخذوا من آبائهم مع الوعد بالمحافظة على دينهم، لكن تم إرسالهم، خاصة من كانوا يعتمرون الكيباه [طاقية الرأس، التي يضعها المتدينون اليهود] منهم، إلى كيبوتسات "الحارس الفتي"(٢٥).

" في إحدى الأيام ظهر في البلدة رجل وامرأة وقاموا بتسجيل الأولاد في كيبوتسات ومؤسسات تعليمية مختلفة...تعهد الزائران أن يجد كل غلام المؤسسة المناسبة له، وأن مصلحة الأولاد تتطلب إخراجهم من هذا المكان، الذي تصعب فيه المعيشة وتتواضع فيه إمكانيات التعليم "(٢٦).

لكنهم لم يطلقوا الوعود الواهية إلا لتهدئة الخواطر وكسب ثقة الآباء، وبعد أن انطلق هؤلاء الأولاد معهم تحللوا من وعودهم:

" لم يلتفت المحاوران للأمور التي تتعلق بالدين، والإيمان. كل غلام سوف يوجه للمؤسسة المناسبة له. هكذا تعهدوا للآباء في نادي الشباب بالمعبرة. جلسوا وقرروا ما هو الإطار التعليمي المناسب لولد يبلغ الحادية عشرة. لم يأخذوا رأيه مطلقًا "(٢٧).

لقد أرسلوا "أرمند" المتفوق في المشنا، عضو جوقه منشدي معبد "بيت إيل" في المغرب، إلى كيوبتس"جيتسيم " لينضم إلى حركة "الحارس الفتي"؛ حتى يتخلص من عادات الشتات البالية ويتحول إلى " شخصية إسرائيلية صبارية":

"...يجب أن ننقيه من العادات الشتاتية، ومن الخرافات. إن ميزة الصلوات وشـرعية الطعـام ليست من الأسس المهمة لتربيته ولا للصحة النفسية للمرشح. فيكفي تحويله من فتى شـتاتي متخلف إلى"صبار" متفتح، ومتحضر، ومتعلم، وجريء. يجب تطوير مواهبه، إذا كانـت لديـه، وأن نعيد لجسده الفيتامينات الناقصة. لكن لم يلتفت أحد لتمزق نفسه، ولو سهوًا "(٢٨).

وهذه ليست حكاية الفتى " أرمند" وحده بل قصة الكثير من الشباب، من مهـاجري الـيمن، والمغرب، وإيران، والعراق وغيرهم ممن كان يغلب عليهم الطابع الديني، حيث تم إرسالهم إلى كيبوتسات "الحارس الفتي" وغيرها لتخليصهم من هذا الطـابع الـديني ليحـل محلـه الطـابع العلماني.

هكذا، كانت الصهيونية الأوروبية خدعة ثقافية ضخمة مورست ضد السـفاراديم، ومذبحـة ثقافية ذات أبعاد شاسعة، ومحاولة، نجحت جزئيًا، لكي يتم خلال جيل أو اثنين محـو حضـارة شرقية تمتد جذورها لآلاف السنين وتتمتع بالوحدة حتى في تنوعها(٢٩).

عوامل التغيير

(أ)تغيير الاسم

تمثلت الخطوة الأولى لإبعاد هذ النموذج للشخصية اليهودية المغربية عن حياة الشتات، في تغيير اسمه ومنحه اسمًا عبريًا أصيلاً لأحد الأبطال اليهود في فترة التمرد والثـورات (خاصـة فترة "المكابيين" (٣٠) لأنها تتفق مع أفكارهم وتعد نموذجًا مثاليًا يجب حذوه):

" تشجعت وكونت جملة سليمة بلغة المكان " أنا...اسمي...أرمند ".

ابتسم المعلم ودعاني للجلوس في مكان شاغر، في المقعد الأول. أعلن المعلم بكل سـرور"يـا أولاد نحن نستقبل في فصلنا أرمند، تلميذ جديد. وكما اعتدنا أن نفعل في حالات مشابهة–سوف نمنحه اسمًا عبريًا".

هتف الفصل: " نـــ...عم". اقترح المعلم اسم "جيورا (٣١)".

هتف الفصل " نـــ...عم".

توجه المعلم لأحد التلاميذ "يا شلومو من هو بر جيورا ؟ "...وهكذا عرفت أصل اسـمي...إنـه محارب غيور من عصر البطولة "(٣٢).

(ب)تغيير الملبس

كان لابد من تغيير ملابس الفتى "أرمند" لاستكمال عناصر التغيير الخارجية، وإن كانت تغييرات غير ملموسة أشار إليها الراوي بسرعة، نظرًا لأن "أرمند" كان يرتدي ملابس عصرية في المغرب. يشير في أحد المواضع أنه تخلى عن البيريه الأزرق الذي أعتاد أن يضعه على رأسه : "اعتمرت قبعة التمبل "(٣٣).

وفي موضع آخر يذكر أنه ارتدى الكاكي: " أحاطني اخوتي وأخذوا يتحسسوا ملابسي الكاكي التي ارتديتها "(٣٤).

(ج) مخالفة الشرائع الدينية

تمثل ذلك في دفعه لمخالفة تعاليم اليهودية، مثل حثه على صناعة التماثيل:

" تعلمت صنع تماثيل صغيرة من خشب الزيتون. تذكرت ما ورد في التوراة الذي يحذر: "لا تصنع لك تمثالاً وقناعًا". طمأنني مدرس الحرف بألا أخاف من أن أصبح وثنيًا "(٣٥).

وكذلك محاولة إقناعه ليتناول اللحم المخالف للشرائع اليهودية:

"شرح لي يوآب [مدرس العلوم في الكيبوتس] رأيه في الطعام . فقال إنه ينبغي على أن أتناول اللحم وأشرب الحساء الساخن. فإنني أحتاج للسعرات الحرارية حتى أستطيع أن أتعلم وأعمل. أجبته بأني لن أتناول محرمًا، وأنه يضيع كلماته هباء " (٣٦).

انصب جل اهتمام القائمين على شئون "الكيبوتس" على النواحي المادية، دون أن يضعوا في حسباتهم الغذاء الروحي، وهو ما عبر عنه "أرمند" قائلاً: "وماذا عن الجوع الذي يعتمل في داخل نفسي، نفسية صبي. ما هو الغذاء المناسب له؟"(٣٧).

زد على ذلك، أنهم حرفوا النصوص التوراتية، وحذفوا اسم الرب من "حكاية عيد الفصح" فالرب لا وجود له بالنسبة لهم:

" إنني الآن في كيبوتس "جيتسيم"، وها قد جاء دوري للقراءة في حكاية عيد الفصح: "وهي التي تهيأت لآبائنا ولنا..."استساغت آذان الحضور الترتيل المغربي. قراءة بدايتها ترتيل ونهايتها–فزع: "...وفي كل جيل وجيل يبحثون عنا ليقضوا علينا *ونحن* ننجو من أيديهم ..." انحشرت الكلمات في حلقي. سكت أمام الفقرة التي انتزع منها الرب. النسخة الكيبوتسية لحكاية عيد الفصح. أين " والرب أنقذنا من أيديهم " ؟ "(٣٨).

وإذا كان الرب في نظرهم ليس له وجود، فلا حاجة لأرمند للالتزام بالشرائع الدينية:

" طلب يوآب مني أن أوضح له لماذا أميز بين لحم وآخر، وما هي ميزة الذبح الحلال؟ ولمـاذا أصلي لسماء مغلقة؟ ألا أعلم أنه لا يوجد رب؟ "(٣٩).

لم يعرف يهود المغرب العلمانية قبل وصولهم إلى إسرائيل، وهذا ما يؤكد عليه "شلومو بن عامي" قائلاً: "على اليسار أن يدرك أنه لا وجود، أساسًا، لما يسمى اليهودي العلماني المغربي الأصل. فالعلمانية، أساسًا، مصطلح غربي. إنها نتاج للثورة الفرنسية، ولمبدأ الانعتاق الـذاتي والحداثة الجارفة. وهذه المسارات لم تحدث في شمال إفريقيا، ولهذا السبب لم تظهر العلمانيـة هناك. كان هناك نوع غير واضح من حل وسط، غير منظم، بين التقاليد والحداثة. وهـذا هـو السبب في أن يهود الشرق الذين هـاجروا لإسـرائيل لـم يكونـوا علمـانيين، لكـنهم غيـر حريديم...ففي ثقافتنا الشرقية لا وجود للعلمانية، كلنا نحافظ على التراث بهذا الشـكل أو ذاك. وهذا ما لم يقبلوه هنا، فقد حكموا على عالمنا دون أن يحاولوا فهمه(٤٠)".

لكن السؤال هنا، هل نجح الإشكناز في تحويل الشخصية الإسرائيلية ذات الأصول المغربيـة من الارتباط بالفرائض الدينية التقليدية إلى الإيمان بسمات الحياة العلمانية؟ ومن المـرجح أن النجاح كان نسبيًا، كما أن من رضخ لهذه الضغوط لم يكن علمانيًا قلبًا وقالبًا، بل عـانى مـن الأمراض الجيتوية التي لازمت اليهودي في شرق أوروبا، مثل، كراهية الـذات والنفـور مـن الأصول الثقافية والتأفف من التراث اليهودي التقليدي.

(د)الربط بالثقافة الإشكنازية

كان هناك تعمد واضح لإبعاد يهود المغرب عن تراثهم وتاريخهم من جانب، وشدهم للثقافة والتاريخ الإشكنازي الغربي من جانب آخر، وذلك عن طريق نقل التجارب المريرة التي عاشها يهود شرق أوروبا ومشاعرهم النفسية المعقدة إلى هؤلاء المهاجرين السفاراديم الجدد، خاصة تجربة اليهود مع النازي:

" حكى لي يوآب عن أحداث النازي. عن اليهود البسطاء الأتقياء الذين تم حرقهم في الأفـران، وتصاعد دخان أرواحهم للسماء التي كانوا يعبدونها ويبجلونها: وإذا بها مغلقة!"(٤١).

وعلى الجانب الآخر، كان هناك صمت مطبق حول كل ما يتعلـق بتـراث وتـاريخ اليهـود السفاراديم. ويذكر "جفرئيل بن سمحون" في حوار له لصحيفة هـاآرتس ١٩٨٠/٥/٢٨م أنـه عندما كان تلميذًا في المدرسة لم يتعلم أي شيء عن تراثه، ويقول: " لقد أبادوك وقضوا علـى هويتك الحضارية، لا حق لك في الوجود... إن الموسيقى والبرامج الثقافية التي تذيعها وسائل الإرسال الإسرائيلية- كلها غريبة بالنسبة لي ولأغلبية اليهود العرب"(٤٢).

واستنادًا إلى هذا النهج، شرع مسئولو "الكيبوتس" في تعليم "أرمند" الموسيقى الأوروبية، بناء على نصيحة الطبيب النفسي؛ ليتمكن من التغلب على كوابيسه المزعجة:

"اقترحت أسنات [إحدى مسئولات الكيبوتس] أن أتعلم البيانو...في نفس اللحظة اعتقدت لسذاجتي أن المقصود بالموسيقى، تجربتي في الإنشاد بجوقة المنشدين. الموسيقى- هكذا قيل لي، كما شاهدت على أغلفة الأسطوانات الكبرى في نادي الثقافة- إنها أوروبية. ومؤلفوها يحملون أسماء ألمانية...لكن ماذا عن موسيقى طفولتي؟ منشدي المعابد، جوقة منشدي معبد أثرياء وهران...؟..."(٤٣).

وهكذا، فإن البحث عن علاج للأزمة التي صاحبته طوال فترة بقائه في "الكيبوتس"، كان من خلال تعلم الموسيقى، وليس بالعودة إلى أسس ومصادر الإيمان التي انفصل عنها(٤٤).

كل هذا بهدف تحويل "أرمند" من مجرد فتى يهودي مغربي إلى فتى إسرائيلي صبار:

" كل هذه الإنجازات، والمجهودات التي أتت ثمارها: هي النافذة التي فتحت أمامي على عالم الثقافة والمعرفة؛ وهي الأدوات التي أتيحت لي لإيجاد طريق بين هؤلاء "الصباريم" حيث أصبحت شيئًا فشيئًا واحدًا منهم، على غرار "نموذج" " فتى أوربي" "(٤٥).

(ثانياً) نتائج صعوبة الاستيعاب والاندماج

هناك بعض النتائج العامة التي تتعلق بجميع أفراد يهود المغرب في إسرائيل، مثل: الإحساس بالمرارة والندم على ما أصبح عليه حالهم والإحساس بالدهشة والاستغراب من هذا المجتمع المغاير تمامًا لأحلامهم التي تخيلوها عنه. وهناك نتائج خاصة ترتبط بالشباب اليهودي المغربي الذي خضع لتجربة الاستيعاب داخل "الكيبوتس"، مثل: الإحساس بالغربة وخيبة الأمل والحنين الدائم للمغرب وانفصالهم عن ثقافة الآباء.

(١) النتائج العامة

(أ)الإحساس بالمرارة والندم

ظل يهود المغرب يعانون من الإحساس بالمرارة والندم، مثل معظم اليهود "السفاراد"، لسنوات طويلة خاصة خلال سنوات الاستيعاب الأولى (قبل أن يتمكنوا من حل شفرات المجتمع الإسرائيلي؛ مما أهلهم بعد ذلك للعب دور بارز على الساحة السياسية ودوائر صنع القرار) ولذلك كانت علامات الحزن والأسى ترتسم دائمًا على وجوههم:

"عند وصولي للمنزل كانت أمي تجلس كعادتها على سلالم الكوخ بينما هي شاردة بتأملاتها في الحقول، الواقعة فيما وراء السور. وقد أصيب وجهها بالهزال من شدة الحزن "(٤٦).

ولم يجدوا أفضل من البكاء للتعبير عن هذه الأحاسيس:

" كانت أمي تبكي عند سلالم الكوخ الذي نسكن فيه. إنها إحدى مرات الأيام والليالي الكثيرة الفياضة بالدموع، تعبيرًا عن الأشواق، وصعوبات الاستيعاب، وأسى الانفصال والاختلاف في أسلوب الحياة "(٤٧).

(ب)الإحساس بالحيرة والدهشة

رسم يهود المغرب صورة وردية لأرض إسرائيل المقدسة، استمدوا ملامحها من أسفار التوراة والمشنا والحكايات العذبة التي كان يرويها لهم مبعوثو إسرائيل في المغرب عند جمع التبرعات، وكانت هذه هي المصادر الوحيدة التي اعتمدوا عليها في رسم هذا الحلم الجميل:

"ولأول مرة في حياتي أوشك على الإبحار في سفينة، لدولة أخرى عرفتها من المدراشيم(٤٨)، ومن الحكايات الدينية ومن القصص"(٤٩).

لكن الواقع كان يختلف تمامًا عن الخيال:

" ما أكثر اختلاف الأمور عما كنت أتوقع وعن أوهام أحلامي. الحكايات البسيطة التي تخيلتها، والأواني الخزفية الجميلة التي توهمتها ــ كل هذا تحطم أمام المشاهد اليومية : وبدلاً منها- تعاظمت مشاهد أخرى... "(٥٠).

كان هذا الواقع الجديد والمشاهد الغريبة التي لم يألفها معظم يهود المغرب من قبل؛ هي السبب في إحساسهم بالدهشة والاستغراب منذ أن وطأت أقدامهم أرض ميعادهم "إسرائيل". فصعقوا وأصابهم الذهول عندما وجدوا أن المجتمع الإسرائيلي ينقسم إلى علمانيين ومتدينين؛ لأنهم كانوا يحسبون أن اليهود هم وحدة واحدة مع اختلافات بسيطة في بعض الطقوس الدينية المرتبطة بالاحتفالات والصلاة، لكن أن يكون في إسرائيل جزء يهودي متدين وآخر إسرائيلي علماني، فهذا هو الأمر الذي أصابهم بالدهشة:

"...لم أفهم في الحركات والتيارات، وحرب الآراء وصراعات الأفكار. فكلهم يهود. عرفت في الدار البيضاء نوعًا واحدًا فقط. وإذا اختلفوا فيكون هذا في موضوع الصلاة أو صيغة التراتيل الدينية – موضوعات تتعلق بالأسلوب وليس بالفكر"(٥١).

ووجدوا داخل إسرائيل مجتمعات خاصة بالعلمانيين وحدهم:

"على هضبة مرتفعة في الجانب الآخر، ظهرت أضواء مستوطنة صغيرة، مزهرة، وانتصب منها برج للغلال: كفر نحميا.
علق المرافق قائلاً: "هذا كيبوتس".
وأضاف قائلاً: "إنه مكان يأكلون فيه لحم الخنزير".
سألت "بلدة للمسيحيين ؟ ".
أوضح " لليهود العلمانيين ".
اندهشت " وهل هناك نوعان من اليهود ؟ ". ابتسم عجوز ذو لحية بيضاء بسخرية كأنما سمع شيئًا غير مألوف"(٥٢).

وكذلك توجد أحياء خاصة باليهود المتدينين (خاصة في القدس):

" تمشيت بتؤدة مسحورًا بجو السبت المطمئن في حي ديني عصري. نساء صغيرات تدفعن أمامهن عربات الأطفال. ورجال ملتحون يتنزهون في حشد وأيديهم متشابكة من الخلف. وطلاب علم من معاهد دينية مختلفة يتحدثون بحماسة في مساجلات توراتية بينما ترتسم على وجوههم ملامح بهجة السبت. ولا يسمع صوت عربة في شوارعهم. عالم جميل في عزلته"(٥٣).

عبر الكاتب الإسرائيلي " أفراهام شطال" عن حيرة اليهود السفارديم داخل إسرائيل، بقوله: " كان من الصعب على هؤلاء المهاجرين أن يعارضوا مثل هذه التأثيرات القوية التي مورست عليهم على مختلف الأصعدة، فقد كانوا مذهولين من هذا الانتقال المفاجئ والحاد من بلادهم لإسرائيل، وأصابتهم الحيرة من هذا المجتمع الذي لم يتوقعوه، مثل حقيقة أن واقع الحياة في إسرائيل علماني في جوهره، في الوقت الذي كانوا يعانون فيه من القلق والبحث عن السكن والعمل (٥٤)".

وقد أصابت الدهشة والحيرة المهاجرين المغاربة الجدد من جراء التمييز الواضح في أماكن الإقامة. وبدءوا يتساءلون متعجبين لماذا لم يتم تسكينهم في إحدى المدن الكبرى أو إحدى المستوطنات المنتشرة على طوال الطريق، ولماذا جئ بهم إلى هذا المكان الموحش:

" حمل المهاجرون حقائبهم والدهشة ترتسم على ملامحهم. تجمدت الكلمات في أفواههم. نظروا لبعضهم البعض وطلبوا تفسيرًا لما أدهشهم. لماذا هذا لقد مروا على مدن كبيرة ومستوطنات مزهرة ؟ ما ميزة هذا المكان النائي ؟ "(٥٥).

(٢) النتائج الخاصة

(أ) أحاسيس متضاربة

اعتملت نفسية الفتى "أرمند" بالعديد من المشاعر والأحاسيس، لفتى وقف وحيدًا يدافع عن كيانه وهويته أمام هذا الطوفان الجارف من العلمانية، فتأججت بداخله أحاسيس غريبة ما كان لها أن تظهر لو لم تمارس عليه مثل هذه الضغوط لتحويله وفصله عن ماضيه وسلخه عن جذوره.

- **الإحساس بالغربة:** وقد أحس كثيرًا بالغربة عن هذا الكيان، وأنه لا ينتمي إليه؛ لأنه نشأ وفقًا لأنماط حياتية يهودية تقليدية(مثل حرصه على تناول الطعام الكاشير) تختلف عما هو سائد داخل "الكيبوتس"، رغم أن هذه السلوكيات التقليدية تتوافق مع هويته اليهودية المغربية:

" تم ترتيب الأمر على أن أتناول الطعام في منزل أرملة، مهاجرة جديدة من إيران، والدة أحد الأعضاء. إمرأة طيبة تطهو الطعام في شقتها وفي أوانيها...فرحت لرؤية امرأة تحافظ بشدة على أسلوب شاذ للحياة في مجتمع مغلق، مختلف وجارف...رغم هذا، بدأت أشعر بغربة وببعد فتى مختلف عن باقي أفراد جماعته "(٥٦).

- **الإحساس بالحزن:** اعتصر الحزن والألم الفتى "أرمند"؛ لتخليه عن اسمه وقبعته، والأشياء الأخرى التي بدأ يفقدها ولم يجد لها بديلاً:

" عندما رجعت لمنزلي اغرورقت عيناي بالدموع. ففي لحظة خاطفة افترقت عن اسم طفولتي وعن البيرية الذي رافقني لسنوات طويلة. وكنت أبحث يوميًا عن بديل للأشياء التي ضاعت، التي تركتها وراء ظهري"(٥٧).

- **الإحساس خيبة الأمل:** وشعر بخيبة الأمل عندما وجد بعض أصدقائه يتخلون سريعًا عن تقاليدهم وهويتهم:

" تأملت بشيء من الغيرة هؤلاء سريعي التكيف، الذين غيروا جلدهم، ضعيفي الجذور؛...كان من بينهم يوسف جباي ابن الخاتن ويتسحاق دهان ابن الشماس...غمرني الإحباط حتى الدموع. أن أتجاوز، أن أنسى دروس الكتّاب في شارع الفاطيو(٥٨)؛ وأنماط حياة بيت واحد في مواجهة مجموعة أناس قوية"(٥٩).

- **الإحساس باليتم:** وقد أحدثت المحاولات الدعوية لإقناعه بالقوة بعدم وجود رب، وأن كل ما هم فيه الآن نتيجة صنيع أيديهم؛ آثاراً سلبية على "أرمند" دفعته للإحساس بأنه يتيم بلا أب يوفر له الحماية:

" شيء ما تمزق بداخلي. وكأن ذلك بمثابة وتر من قيثارة خفية يعزف بداخلي، يضرب على صلواتي. شعرت بنوع من اليتم من أب كبير، قوي، كانت عباءته ممدودة عليّ توفر لي الحماية"(٦٠).

- **الإحساس بالحنين:** وكلما تزايدت المحن والأزمات عليه تزايد حنينه للمغرب وإحساسه بافتقاد ماضيه الجميل:

" إنه انفصال مكاني ولغوي؛ بوتقة صهر للغات. ملابس وأساليب حياة - ومع كل هذا، أشواق قوية للوطن. بحثت في عزلتي- عزلة صبي- عن أماكن ألعاب طفولتي في شارع الفاطيو. التي حلت محلها الآن دراسات، وعمل، ولقاءات اجتماعية وأمسيات شعرية..."(٦١).

- **الإحساس بالرغبة في العودة:** لذلك كان يشعر برغبة عارمة للعودة إلى جذوره، إلى ماضيه إلى المغرب؛ ليستمد منها ما يعينه على رأب الصدع النفسي الذي حدث له من جراء التجربة المريرة داخل " الكيبوتس ":

" شعرت برغبة قوية للعودة لعالم طفولتي قبل أن يشوه، إلى نهر جدي قبل أن يلوث..."(٦٢).

(ب)الانفصال عن ثقافة المنزل

لم تحظ الشخصية اليهودية السفارادية بثقافتها المميزة بأي قدر من الاحترام والتقدير وعوملت بشيء من الدونية والاستهزاء وأصبحت مرادفة للتخلف والرجعية. لذلك شرع الشاب اليهودي المغربي، مثل "أرمند"، في تبني بعض الأنماط السائدة داخل المجتمع؛ هربًا من هذه النظرة الدونية لهويته وثقافته ونتيجة للضغوط الرهيبة التي مورست ضده داخل "الكيبوتس". لذلك حدث نوع من الانفصال الثقافي بين ثقافة الآباء " ثقافة المنزل- ثقافة الوطن الأصلي" وبين الثقافة التي اضطر إلى تبنيها رغمًا عنه ليساير المجتمع. أو بمعنى آخر، أصبحت لديه ازدواجية ثقافية، فهو مجبر أن يواصل في المنزل ما تربى عليه من أنماط ثقافية في الاحتفالات والصلاة ومراعاة الوصايا الدينية، ومن جانب آخر، عليه أن يتخلى عن شخصيته اليهودية السفارادية ويتقمص الشخصية الإسرائيلية العلمانية عندما يترك المنزل. وإذا كان الشاعر اليهودي الكبير "يهودا ليف جوردن" (١٨٣٠-١٨٩٢م) قد أطلق مقولته الشهيرة : "عليك أن تكون يهوديًا في بيتك وإنسانًا خارج بيتك" داعيًا اليهود للاندماج في المجتمعات الأوروبية، فإن هذا الشعار مازال يطبق مع اليهود السفارديم داخل إسرائيل حتى هذه اللحظة، لكن مع إحداث بعض التغيرات ليتمشى مع الوضع الجديد: " فعليك أن تكون يهوديًا سفاراديًا في بيتك

وإسرائيليًا علمانيًا خارج بيتك " وتحولت إسرائيل إلى جيتو كبير بكل ملامحه التي اتسم بها في فترة الانتقال التنويرية في القرن ١٩.

وهناك الكثير من النماذج الواقعية تؤكد هذه الحقيقة، فيذكر بنحاس كوهين جان(٦٣): "اقمنا في كريات بيالك في عزلة ثقافية. فهي مستوطنة لمهاجري ألمانيا...في المنزل حافظنا على ثقافتنا، وفي الخارج كانت هذه "إسرائيل"، حيث تخلينا عن ذاتنا. وحينئذ شعرت: باختلاف واضح بين ثقافتين. فواصل والداي أسلوب اليهودي الشتاتي: أن تكون بشخصيتك الحقيقة الأصلية في بيتك، لكن قريبًا للثقافة المسيطرة عند خروجك"(٦٤).

وها هو "أرمند"، وفقًا لهذا النسق الانفصامي يحرص على ممارسة حياته التقليدية بين أفراد أسرته التي لا تعرف شيئًا عما يحدث له في "الكيبوتس":

"بمناسبة بلوغي سن التكليف (٦٥) حصلت على إجازة أسبوع. لم أخبر والداي بشيء من كل الأحداث التي وقعت لي في الكيبوتس. سافرت مع أبي لمدينة رحوفوت(٦٦) وهناك اشترينا بدلة بنية اللون. وفي طريقنا مررنا على "عكرون(٦٧)" واستعرنا من أحد الأقارب حقيبة طاليت مغربية مصنوعة من القطيفة الحمراء والمطرزة بخيوط مذهبة. التقطت صورة ببدلتي الجديدة متشحًا بالطاليت والتفيلين (٦٨) وفي يدي الحقيبة "(٦٩).

ولكنه ما أن يبتعد عن المنزل ويتجه إلى "الكيبوتس" حتى يطوي هذه الأشياء ويضعها جانبًا، فهو هناك ليس في حاجة لأدوات الصلاة:

" حزمت حقيبتي يوم الأحد، وودعت أسرتي وعدت إلى"جيتسيم". كان يوجد في حقيبتي الصيصيت (٧٠) والتفيلين اللذين وضعتهما أمي في خشوع...سافرت. وفي طريقي فكرت فيما سوف أفعله بأدوات العبادة هذه. ربما أستغلها في صلاة واحدة في الأسبوع، في عشية يوم السبت، بلا نصاب شرعي، في منزل الأرملة التي أتناول الطعام على مائدتها. أوجه وجهي شطر الشرق، حتى في المكان الذي تغيب عنه الصلاة. إنني في الواقع لم استخدمهما طوال سنوات مكوثي في "جيتسيم" "(٧١).

وإلى جانب تركه الصلاة بدأ يتناول اللحم المحرم المخالف للشرائع اليهودية:

"أخرج التوأمان الشطائر من حقيبتهما وعزموا علي أيضًا. رفضت كعادتي أن أتذوق من المقانق التي أعرف أنها محرمة، لكنني لم أسأل مطلقًا عن ماهيتها. وفي إحدى المرات استجبت وقضمت منها. وكان هذا من منطلق دافع وقتي لجوع غامض ورغبة للترويح عن النفس، لاستساغة طعم اقتراف الذنب. ما ألذ مذاق ما هو محرم"(٧٢).

تمثلت أحد مظاهر عملية اندماج يهود الشرق في الثقافة الغربية في إسرائيل، في الخجل من عادات الطائفة ومن مكونات ثقافتها، ومحاولة تقليد ما هو متبع وشائع في إسرائيل. فمثلاً يتعلم الأولاد العادات الإشكنازية، ويخجلون من التحدث عن العادات المختلفة التي يتبعونها في المنزل(٧٣).

ومن ذلك، على سبيل المثال، أن "أرمند" أخذ يخجل من بعض العادات المألوفة بين اليهود " المغاربة "، مثل " الزغاريد " التي كانت تطلقها بعض النسوة أثناء الاحتفال ببلوغه سن التكليف الشرعي في اليهودية:

" صعدت للتوراة (٧٤) يوم السبت. حضرت للمعبد بصحبة مسيرة من نسوة القرية. اللاتي قمن بإلقاء زهور الحنطة عليَّ وهن يطلقن "الزغاريد". وأذكر أن هذه كانت هي المرة الأولى في حياتي التي أخجل فيها من صيحات الفرحة هذه، بوصفها تصرفًا غريبًا، وضيعًا، مذريًا. إنه لأمر غريب.

طلبت منهن قائلاً " من فضلكن توقفن...".

شاهدت علامات الاستغراب على وجوه النسوة. ويبدو أنني أفزعتهن مما اعتادوا عليه في السابق. ما العيب الذي وجدته في هذا التصرف الجميل، والقديم، بلا أدنى شك؟

علقت إحداهن قائلة: " لقد أفسدك الكيبوتس"."(٧٥).

لذلك لم يكن من العجيب أن يشعر "أرمند" بنوع من الغربة بينه وبين هذا الجو المقدس الذي ساد هذا الحفل:

" صعدت للتوراة. شعرت، وللمرة الأولى في حياتي، بابتعاد إجباري عن هذا الجو المقدس. قرأت بركة الصعود للتوراة...حافظت على يقظتي حتى لا أنساق وراء أوهام أسلوب الحياة في الكيبوتس"(٧٦).

وهنا نجد أن الضغط النفسي الناجم عن محاولة الجمع بين ثقافة المنزل وثقافة "الكيبوتس"، قد أحدث آثارًا خطيرة أثرت بالسلب على شخصية "أرمند" وبدأ يتحول لشخصية أخرى مخالفة لما كان عليه من قبل:

"حلت التفاهة والرتابة محل ولع الطفولة؛ وتناقصت الأشياء التي من شأنها إثارة الدهشة، والحماسة: ظواهر، وأجسام، وأحداث، ومناظر، وتجارب- كل هذه الأشياء أخذت في التقلص على مر السنين أمام عبء التفكير ووضوح الواقع، واليقظة الطاغية"(٧٧).

بدأ هذا الفتى الصغير يعاني من مهاجمة الكوابيس المفزعة له في أحلامه:

" هاجمتني الكوابيس كل ليلة تقريبًا. ظهرت أحداث الماضي في أحلامي..."(٧٨).

هكذا، أدى الرفض لثقافة الآباء "المنزل" لحدوث ظواهر سلبية مختلفة... مثل الإحساس بالدونية أمام الثقافة "الأعلى"، وهي ثقافة يهود أوربا. ولم تعد الفروق الثقافية تقتصر على العادات فقط، ولم تعد قاصرة على الظهور في المدارس فحسب، بل ظهرت في مجالات متعددة، تجعل أي إنسان من أصل شرقي يشعر بأنه غريب(٧٩).

(ج)أزمة الهوية والبحث عن الذات

أدت هذه الضغوط التي تعرض لها الفتى "أرمند"، كنموذج للشباب اليهودي المغربي والسفارادي، داخل "الكيبوتس" إلى فقدانه لذاته، ولهويته ولماضيه. لدرجة أن الطبيب النفسي المعالج له وصفه بأنه " نموذج لفتى أوربي" :

" دعتني أسنات للحديث فوق النجيلة. حكت لي كيف أن الدكتور زليج أخذ انطباعًا جيدًا عني. وأنه تحدث عن أحاسيس وعن مستوى فتى أوروبي. وأوصى أن أتعلم الموسيقى. لأن الاشتغال بالجمال يبعد المخاوف...اندهشت من مصطلح "فتى أوروبي". فما هي ميزة هذا المخلوق؟ هل هو نموذج للتشبه به؟ وما الذي يختلف فيه عن فتى ولد في المغرب؟ هل يشبه الفرق بينهما ذلك الذي بين الديني والعلماني؟ "(٨٠).

تشير هذه الفقرة إلى أن الإحساس بالتمزق النفسي والازدواج الثقافي، وسيطرة مشاعر الحزن والألم وخيبة الأمل من هذا الواقع المرير، أهلوا "أرمند" ليصبح النموذج الفعلي " للفتى الأوروبي" الذي يسعى المجتمع الإسرائيلي لأن تحذو الشخصية الإسرائيلية حذوه.

وفي المشهد الأخير من الرواية يبرز مدى ما وصل إليه "أرمند" من انفصال عن ذاته، خلال حواره مع "يوآب" مدرس العلوم بالكيبوتس:

" "هل حقًا تعتقد أننا سببنا ضررًا لنفسيتك؟ ".

"...تحدث أبي عن صيد الأرواح..."...

"هل تعتقد أنه كان من الخير لك لو ظللت ولدًا متدينًا ؟ "

" لا أعرف. فمن المحتمل أنني كنت على الأقل حينذاك سأتوحد مع ذاتي، ولا أكون مشطورًا"...

"...أنت ببساطة تهفو للوهم الذي أسبغه عليك أسلوب حياتك السابقة ..." " (٨١).

كان هذا هو الثمن الذي يجب أن يدفعه "أرمند" في مقابل ما تلقاه من تعليم:

" هل هناك تهمة توجهها ضدنا ؟ "

" لا ."

" لقد عملنا وفق الإيمان بالخير."

" إنه الخير الخاص بكم."

" أنت مع كل هذا ما تزال توجه الاتهام."

" لا، بصدق، في حقيقة الأمر حصلت هنا على أشياء جميلة ، كان من المحتمل ألا أحظى بها في ظروف مختلفة..."

" إذن الحساب بيننا متوازن..."

" نعم، لكنه ليس كذلك بيني وبين ذاتي..." (٨٢).

ورغم ما وصل إليه حال "أرمند" إلا أنه لم يتهم أحدًا، وهذا يختلف عن المواقف التي اتبعها أبطال الأعمال الأدبية التي كتبها أدباء من ذوي الأصول اليهودية الشرقية، الذين شعروا بنفس هذه الإشكاليات التي عاشها "أرمند"، فاحتجوا وعارضوا واتهموا آخرين بأنهم السبب في وضعهم المتصدع. لكن "أرمند" يحاول أن يساعد نفسه عن طريق محاسبة نفسه فقط، ومن منطلق اليقظة يرفض العودة إلى ما كان، ويرفض البقاء في ما يكون. ويخطو نحو " هروب آخر ورحلة مختلفة " رحلة يشاركه فيها معظم من في إسرائيل (٨٣).

ومن هنا بدأ "أرمند" رحلته للبحث عن الذات، فأخذ ينقب بين ذكريات الماضي عن جذوره وعن هويته الثقافية لعله يجد فيها ما يحصنه ضد هذه الضغوط:

" بحثت بين أشجار الكرم عن معلمي ربي زفلون، لأستمد التشجيع من نظرته القوية، من وفرة الأمان الذي يحل حوله داخل فصل مصغٍ في " أم الأبناء ". أردت أن أجد عزاء بين صفحات مشناته، التي لا توجد قوة في العالم تستطيع أن تقوضها. أردت أن أضعها كحاجز. أمام يوآب مدرس العلوم الطبيعية..."(٨٤).

ولم يقتصر الأمر على مجرد رحلة عبر الذكريات، بل أمتد الأمر إلى ضرورة اتخاذ خطوة فعلية بالابتعاد والخروج من هذه الحلقة المحكمة الغلق، للبحث عن الذات المفقودة، فكانت الرحلة التي قام بها " أرمند " البالغ، بعد خمسة وعشرين عامًا من بقائه في إسرائيل:

" في شهر سيفان الصافي عام ١٩٧٩م، جاء سبعة زائرين بحثًا عن حدائق اللعب، وأماكن الحياة وزوايا مخابئ مهد طفولتهم "(٨٥).

وقد كانت هذه الرحلة الكبرى التي قام بها "أرمند" عبر المكان(للمغرب)، المصحوبة برحلة أخرى عبر ذكريات الزمان، سبقتهما رحلات عديدة كان أبرزها خروجه الاختياري من "الكيبوتس":

" عندما وقفت أمام الباب الحديدي المزين بعناقيد العنب وحقيبتي على كتفي-خطوت مرة أخرى نحو هروب آخر، إلى رحلة مختلفة. نظرت للحقول، للوادي الأخضر ونحو قنوات المياه؛ شعرت وكأنما عيناي ترى آفاقًا أخرى وأنني لن أعود أبدًا أرمند إياه، ذو العيون الحالمة والبيريه الأزرق المائل على رأسه"(٨٦).

تترابط كل هذه المحطات لتكون رحلة واحدة كبرى، قام بها الراوي " أرمند " إلى أعماق نفسه، للبحث عن الهوية(٨٧).

ولم يكن "أرمند" وحده، أو بالمعني الصحيح المؤلف "عوزيئيل حازان"، هو الذي قام بهذه الرحلة للفردوس المفقود، للجذور الحقيقية لاستعادة ذكريات الماضي وللبحث عن الهوية والذات. فقد شاركه في هذه الرحلة العديد من يهود المغرب مثل " شلومو بن عامي" الذي تحدث عن رحلاته إلى طنجة قائلاً: " إنني مجنون بهذه المدينة. عدت إليها، أول مرة، سنة ١٩٨٤م ودرستها من جديد وعشقتها مجددًا، وأعتقد أنني تواصلت حسيًا من جديد مع طنجة في محاولة لفهم نفسي...وكان مهمًا بالنسبة لي أن أفهم كيف وصلت إلى المكان الذي أنا فيه، وكيف وصلت إلى ما أنا عليه أو إلى ما أردت أن أكون عليه. وظننت أن الجواب عن هذه الأسئلة غير موجود في بلدة أوفاكيم أو في كريات شمونه، إنما في طنجة...لهذا كله أكرر العودة إلى هنا. وأفعل ذلك نظرًا إلى أن طنجة توضح لي ما في أعماقي وتفسره. إنها تسوي تناقضاتي...(٨٨)".

ويؤكد هذا العمل الأدبي أيضًا زيف الادعاء الإسرائيلي بأن المجتمع الإسرائيلي هو " بوتقه صهر" تذوب فيها الفروق الثقافية، والاجتماعية والاقتصادية بين الجماعات المهاجرة. والشيء الوحيد الذي ينتج عن هذه العملية هو تكوين قوالب بشرية جامدة، ربما تكون متشابهه في الملامح الخارجية والأنماط الحياتية لكنها داخليًا ممزقة مشتتة. ومن هنا نشأ جيل من اليهود السفاراديم يعاني من الخواء النفسي والاغتراب والازدواج الثقافي.

الهوامش:

(1)مدرسة "أم الأبناء": هي إحدى مدارس مؤسسة "أم الأبناء" التعليمية للتعليم اليهودي التقليدي، أسسها الحاخام "زئيف هالبرين"، وهو من يهود شرق أوروبا أقام في المغرب خلال ١٩١٤-١٩٢٢م. وقد ازدهرت هذه المؤسسة في منتصف عشرينات القرن العشرين، التعليمية ، وكانت الفرنسية هي اللغة الرسمية داخل هذه المؤسسة التعليمية. كان الدعم المالي لمدارس "أم الأبناء" يأتي من قبل نساء الجالية، وبصفة خاصة من زوجات الحاخامات والأثرياء؛ وفي عام ١٩٣٥م كان لها مدارس هامة في المناطق الداخلية بالمغرب، خاصة في فاس، سفرو، مكناس ومراكش.(انظر: صموئيل اتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية ١٨٥٠-١٩٥٠م، ترجمة: جمال أحمد الرفاعي، مراجعة: رشاد عبد الله الشامي، سلسلة عالم المعرفة، عدد ١٩٧، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مايو ١٩٩٥م،، ص ٣٠٩؛ وانظر أيضًا: ميخائيل ليسكر، " التعليم اليهودي في المغرب"، مجلة بيعاميم، العدد ٩، ١٩٨١، ص ٨٥، [بالعبرية]).

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر: أحمد الشحات هيكل، المكونات الثقافية ليهود المغرب وتطورها في إسرائيل، مجلة آفاق أفريقية، المجلد الثالث، عدد ١١، خريف ٢٠٠٢، الهيئة العامة للاستعلامات، (ص ص ٢٥-٤٢).

(٣) انظر: أحمد الشحات هيكل، التمييز الطائفي للسفارديم في ضوء تجربة الاستيعاب، مجلة مختارات إسرائيلية، العدد ١٠٠، أبريل ٢٠٠٣، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، (ص ص ١٢٤- ١٢٨).

(٤)المنيان " النصاب الشرعي": عبارة عن مجموعة من عشرة أفراد من اليهود، من سن الثالثة عشر فصاعدًا من أجل الصلاة أو القيام بأي عمل مقدس آخر. ولا تجوز صلاة الجماعة بأقل من عشرة مصلين من اليهود.(رشاد عبد الله الشامي، الرموز الدينية في اليهودية، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، عدد ١١، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٧٠).

(٥)عوزيئيل حازان، مرجع سابق، (ص ١٩٨).

(٦)يشترط في الحيوانات والطيور الأليفة التي تذبح، أن تكون سليمة من العطب ومن الجروح والكسور والأمراض، وأن تذبح من منحرها بالطريقة الشرعية بعد تلاوة بركة تتضمن اسم الله، بشكل يقارب القواعد الإسلامية.(حسن ظاظا، مرجع سابق، ص١٩٧).

(٧)عوزيئيل حازان، مرجع سابق، (ص ٢١١).

(٨)المرجع نفسه، (ص٢٠٢).

(٩)المرجع نفسه، (ص ٢٣٠).

(١٠)المرجع نفسه، (ص ٢٠٩).

(١١) المرجع نفسه.

(١٢)لمزيد من التفاصيل انظر:حسن ظاظا، مرجع سابق، (ص ص ١٩٧-١٩٨).

(١٣)تستخدم المياه كوسيلة من وسائل التطهر في اليهودية؛ كما ورد في حزقيال ٣٦ : ٢٥وفي زكريا ١٣: ١. وحسبما جاء في التشريع اليهودي يعد الخنزير من النجاسات؛ كما جاء في اللاويين ١١: ٧. وحول استخدام المياه للتطهر في المشنا والتلمود انظر:مصطفي عبد المعبود سيد، التطهر في التشريع اليهودي من خلال المشنا: دراسة وتحليل، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم اللغات الشرقية وآدابها (فرع اللغات السامية)، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٩م، (ص ص ١٤٦-١٤٩).

(١٤)عوزيئيل حازان، مرجع سابق، (ص ٢١٢).

(١٥)رشاد الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ١٢٢).

(١٦)عوزيئيل حازان، مرجع سابق، (ص ١٩١).

(١٧) المرجع نفسه، (ص ١٩٢).

(١٨) المرجع نفسه.

(١٩)آري شفيط، مرجع سابق، (ص ١٤٣).

(٢٠)عوزيئيل حازان، مرجع سابق، (ص ١٩٧).

(٢١)المرجع نفسه، (ص ١٩٢).

(٢٢)المرجع نفسه، (ص ١٩٤).

(٢٣)المرجع نفسه، (ص ص ١٩٤- ١٩٥).

(٢٤)المرجع نفسه، (ص ٨٧).

(٢٥)يعقوف إيدين، أرمند: قصة أطفال المهاجرين الذين اختل عالمهم في الكيبوتس، مجلة بمعراخاه، مجلد ٢٢ عدد ٢٥٩، ١٩٨٢، (ص ١٢)، [بالعبرية].

(٢٦)عوزيئيل حازان، مرجع سابق، (ص٢٠٢).

(٢٧)المرجع نفسه، (ص ٢٠٨).

(٢٨)المرجع نفسه.

(٢٩) إيلا حبيبة شوحط، مرجع سابق، (ص ٥٥).

(٣٠) المكابيين : الأسرة اليهودية التي حمل أبناؤها لواء المعارضة والتمرد ضد الحكم اليوناني السلوقي ثم ضد الحكم الروماني، خلال الفترة ١٦٤ق.م-٢٧ق.م، وهي الأسرة التي عرفت أيضًا بأسرة "الحشمونيين" نسبة إلى الجد الأكبر "حشمون". تزعم هذا التمرد الكاهن متتيا بن يوحنا الحشموني. (لمزيد من التفاصيل انظر: مني ناظم، أضواء على تاريخ اليهود: من القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن الثاني الميلادي، د.ن.، د.ت.، ص ص ٣٩-٧٠).

(٣١)بر جيورا: هو شمعون بر جيورا أحد زعماء التمرد اليهودي ضد الرومان عند سقوط القدس ٧٠م .

(٣٢)عوزيئيل حازان، مرجع سابق، (ص ١٩٦).

(٣٣)المرجع نفسه.

(٣٤)المرجع نفسه، (ص ٢٠٦).

(٣٥)المرجع نفسه، (ص ٢٠٥).

(٣٦)المرجع نفسه، (ص ٢١٠).

(٣٧)المرجع نفسه، (ص ٢١٣).

(٣٨)المرجع نفسه، (ص ٢١٤).

(٣٩)المرجع نفسه، (ص ٢١٣).

(٤٠) آري شفيط، مرجع سابق، (ص ١٤٠، ١٤٦).

(٤١)عوزيئيل حازان، مرجع سابق، (ص ٢١٣).

(٤٢)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ٢٤٨).

(٤٣)عوزيئيل حازان، مرجع سابق، (ص ٢٢٨).

(٤٤)يعكوف إيدين، مرجع سابق، (ص ١٣).

(٤٥)عوزيئيل حازان، مرجع سابق، (ص ٢٣٢).

(٤٦) المرجع نفسه، (ص ١٩٧).

(٤٧)المرجع نفسه، (ص ١٩٢).

(٤٨)المدراشيم. بمعنى التفاسير أو الشروح، وهناك "مدراش هجاداه" ويتناول القصص والحكايات والأساطير اليهودية، و"مدراش هالاخاه" ويختص بالشرائع الدينية. (انظر:رشاد عبد الله الشامي، الرموز الدينية، مرجع سابق،ص ١٦٠).

(٤٩)عوزيئيل حازان، مرجع سابق، (ص ١٨٠)

(٥٠)المرجع نفسه، (ص ٢٠١).

(٥١)المرجع نفسه، (ص ٢٠٨).

(٥٢)المرجع نفسه، (ص ١٩١).

(٥٣)المرجع نفسه، (ص ص ٢٣٠- ٢٣١).

(٥٤) أفراهام شطال، الامتزاج الثقافي في إسرائيل، إصدار عام عوفيد، تل أبيب، ١٩٧٦، (ص ١٤)، [بالعبرية].

(٥٥)عوزيئيل حازان، مرجع سابق، (ص ١٩٢).

(٥٦)المرجع نفسه، (ص ٢١٠- ٢١١).

(٥٧)المرجع نفسه، (ص ١٩٦).

(٥٨)شارع الفاطيو: الشارع الذي كانت تقطن فيه عائله أرمند، داخل "الملاح" بمنزل "حماس يتسحاق" بالدار البيضاء.

(٥٩)المرجع نفسه، (ص ٢٠٩).

(٦٠)المرجع نفسه، (ص ٢١٣).

(٦١)المرجع نفسه، (ص ٢٠٤).

(٦٢)المرجع نفسه، (ص ٢٣٢).

(٦٣)بنحاس كوهين جان: (رسام) ولد في عام ١٩٤٢م في مدينة مكناس بالمغرب. هاجر مع أسرته إلى إسرائيل عام ١٩٤٨م، وبعد بضعة أشهر اضطروا للإنتقال إلي فرنسا والإقامة في مارسليا.وفي عام ١٩٤٩م هاجروا مرة أخرى لإسرائيل للاستقرار بها. اقامت أسرته في حيفا في كريات بيالك . (انظر: بلفور حكاك "محاور"، "ليشاهدوا من وجه نظري"، مجلة أبريون، عدد ٣، شتاء ١٩٨٤/ ١٩٨٥، (ص ٦)، [بالعبرية]).

(٦٤)المرجع نفسه.

(٦٥)سن التكليف الشرعي: سن الثالثة عشرة ويوم واحد للصبي (الثانية عشرة ويوم واحد للفتاة) عندها يكون ملزمًا بالقيام بجميع الفرائض الدينية فيرتدي التفلين وينضم للنصاب الشرعي في الصلاة.

(٦٦) رحوفوت: مستوطنة، تأسست عام ١٨٩٠، وتحولت إلى مدينة عام ١٩٥٠؛ حيث أصبحت مركزًا يجمع بين الزراعة والصناعة والعلوم.

(٦٧) عكرون: هي كريات عكرون إحدى بلدات التطوير، تقع إلى الجنوب الشرقي من رحوفوت على امنطقة الساحلية.

(٦٨)الطاليت:شال الصلاة يرتديه اليهود، عبارة عن ثوب مستطيل الشكل يشبه الحرام. يحتوي على اللونين الأبيض والأزرق السماوي، يرتديه اليهود في الصلاة وفي مراسم الزواج، وقد يكفن فيه الميت؛ التفلين:عبارة عن صندوقين يصنعان من جلد الحيوانات "الكوشير" ويحتويان على بعض الفقرات التوراتية الخاصة بخلاصة العقيدة اليهودية. يوضع واحد في مقدمة الرأس ويثبت بواسطة شريط من الجلد، أما التفلين الآخر فيربط على الذراع الأيسر بشريط طويل من الجلد.(لمزيد من التفاصيل انظر: رشاد عبد الله الشامي، الرموز الدينية، مرجع سابق، ص ٥٩-٦٤،٩١-٩٧).

(٦٩)عوزيئيل حازان، مرجع سابق، (ص ٢١٥).

(٧٠)الصيصيت:أهداب تتصل بأذيال ثياب اليهود وخاصة بالطاليت، وتتكون من أربعة خيوط متداخلة من خلال ثقب الثوب تتدلى من جانبية، وتكون بذلك ثمانية خيوط أربعة أهداب بيضاء، وأربعة زرقاء. ويشترط في الثوب الذي يزود بالصيصيت أن يكون ذا أربعة أطراف.(انظر:رشاد عبد الله الشامي، الرموز الدينية، مرجع سابق، ص ص ٦٩-٧٥).

(٧١)عوزيئيل حازان، مرجع سابق، (ص ٢١٦).

(٧٢)المرجع نفسه، (ص ٢٣٠).

(٧٣)أفراهام شطال، الامتزاج الثقافي في إسرائيل، مرجع سابق، (ص ١٦).

(٧٤)الصعود للتوراة: فهي السبت الأول بعد اكتمال ١٣ عامًا ويومًا واحدًا يصعد الفتى للمنصة داخل المعبد، حيث يقرأ أمام الحضور الفصل الإسبوعي للتوراة ويتبعه بإلقاء موعظة معدة سابقا. ويقدم له الأصدقاء والأقارب الهدايا، وتعد بعد ذلك الوليمة إحتفالاً ببنوع س التكنيف.

(٧٥)عوزئيل حازان، مرجع سابق، (ص ص ٢١٥- ٢١٦

(٧٦)المرجع نفسه، (ص ٢١٦)

(٧٧)المرجع نفسه، (ص ٢١٥).

(٧٨)المرجع نفسه، (ص ٢٢٤).

(٧٩)أفراهام شطال، الامتزاج الثقافي في إسرائيل، مرجع سابق، (ص ص ٩–١٠)

(٨٠)عوزئيل حازان، مرجع سابق، (ص ٢٨٨).

(٨١)المرجع نفسه، (ص ٢٣٣)

(٨٢)المرجع نفسه، (ص ص ٢٣٣- ٢٣٤).

(٨٣)يافاه بنياميني، أرمند نوفيلا مغربية، مجلة أبريون، عدد١، ربيع ١٩٨٣. (ص ١١٦) [بالعبرية].

(٨٤)عوزئيل حازان، مرجع سابق. (ص ٢١٣).

(٨٥)المرجع نفسه، (ص ٢٦)

٨٦)المرجع نفسه. (ص ٢٣٤)

(٨٧)يافاه بنياميني، مرجع سابق، (ص ١١٦).

(٨٨)آري شفيط، مرجع سابق، (ص ص ١٤٦–١٤٧)

الفصل الرابع

إشكاليات الواقع الاجتماعي والثقافي

في بعض الأعمال القصصية العبرية لأدباء يهود مغاربة

يتناول هذا الفصل بعضًا من إشكاليات الواقع الاجتماعي والثقافي للمجتمع الإسرائيلي، وما ينطوي عليه من مظاهر تمييز واضحة للعيان يمارسها يهود الثقافة الإشكنازية، بناة ومؤسسو الاستيطان الصهيوني ودولة إسرائيل، وصانعو طابعها الثقافي الغربي، ضد يهود البلاد العربية والإسلامية الذين تم استجلابهم إلى " دولة إسرائيل"، لسد النقص في الأيدي لعاملة المطلوبة لممارسة المهن الحقيرة في كافة شئون حياتهم - وكما اتضح في الفصل السابق، أن الآلة الإشكنازية كانت حريصة كل الحرص منذ اللحظة التي وطئت فيها أقدام هؤلاء السفارديم أرض إسرائيل، على أن تحولهم إلى مسوخ إشكنازية، في محاولة لسلخهم وقطعهم عن إطارهم الديني التقليدي الذي عاشوا فيه لقرون عديدة، وعن ثقافتهم اليهودية المتميزة التي عاشوا وفقًا لها، في كنف الحضارة الإسلامية. وقد أظهرت النماذج التي تمت معالجتها في هذا الصدد، كيف أن هذه المحاولات باءت في معظم الأحوال إما بالفشل، وإما بإحداث تمزق نفسي في داخل الشخصية اليهودية السفارادية.

وسوف يستعرض ويعالج هذا الفصل بعضًا من هذه الإشكاليات من خلال عدد من النماذج القصصية التي كتبها أدباء إسرائيليون من أصل يهودي مغربي، وهي سبعة أعمال قصصية قصيرة، وهي:

(١) قصة " الذبيح" لألبرت سويسا،١٩٨٧م:

تدور القصة حول أسرة الفتى "يوحاي آهارون بزونيلو" اليهودي المغربي، التي تقيم في أحد الأحياء الفقيرة في إسرائيل. تعيش الأسرة في مستوى معيشي متدن، وتعاني من فقدان سلطة الأب، الرجل التقي الورع والحريص على أداء الفرائض الدينية، الذي يرضخ لحياة الضعف والسلبية تحت وطأة الحياة القاسية والمجتمع الإسرائيلي العنيف. فلم يمهله العمل

المتواصل لكسب قوت يومه من تربية أولاده تربية سليمة. وأمام عنف الفتى "يوحاي" وتمرده؛ يضطر الأب إلى إرساله لإحدى المدارس الداخلية الدينية في "بني براك" (١) لتهذيبه وتقويمه، وفي الوقت نفسه هربًا من تحمل مسئوليته. وقد كانت الحياة في هذه المدرسة بالنسبة ليوحاي حياة قاتمة غير إنسانية، شديدة القيود، وهو الفتى الذي اعتاد الهرب والتحرر من أية قيود؛ لذلك يمارس عادته في الهروب – بلا هدف – إلى حياة الفوضى والعبث.

(٢)**قصة " قبر على جبل الزيتون" ليتسحاق كينان، ١٩٦٩م**:

تحكي القصة عن الشاب "ايتسيك"، الذي هاجر من المغرب إلى إسرائيل وهو لم يتعد بعد الحادي عشر من عمره، وقد هاجر وحيدًا بدون أسرته التي ظلت في المغرب، وذهب لجدته "مريام" بالقدس يحمل لها هدية والده لها، وهي عبارة عن كفن. هذه الجدة التي ادعت له ذات مرة أن لها قبرًا في جبل الزيتون، ترغب في أن تحرره من أيدي العرب، لتتمكن من أن تدفن في قبرها. وتمر السنون ويلتحق "ايتسيك" بالجيش، وتنشب حرب٦٧، ويشعر الشاب بأن حلم جدته يوشك أن يتحقق، ولكن القدر لم يمهلها حتى تحقق أمنيتها، حيث ماتت ودفنت بعيدًا عن جبل الزيتون.

(٣) **قصة" قرض" لموشية بن هاروش، ١٩٨٢م**:

تدور الأحداث حول أديب من أصول شرقية يمتلك موهبة أدبية بالفطرة، لكن الموهبة وحدها لا تكفي، فالأمر ليس بهذه السهولة، حيث يعاني من تجاهل وإهمال صريح من جانب الدوريات والملاحق الأدبية المختلفة التي لا تسمح له بالنشر، ولا يجد من يلقى الضوء على كتاباته من النقاد، كما أن دور النشر على أتم الاستعداد لنشر أعماله بشرط أن يوفر الدعم المالي اللازم لذلك، ولكنه لا يملك هذا المال. ولا يجد هذا الأديب حلاً لهذه المعضلة سوى أن يقوم هو ومجموعة من أصدقائه بإصدار دورية أدبية متخصصة تمكنه هو وأمثاله من نشر إبداعاتهم وأفكارهم، وذلك في محاولة لفك الحصار المفروض على الأدب العبري الذي تحتكره فئة معينة لا تسمح بعرض أي اتجاه آخر يخالف اتجاهاتها.

(٤)قصة" الشخصية" لموشيه بن هاروش، ١٩٨٣م:

تحكى هذه القصة عن "يورام"، الذي ولد بالمغرب عام ١٩٦٠م، ثم هاجر إلي إسرائيل عام ١٩٧٣م، ومنذ أن وطئت قدماه أرض إسرائيل أحس بالغربة، فلم يستسغ الاتجاه العلماني المتحرر، ولا حتى الاتجاه الديني المنغلق ووجد مجتمعًا بعيدًا تمامًا عما كان يريده.

وعندما أنهى خدمته في الجيش بدأ يعانى من البطالة ويشعر بأن هناك تمييزًا في العمل، وقد كان يقضى معظم أوقاته أمام مكاتب العمل لعله يجد عملاً ما، لكن كل محاولاته باءت بالفشل. وأمام هذا الإحساس المرير بالاضطهاد والتمييز الذي يعاني منه "يورام"، هو ومن على شاكلته من أبناء اليهود السفاراديم، تبدأ شخصية "يورام" في فرض نفسها على أديب سفارادي ليكتب عنه وعن مشاكله داخل المجتمع الإسرائيلي.

في البداية، فكر الأديب أن يجعل منه شخصية ثانوية في الرواية التي يكتبها، كأن يكون ابنًا لإحدى الشخصيات، لكن "يورام" أصر على أن يكون هو الشخصية الرئيسة. وبعد أن فشل الأديب في التخلص من شخصية "يورام"، التي كانت تزج بنفسها في أي مشهد، ترك روايته وبدأ في كتابة رواية جديدة عن "يورام".

لكن بعد أن كتب بضع صفحات عن نشأة "يورام" وبداية وصوله لإسرائيل، بدأت ظلال الحزن والأسى والكآبة تفرض نفسها على الأحداث، وبدت شخصية "يورام" مثيرة للسأم، ثم ما لبث أن عاد الأديب لكتابة روايته الأولى؛ فمن ذا الذي سيهتم بقراءة مشاكل أبناء الطوائف اليهودية الشرقية، لكن "يورام" عاد مرة أخري وأفسد عليه روايته. وكان الأديب يخشى أن يتخطى الخطوط الحمراء، ويتعرض في روايته لما يعانيه أبناء هذه الطوائف من تمييز وتفرقة وتهميش داخل المجتمع الإسرائيلي؛ لذلك قرر الأديب البحث عن "يورام" في مكاتب العمل لكي يوسعه ضربًا ويجبره على الابتعاد عنه، وفي مكتب العمل يلمس الأديب على الطبيعة ما يعانيه "يورام" وأمثاله من تمييز، ومن هنا، يبدأ في الاقتناع برأي "يورام" ويكتب عنه رواية، خاصة أنه مثله من أبناء الطوائف اليهودية السفارادية.

(٥)قصة "اثنان متمسكان بالخلاص" لموشيه بن هاروش، ١٩٨٥م:

القصة عبارة عن حوارات بين مجموعة من الحاخامات، تدور في مجملها عن مفهوم الخلاص، وحنينهم المتأجج له، والعلامات التي تبشر بقرب حدوثه. وخلال هذا الحوار تطرح العديد من الأسئلة والأجوبة التي يحاول المؤلف من خلالها تقديم فلسفته عن الخلاص

المسيحاني، ومن هو الأحق بهذا الخلاص. ويخلص في النهاية إلى أن هناك مصلحة متبادلـــة بين الرب واليهود، فكلاهما بحاجة إلى الآخر لتحقيق الخلاص.

(٦)قصة " كلنا بولنديون " لموشيه بن هاروش، ١٩٩٦م:

تحكي القصة عن الكاتب "شارلى بوكوفزه "، الذي هاجر من المغرب إلي إسرائيل، وهو لـــم يبلغ بعد الثالثة من عمره. وبعد أن انفصل والده عن والدته؛ نزح والده عن إســـرائيل وأقـــام بفرنسا، وافتتح هناك مطعمًا. ويقيم شارلى في شقة متداعية بجنوب تـــل أبيـــب، وأوضـــاعه الاقتصادية متدهورة، حتى أن الميراث الضئيل الذي ورثه عن جده لا يكفي متطلباته الضرورية ونفقاته على عشيقاته. ولكي يتمكن شارلي من الإنفاق على متطلباتـــه؛ يضـــطر للكتابـــة فـــي موضوعات تصيبه بالملل. وأخيرًا، يصله خطاب من محرر إحدى المجلات يطلب منـــه الكتابـــة عن" الكسكس " في الشعر المغربي، لكن شارلى يدعى أنه لا يعرف شيئًا عن الشعر المغربـــي، ولا حتى عن اللهجة المغربية، فهو يرغب في الكتابة عن موضوعات أخـــري مثـــل الحـــب أو الخمر، لكنه في النهاية يرضخ ويوافق على الكتابة عن موضوع " الكسكس في الشعر المغربي" تحت ضغط حاجته الماسة للمال.

لكن هذا المقال لم يتحدث مطلقًا عن الكسكس أو عن أي شئ يتعلق بالشعر المغربي، لـــذلك طلب المحرر منه أن يكتب مقالاً جديدًا، إلا أن هذا المقال جاء أيضًا بعيدًا عن المطلوب.

وهنا يحاول "موشيه بن هاروش" على لسان "شارلى بوكوفزه" الإعراب عن دهشته وتعجبه من فرض إطار محدد على أدباء الطائفة اليهودية المغربية أو غيرهم من اليهـــود الســـفاراديم؛ وذلك يرجع إلى سيطرة الأسلوب الإشكنازي على أنماط الحياة داخل المجتمع الإسرائيلي وتعمد الإشكناز توزيع الأدوار داخل المجتمع الإسرائيلي، حتى على الساحة الأدبية.

(٧)قصة "خالتي" لشالوم خلفون،١٩٨٤م

يحكي الراوي " المؤلف " عن حبه الشديد لكتابة قصص وحكايات عن أيام طفولته بالمغرب، لكن أمه تعرب عن سخطها وغضبها من هذه القصص، وتتبرأ منه ومن أفعاله التي تسيء لها ولكل أفراد الأسرة وأبناء الطائفة اليهودية المغربية، لأنها كانـــت تتمنـــى أن يصـــبح حاخامًـــا تتشرف به الأسرة. وترى الأم أن كتابة القصص وسردها على مسامع الآخرين نوع من أنواع الكفر بكل المعتقدات، ورغبة صريحة في التخلي عن عـــاداتهم وســـلوكياتهم التقليديـــة، إلا أن الراوي لا يلتفت لمثل هذه الأمور. ويبدأ في سرد حكاية عن خالته "عزيزة" وما كانت تتمتع به

من عزة نفس ومكانه محترمة بين جميع أفراد أسرته بالمغرب. ويستشهد بالعديد من النماذج والمواقف التي تدل على ذلك. والقصة مفعمة بالعديد من الصور الفلكلورية الشعبية التي يتميز بها يهود المغرب مثل الإيمان بالأرواح الشريرة، وزيارة الأضرحة ومقدرتهم على شفاء المرضى وفك الحسد وأعمال السحر وغيرها من الخرافات والعادات والتقاليد التي كانت شائعة بين يهود المغرب.

إشكاليات الواقع الاجتماعي والثقافي

(أولا)إشكالية التجاهل الثقافي

ذكر من قبل أن الأدباء الإسرائيليين من أصول مغربية يعانون من ظاهرة التجاهل الثقافي، مثل معظم أقرانهم من أدباء الطوائف اليهودية السفارادية داخل المجتمع الإسرائيلي، وقد تمثل هذا التجاهل في عدم وجود دوريات نقدية تتحدث عن أعمالهم، وعدم وجود دور نشر تهتم بنشر هذه الأعمال، ويشذ عن هذه القاعدة الأعمال الأدبية التي تركز على إبراز سوءات المجتمعات الشرقية؛ كما هو الحال في رواية "فكتوريا" لسامي ميخائيل التي حظيت بانتشار واسع. ويعدها النقاد أنها بمثابة انسلاخ تام عن الواقع. وقد أثارت استياء اليهود العراقيين في إسرائيل.

وفي مقابل تجاهل الأدباء السفاراديم، انصب التركيز فقط على الأدباء الإسرائيليين ذوي الأصول الإشكنازية أو على تلك الأعمال التي تتناول ما هو في صالح الأسس العامة التي يقوم عليها المجتمع الإسرائيلي، مثل أنه مجتمع يتميز بالعدالة الاجتماعية والديموقراطية والمساواة...وأن إسرائيل هي بوتقة صهر تذوب فيها كل الفروق الاجتماعية والاقتصادية بين كافة الأصول الثقافية، بينما لا تلقى الأعمال التي تتناول الآثار السلبية لهذه القضايا أو محاولة نقدها أي اهتمام يذكر.

وقد شمل التجاهل الثقافي كل ألوان الإنتاج الأدبي من شعر ورواية ومسرحية، وقد عبر "موشيه بن هاروش" عن هذه الظاهرة قائلاً : "خضع الشعر العبري تقريبًا منذ نحو ثلاثين عامًا لسيطرة فئة معينة، وعلى ذلك يمكن القول إن كل الدوريات الأدبية التي تصدر في إسرائيل تعبر عن جيل الدولة. لكن ماذا يعني ذلك ؟ ألا يوجد أدب آخر مكتوب؟ بالتأكيد يوجد. لكن المشكلة هي أنه لا يوجد أحد قادر على تقويمه. وما يحدث مع الشعر يحدث أيضا مع النشر الذي يخضع لسيطرة التيار الواقعي الرمزي والتيار الشعوري

وقد كتب "موشيه بن هاروش" عن هذا الإهمال الثقافي في إحدى افتتاحياته قائلاً:

" استيقظ ذات صباح واكتشف أنه يكتب. وفي صباح آخر، وصل إلى استنتاج، وهو أنه كاتب جيد؛ ومنذ يومين كان يريد أن ينشر. يعرف أنه عبقري؛ وأنه النابغة غير المتوج للأدب العبري. وحينئذ اكتشف فجأة أن هذا ليس بالأمر السهل، أرسل لمحرري كل الدوريات والملاحق الأدبية؛ إلا أنه بصفة عامة لم يحصل على أي رد؛ يتصل بهم، فيكون الرد " نعم، قرأت. إن هذا ممتع، أرسل إلى مرة أخرى." ويفهم من هذه الإجابة أن أحدًا لم يقرأ وليس هناك أي احتمال بأن أحدًا سيقرأ له. وتكون دور النشر على استعداد أن تنشر كتبه بشرط أن يدفع. لكنه، لا يملك المال ..."(٣).

ويرسم "موشيه بن هاروش" بقلمه هنا، في هذه الافتتاحية، إحدى صور التمييز والتجاهل الثقافيين التي يعاني منها الأدباء الإسرائيليون من أصول مغربية، على غرار أقرانهم من أبناء الطوائف اليهودية السفارادية، الذين توصد الأبواب في وجوههم، ولا تلتفت إليهم الدوريات الأدبية، ولا يقرأ لهم النقاد، كما أن دور النشر تطلب منهم تمويل إصداراتهم إذا شاءوا النشر.

ويواصل "موشيه بن هاروش" عرض نماذج أخرى لأشكال التمييز الثقافي في قصة قصيرة له بعنوان " الشخصية"، حيث تعرض القصة من جانب حكاية الشاب الإسرائيلي "يورام"، وهو ذو أصول يهودية مغربية، وما يتعرض له من تمييز اجتماعي وتهميش داخل المجتمع وما يعاني منه بسبب البطالة، ومن جانب آخر، تعرض واقع معاناة أديب إسرائيلي من أصول يهودية شرقية يهرب من الكتابة عن مشاكل أبناء طائفته؛ لما ستلاقيه مثل هذه الأعمال من إهمال وتجاهل، ولذلك عمد الأديب إلى تقليص المساحة التي يظهر فيها هذا الشاب "يورام". كما هو معهود، داخل المجتمع الإسرائيلي من تهميش لمثل هذه النماذج:

" في البداية فكر الأديب في أن يقدمه كشخصية ثانوية: أن يجسد شخصية يورام على أنه ابن لإحدى الشخصيات..."(٤).

ولمعرفة الأديب باتجاهات الحركة الأدبية في إسرائيل، وأنها لن تلتفت لأعمال تتحدث عن معاناة الطوائف اليهودية الشرقية؛ سارع بإبعاد "يورام" عن الأحداث رغم محاولات الأخير فرض نفسه ورغبته في أن يتحول من شخصية ثانوية لشخصية رئيسة:

" عرض عليه الأديب كل أنواع الإغراءات شريطة أن يخرج من الرواية. حتى إنه تعهد ليورام بأنه سيكتب عنه في يوم ما في المستقبل رواية تدور كلها تقريبًا حوله. وحاول أن يشرح ليورام أنه برغم كونه شخصية ممتعة للجميع إلا أنه غير مناسب لهذه الرواية"(٥).

وهكذا، فإن الواقع اليائس الذي يعاني منه "يورام" ومن هم على شاكلته يجعل الكتاب، حتى ذوي الأصول السفارادية، ينفرون من التعرض له هروبًا من عملية الإهمال والتمييز الثقافي:

" والآن، وبعد أن نجح في سطر بعض الصفحات ظهرت له الشخصية كما رسمت على الورق مثيرة للضجر لدرجة الكآبة. ولذلك حاول العودة لكتابة روايته الأولى"(٦).

إذا كان "يورام"، كنموذج للشخصية الإسرائيلية ذات الأصول اليهودية الشرقية يعاني من التمييز والتفرقة داخل المجتمع الإسرائيلي، فإن الأديب، كنموذج للأدباء الإسرائيليين من أصول يهودية شرقية، يدرك أنه سيعاني هو الآخر من التمييز والتجاهل الثقافي إذا حاول التطرق لمثل هذه الموضوعات؛ لذلك يحاول أن ينأى بنفسه عن هذه المحاذير. وحول هذه المعاني، دار الحوار التالي بين "يورام" والأديب:

" -" إنني لا أعرف ما هي الإساءة التي فعلتها لك، لماذا تفسد علي روايتي. وقد وعدتك بأن أكتب قصة عنك، عندما يسمح الوقت، عنك وحدك."

-" إنني لا اعتقد بأنك ستكتب عني قصة. حتى وإن كتبت فمن سيقرؤها؟ من يريد أن يسمع عن شاب ليس لديه ما يفعله في حياته سوى الدخول إلي قصص الآخرين؟ وسيحكي أيضًا أنه عاطل ويلقي معاملة سيئة بسبب أصله...ليس لديَّ أي خيار آخر. ينبغي عليَّ أن أدخل إلي قصتك."

-" مشاكلك لا تهمني إطلاقًا. إنني مهتم بنفسية الإنسان، وليس بمشاكل التمييز."

-" إنك أديب من أبناء الطوائف الشرقية. فلماذا تتنصل من المشاكل التي تَمَسك؟ "

-" دعني أكتب في هدوء عما أريد أن أكتب عنه. فليس لك أي حق في أن تقول لي ما الذي يجب عليَّ أن أكتبه."

-" أنا بالذات لي الحق في أن أقول لك، أكثر من أي شخص آخر. إنني سأكون الشخصية الرئيسة في روايتك وإلا فإن الرواية لن تكتب على الإطلاق! " "(٧).

إن خوف الأديب من انصراف القراء عن روايته وتجاهل النقاد له؛ جعله يتخلى عن هموم وعن مشاكل طائفته وهو أجدر وأفضل من يكتب عنها، وفي ختام القصته يطرح "موشيه بن هاروش" على لسان "يورام" حلاً وسطًا لهذه المشكلة؛ حيث ينجح من خلاله في عرض قضايا ومشاكل يورام وكل أبناء الطوائف اليهودية السفاردابة، وفي الوقت ذاته لا يتعرض العمل الأدبي للتجاهل والتمييز الثقافي:

"-"...فلتدخلني إلي الرواية، لكن عن طريق الصدفة. لأنني لو لعبت الدور الرئيس في الرواية فلن يرغب أحد في قراءتها."

-" لكن كيف أدخلك إلي الرواية. إنك غير مناسب على الإطلاق..."

-" الأمر بسيط جدًا. قدمني كشخصية غير مناسبة لروايتك، لكنها تصر على الدخول بأي ثمن."...

-" ليس لدينا سبيل آخر لعرض هذا الألم. وبهذه الطريقة فقط نستطيع أن نناضل. " "(٨).

ومن ذلك يتضح مدى التمييز الثقافي المتبع ضد الكتاب الإسرائيليين من أصول سفارادية، إذا ما حاولوا الخروج عن قواعد اللعبة الأدبية وحاولوا إبراز واقع المعاناة لطوائفهم داخل المجتمع الإسرائيلي، مما أدي إلي تكوين عقدة الخوف والنفور من التطرق لمثل هذه الموضوعات، وبالتالي دفعهم ذلك إلى الابتعاد عن قضايا واقعهم والعيش في برج عاجي مع قضايا وموضوعات أقل ما توصف بأنها غير مجدية، لكنها توفر لهم المال وفرصة التواجد على الساحة الأدبية.

ويقدم "بن هاروش" لونًا آخر من ألوان التمييز الثقافي في قصته " كلنا بولنديون". وهو يرسم هنا صورة جديدة من صور التمييز الثقافي ليستكمل بها ما بدأه في عمليه السابقين"الشخصية"و "قرض". فهو في قصة " كلنا بولنديون" يركز على قيام المؤسسات المسيطرة على الحياة الثقافية في إسرائيل بتعمد فرض إطار حديدي لا يتيح للكتاب الإسرائيليين من أصول سفارادية الخروج عنه أثناء كتاباتهم، حيث يفرض عليهم هذا الإطار موضوعات محددة، يظل الأديب من أصول يهودية سفارادية حبيسًا لها طوال حياته، ولا يستطيع الفكاك منها. وهي موضوعات ترتبط بالبيئة الثقافية التي نشأ فيها، فالأديب الإسرائيلي من أصول عراقية عليه أن يكتب عن العراق بصورة عامة، واليمني عليه أن يكتب عن اليمن، والمغربي عليه أن يكتب عن المغرب وعن الكسكس.

وفي هذه القصة يصل لشارلي بوكوفزه، وهو مغربي الأصل، خطاب من إحدى الدوريات الأدبية يطلب منه الكتابة عن "الكسكس" في الشعر المغربي لكن ذلك لم يرق لشارلي:

" ليس هناك شئ كريه بالنسبة له أكثر من مثل هذه الاقتراحات المذمومة"(٩).

ونستطيع أن نلمس هذا القالب الجامد الذي وُضع فيه "شارلي"، ومن على شاكلته، في الحوار الذي دار بينه وبين المحرر، مما يصيب "شارلي" بنوع من الحقد والكراهية والتملص من ثقافته الشرقية:

"- آه، إنني أتمني جدًا أن تكتب لنا مقالاً، وأعتقد أنك مناسب جدًا لهذه المهمة العظيمة،
-يا سيد باروش، ألم تملوا من هذه السخافات، لتخبرني، ما الذي أعرفه عن الشعر المغربي، إنني عامة لا أعرف اللهجة المغربية،..لماذا لم تطلب مني أن أكتب عن الحب أو عن الخمر، حقا، هل الإشكناز هم وحدهم الذين يعرفون عن الحب،...إنني سأكتب لك مقالاً، صدقني، لكن لماذا لا تستطيع أن تطلب مني مقالات عن موضوعات أخرى..."(١٠).

وإذا كان هذا الإطار يدفعهم لكراهية الذات والنفور من أصولهم والتنصل من أية رابطة تربطهم بتراثهم الشرقي، فإنه في الوقت نفسه يبعدهم عن التعرض لموضوعات أخرى، ويحرمهم من التعبير عن آرائهم في القضايا المهمة. ولم يجد "شارلي بوكوفزه" مخرجًا من هذا القالب إلا أن يكتب موضوعات تحمل العنوان المطلوب إلا أن المضمون يتطرق لشيء آخر يرغب هو في تناوله:

" وفي اليوم التالي اتصل به السيد باروش تلفونيًا،

- ما هذا ؟ لا يوجد أي شئ عن الشعر المغربي هنا! ديدان فلسطينية، ماذا حدث لك؟

- ليس صحيحًا، يوجد اقتباس من الشاعر بركات أبو سنسنة، في بداية المقال،

-اقتباس هذا ليس مقالاً،

-لم يكن هناك عقد بيننا، كتبت ما كتبت، بالإضافة إلي هذا إذا كنت أنا شاعرًا مغربيًا، فكل ما أكتبه يعد شعرًا مغربيًا، أليس كذلك؟ فهذا ما تقولونه دائمًا، أليس كذلك؟

-إنك تبالغ!..لتكتب مقالاً آخر، إنني لن أنشر هذا!...

جلس وكتب مقالاً عنوانه "بورخيس([11])، كسكس ومكتبة بابل"، وفيه توج بورخيس كبيرًا لشعراء المغرب في كل العصور، وأسهب فيه بصورة مقنعة كيف أن المكتبة الكبرى هي في حقيقتها التوراة. حتى أن باروش لم يرد علي هذا، وظل هذا المقال محفوظًا في مكتبته حتى يتزوج نينو" (١٢).

وهكذا، إذا كان "شارلي" قد حاول الخروج عن هذا الطوق والهروب من الإطار الجامد للأدب الإسرائيلي المجند، فإنه لقي تجاهلاً وإهمالاً وعدم اكتراث من الطرف الآخر، في محاولة لتأديبه وترويضه.

(ثانيًا)إشكالية التمييز الاجتماعي

عاني يهود المغرب داخل المجتمع الإسرائيلي، مثل سائر اليهود من أصول سفارادية، من أوضاع اجتماعية واقتصادية متدنية؛ بسبب التمييز الصارخ في فرص العمل لصالح اليهود الإشكناز، مما جعل منهم جماعات تعيش على هامش المجتمع.

وعبر "موشيه بن هاروش" عن موضوعات التمييز الاجتماعي ضد اليهود السفاراديم في إسرائيل من خلال سطور قصتيه "كلنا بولنديون" و"الشخصية"، حيث يرسم لنا صورة سريعة عن تدني مستوي معيشة يهود المغرب:

" استيقظ شارلي بوكوفزه في شقته المتداعية بجنوب تل أبيب في الساعة الثانية عشرة صباحًا"(١٣).

ونتيجة أوضاعه المضطربة؛ يضطر للكتابة في موضوعات تثير ضجره حتى يتمكن من الإنفاق على أمور حياته:

" لم يكن هناك شئ كريه بالنسبة له أكثر من تلك المقترحات المذمومة فهو ملزم بتنفيذها لكي يواصل دفع إيجار الشقة دون أن يضطر للعمل في مهنته كمستشار مالي. وبالفعل كان قد حصل منذ نحو عامين على ميراث صغير من جد له بفرنسا، لكنه كان يكفى بالكاد نفقات الطعام، وخليلاته والأوراق"(١٤).

وقد كان وضع "شارلى بوكوفزه" أفضل بكثير من وضع "يورام" في قصة "الشخصية"، فالشاب "يورام" يعاني من البطالة بعد أن سرح من الجيش؛ نتيجة للتفرقة والتمييز في توفير فرص عمل رغم تردده المستمر على مكاتب العمل:

" كان شابًا يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عامًا وقد سرح من الجيش منذ وقت طويل. وكان يتردد يوميًا على مكتب العمل وعلم أنه لا يوجد عمل من أجله"(١٥).

ويكتسب هذا التمييز ألوانًا أكثر قتامة، في المشهد الذي يذهب فيه الأديب لمكتب العمل باحثًا عن "يورام" لكي يبعده عنه وعن روايته، فيدفعه الفضول لتقمص دور "يورام":

" انضم الأديب لطابور العاطلين الطويل وانتظر. وبعد ساعات طويلة من الانتظار دخل إلى الغرفة رقم ٣٠٥ :

ـ " من أنت ؟ "

ـ " يورام . "

ـ " آه...يورام ماذا ؟ "

ـ " يورام بن شطريت. "

ـ " آه... أذهب للغرفة ١٣٨. "

وفي الغرفة ١٣٨:

ـ " آسف. نرعى هنا العاطلين فقط . "

ـ " ولكنني أنا أيضًا عاطل. ليس لدي فرصة عمل. ليس لدي مكان"..." (١٦).

يعبر هذا المشهد بصورة واقعية عن مدى التمييز المتبع ضد اليهود السفاراديم؛ كل ذلك بسبب أصولهم الشرقية، التي فرضت عليهم هذا الوضع المذري داخل مجتمع يدعي تمسكه بالعدالة والمساواة بين جميع طوائفه، لكن الواقع كان بعيد تمامًا عن هذه الادعاءات الكاذبة.

ويتحدث الكاتب الإسرائيلي "مردخاي بر أون" عن فشل الصهيونية قائلاً: " كانت الحركة الصهيونية تطمح في إقامة مجتمع نموذجي...والآن وبعد مرور ثمانين عامًا على كتابة هرتزل لكتاب "دولة اليهود" ونحو ثلاثين عامًا على إقامة الدولة-ننظر حولنا، ونرى أننا لسنا على الإطلاق مجتمعًا نموذجيًا...وكان التطلع لحل مشكلة الطوائف جزءا لا يتجزأ من الفكر الصهيوني. والفشل في هذا المجال هو فشل في تحقيق الصهيونية. فالحلم الصهيوني كان يطمح في تجمع إقليمي لليهود في فلسطين كشعب واحد- وليس لتجميع إقليمي لقبائل مختلفة، لا تلبث عند وصولها أن تتصارع مع بعضها بعضًا..."(١٧).

(ثالثًا) إشكالية اضطراب الهوية

نتيجة لما يعانيه يهود المغرب داخل المجتمع الإسرائيلي من تفرقة وتمييز؛ نما لدي بعضهم نوع من كراهية الذات والتنصل من الأصول المغربية، لأنها هي السبب لما يحدث لهم من تمييز، إلى حد دفعهم إلى تعمد تناسي أية رابطة تربطهم بثقافتهم المغربية والإغراق في الثقافة الاشكنازية ومحاولة التشبه بالاشكناز والاندماج في حياتهم.

ويبرز هذا الاضطراب في قصة " كلنا بولنديون" لموشية بن هاروش، فبطل القصة "شارلي بوكوفره"، وهو كاتب من أصول مغربية، نموذج لتلك الشخصية الإسرائيلية ذات الأصول المغربية التي تتنكر لأصولها المغربية لدرجة الكراهية؛ فيصاب بالضجر عندما يطلب منه كتابة موضوع عن "الكسكس في الشعر المغربي":

" وجد في صندوق البريد خطابًا من مجلة " تسيريم"، يطلب منه كتابة مقال في موضوع المجلة الخاص عن "الكسكس في الشعر المغربي". لكن ليس هناك شيء كريه لديه أكثر من مثل هـذه المقترحات المذمومة..."(١٨).

وفي موضوع أخر يعبر عن كراهيته لمثل هذه الموضوعات:

" إنني أكره الكسكس، إنني بصفة عامه لم أحب الكسكس ولا مرة، ما هذا الاسم؟... "(١٩).

وتعدي الأمر من مجرد كراهية الموضوعات المتصلة بجذور الثقافة إلى مرحلة مسح ذاكرته التاريخية وتناسي مكونات ثقافته الأصلية:

" سيد باروش، ألم تصابوا بالسأم من هذه الساخافات، لتخبرني ما الذي أعرفـه عـن الشـعر المغربي، إنني بصفة عامة لا أعرف اللهجة المغربية، وهاجرت لإسرائيل وأنا في الثالثة مـن عمري وبصعوبة كنت أقرأ شعر طاهر بن جلون، وبصفة عامة هو يكتب باللغة الفرنسية، وأبي من الجزائر، ولماذا لم تطلب مني أن أكتب عن الحب أو الخمر، حقًا، هل الإشـكناز هـم فقـط الذين يعرفون عن الحب..."(٢٠).

وشرح الكاتب الإسرائيلي "دوريس بن سيمون" هذا الموقف قائلاً: " إن هذا الإنكار للأصالة الشرقية-يمكن أن يصل إلى حد الازدراء والاحتقار عند الأجيال الصاعدة، يمكن أن يصل إلـى حد التنكر الطوعي لبلدان المنشأ، إلى حد احتقار الذات، إلى حد العبودية"(٢١).

ولا يتحمل "شارلي بوكوفزه" ذنب هذا الاضطراب في الهوية،بل يتحمل المجتمع الإسـرائيلي القدر الكبير من الذنب؛ فهو الذي زرع بداخله جرثومة الكراهية لذاته، ولهويته ولجذوره. وهو الذي غرس بداخله أن مجرد الاقتراب منها سوف يجذبه معها إلى أسـفل حيـث الحضـيض، والدونية والتفرقة. وعلى ذلك، يسير بالتوازي مع كراهية الذات والفرار من الإطـار الثقـافي الشرقي، الرغبة العارمة في الارتماء في أحضان كل ما هو إشكنازي، لأنها إحـدى الوسـائل الفعالة للحراك الاجتماعي والثقافي في هذا المجتمع؛ لذلك يحاول دائمًا الإدعاء أنه من أصـول إشكنازية، حتى إن جاء هذا في إطار من التهكم والسخرية، من خلال حوار مع محرر المجلة:

" -...لقد أصبحت بولنديًا، كلنا أصبحنا بولنديين هنا من كثرة جدالنا معكم، كلنا بولنديون،

- أنت تعرف أنني مغربي فعلاً، وفقًا للشريعة، لأن جدتي ولدت في المغرب، بالإضافة إلـى أن زوجة أخي مغربية، وابنتي توشك على الزواج من مغربي، الذي كان من قبل في فرنسا، وهـم يدعون الآن فرانكومغربي،

- بالتأكيد جدتك ولدت على الحدود المغربية البولندية،

- كيف عرفت؟...
- قل لي، هل مازالت جدتك من المغرب باتجاه بولندا؟
- لا تسخر مني !
- أنت تعرف أنني أعلنت أن أسرتي من ألمانيا، وجدتي من ألمانيا، ألا تصدق؟" (٢٢).

رغم أن المجتمع الإسرائيلي يتعامل مع أبناء الطوائف اليهودية السفارادية على أساس جذورهم الشرقية "المتخلفة"، إلا أن الكثير من اليهود السفاراديم، خاصة مثل "شارلي بوكوفزه" ومن هم على شاكلته، ينظرون لأنفسهم على أنهم ينتمون للثقافة الإشكنازية ويكرهون بشدة، حتى أكثر من الإشكناز أنفسهم، أي شيء يتعلق بثقافتهم المغربية الشرقية. وقد كان من الطبيعي، أمام هذا التمييز الطائفي المتبع ضد السفاراديم داخل إسرائيل، أن يصمد "شارلي بوكوفزه" ويقاوم وينفر من محاولة التشبه بالآخر؛ لكنه هو وأمثاله آثروا السلامة. ورغم هذا، لم يتمكن من أن يكون إشكنازيًا خالصًا بسبب نظرة المجتمع له، كما لم يتمكن من أن يعود لجذوره ويحول الكراهية لرغبة في التمسك بجذوره:

"تعهد شارلي لنفسه بألا يكتب كثيرًا عن المغرب، وبصفة عامة، فإنه استحضر المغرب مائتي ألف مرة، لكن لم يتذكر شيئًا عن هناك، ولم يداهمه الحنين أيضًا لزيارة موطن والديه مطلقًا.."(٢٣).

ولم يكن اضطراب الهوية سمه رئيسة ميزت يهود المغرب، بل نجد أن العديد من الأعمال الأدبية التي تتحدث عن اعتزاز يهود المغرب بأصولهم وبمكوناتهم الثقافية وتفتخر بها وتشتاق للعودة إليها، كما في قصة " قبر على جبل الزيتون" ليتسحاق كينان، فقد جاء على لسان "ايتسك" الشاب المغربي الأصل الذي هاجر وهو في فترة الصبا لإسرائيل ما يعبر عن شدة اشتياقه لموطنه الأول المغرب:

" وكمن خرج من مصر، أعترف بلا خجل، كانت لي أيضًا لحظات اشتاقت فيها نفسي إلى مصر الخاصة بي. إلى مراكش بأسوارها العالية ومساجدها الكثيرة التي تقبّل السماء الزرقاء، الممتدة دائمًا فوق مآذنها. ولأصوات المؤذنين، التي تبدو وكأنها قادمة من السماء. وللملاح، الذي يسوده السواد والكآبة أكثر من أي شئ آخر، ولشوارعه الضيقة المغطاة بالأسقف ولبالوعات المجاري المكشوفة للعيان..."(٢٤).

كما نلمس هذا الاعتزاز بالهوية المغربية في قصة" خالتي" لشالوم خلفون، وهي في مجملها تعبير صريح عن الاعتزاز بالماضي الجميل بالمغرب وبما كان فيه من عادات وتقاليد

وإيمان بالخرافات وبقدرة الصديقين على الشفاء، وغيرها من مظاهر الحياة التقليدية داخل إحدى القرى المغربية.

(رابعًا)إشكالية جمع المتناقضات

تمثل فكرة " جمع الشتاتات" أحد الأهداف الرئيسة للحركة الصهيونية، التي اعتمدت عليها لإقامة مجتمع نموذجي على أرض فلسطين. لكن هذا المجتمع حمل بين جنباته العديد من المتناقضات، وتحول الواقع الإسرائيلي من مفهوم " جمع الشتاتات" إلى مفهوم "جمع المتناقضات" مما أثبت فشل الصهيونية. وتنوعت وتعددت ألوان التناقضات فهناك التناقض بين عالم الآباء وعالم الأبناء، والتناقض بين عالم السفاراد وعالم الإشكناز والتناقض بين عالم الدينيين وعالم العلمانيين.

(١)التناقض بين عالم الآباء وعالم الأبناء

من الطبيعي في أي مجتمع أن تكون هناك اختلافات، بل صراعات، بين الأجيال المتعاقبة، فهناك اختلاف بين جيل الأبناء والآباء وبين جيل الأحفاد والأجداد؛ وذلك نتيجة التطورات الطبيعية التي تطرأ على أي مجتمع. لكن الأمر يختلف بالنسبة للمجتمع الإسرائيلي، خاصة "اليهود السفاراد"، فعمليات التهجير أوجدتهم في بيئة مخالفة لما نشأوا وتربوا عليه. وكان لهذا الواقع آثار سلبية على الأسر الإسرائيلية من أصول مغربية، حيث اتسعت الهوة بين الأجيال ولم يعد الأمر مجرد اختلاف، بل وصل لدرجة التناقض وانقطاع أواصر التواصل والتفاهم بين هذه الأجيال.

وقد رسم شالوم خلفون في مطلع قصته "خالتي" بعض المشاهد السريعة التي تبرز هذه الإشكالية بين الابن وبين أمه، فالابن عاشق للأدب، وخاصة كتابة القصص عن ذكريات طفولته في المغرب:

" سأقص عليكم قصة من أيام صباي. ففي جعبتي الكثير من هذه القصص. إنها منحوتة في ذاكرتي وتتناغم دائمًا في مخيلتي ولا تسمح لي بالراحة..."(٢٥).

وكانت الأم تستشيط غضبًا من اتجاهاته وتحثه على الابتعاد عن هذا الهراء:

" أحيانًا، عندما أذكر لأمي تلك القصة أو غيرها من أيام صباي، وما ارتكبته من أفعال وما صنعته هي معي من أمور، أجدها تنكر هذا تماما. وكلها تعجب ودهشة. وتعلو تجاعيد وجهها مشاعر من الذهول والغضب، وكأنما تريد أن تقول شيئًا ما...لا تزعجني بقصصك العقيمة! لقد

أصبتني بالسأم، اذهب وقص قصصك هذه على الكلاب...دعني وشأني!...اذهب وابحث لك عن مهنة لتعمل في حرفة جيدة! "(٢٦).

ومن ثم كانت أمه تطلب منه بألا يهتم بهذه التفاهات وأن يركز اهتمامه على قراءة التوراة التي ستعيد له وعيه:

" اذهب وإقرأ لتزداد معرفة وفطنة بدلاً من هذا اللغو الباطل ومن قصص النسوة العجائز البالية"(٢٧).

ولا يقف الأمر عند مجرد عدم رضاء الأم عن ابنها لأنه يحكي عن ذكريات الأسرة في المغرب، الأمر الذي تعده الأم مساسًا بخصوصيتها، بل أن الاختلاف الحقيقي يكمن في تحول الابن عن المسار الذي رسمته له الأم، حيث كانت ترغب في أن يصبح حاخامًا؛ مما يمنح الأسرة شرفًا واحترامًا، لكن الابن تخلى عن العادات والتقاليد وعن الدين، وأصبح علمانيًا نتيجة تنشئته في مجتمع إسرائيلي علماني:

" إنه الآن يسبب لنا العار ويشهر بنا، إنه يلحق بنا الخزي لقد أصيب بالجنون تمامًا، ولم يعد في قلبه مكان لمخافة الرب، إنه حتى لا يضع التفلين وأمسك عن الذهاب للمعبد، ومما لا شك فيه أنه أصبح ذا عقل سفيه وتعتمله الأفكار السيئة، ابتعدت عنه العناية الإلهية، وعزل نفسه عن الدين المقدس، إنه لا يحافظ على قداسة السبت ولا يقيم الشرائع..إنه يكفر بكل أساليبنا"(٢٨).

وهكذا، نرى أن اختلاف المجتمع الذي تربت ونشأت فيه الأم عن المجتمع الذي نشأ فيه الابن قد أدى إلى حدوث هذا التعارض والتناقض، وكان له تأثير سلبي على وحدة الأسرة المغربية داخل المجتمع الإسرائيلي.

وفي قصة "الذبيح" لألبرت سويسا، تكتسب صور التناقض أبعادًا أعمق وألوانًا أكثر وضوحًا وتبين مدى لتساع الهوة بين العالمين، عالم الآباء "الجيل الأول" الذي ولد على أرض المغرب وعالم الأبناء "الجيل الثاني" الإسرائيلي المولد والنشأة، فرغم أن روابط الدم واحدة والجذور واحدة إلا أن الاختلاف بينهما وصل لدرجة بعيدة من التناقض، كما يتضح من العرض التالي:

(أ)عالم الآباء

جيل الآباء، وهو جيل المهاجرين الذي تربى ونشأ داخل المجتمع المغربي، حيث احترام الروابط الأسرية والالتزام بالعادات والتقاليد، وهي سلوكيات أصبحت غريبة عن الجيل الثاني الذي نشأ في إسرائيل، وهذا ما اعترف به "يوحاي" الابن:

" جال بخاطره، أن أباه كان رجلاً ورعًا، فعندما كان صبيًا في مثل عمره كان يسير وراء الحمار، وعند نهاية كل ستة أشهر؛ كان يعود إلى أبيه، يقبل يده، ويسلمه صرة النقود. لم يلهُ أبوه قط في صباه ولم تكن له رفيقات"(٢٩).

وقد اندهش يوحاي عندما سمع من حاخام مدرسته الدينية بأن أباه صديق ابن صديق:

" "صاح، ربي آهارون بزوئيلو، عليكما السلام، كان أبوك رجلاً تقيًا، لقد عرفته"، وأشار نحو صدره، وحرك رأسه للوراء مثل التيس، وكأنما يحثه على عدم الإنكار...اندهش يوحاي. فها هو يسمع الآن أن أباه كان صديقًا ابن صديق"(٣٠).

وفي المجتمع الإسرائيلي، حاول الأب "بزوئيلو" مواصلة النهج الذي تربى عليه، حيث يحرص على أداء الفرائض الدينية، وعلى أن يؤم المصلين في المعبد بحي البلوكات:

"تذكر في يوم رأس السنة الأخير، عندما كان يقف مع أبيه بالقرب من منصة مرتلي الجمهور والمريدين. حيث ساد الصمت القاعة...وبدأ أبوه يدعو بصوت شجي وحانٍ صلاة "وقت أبواب الرضا"، فمزق صوته الصمت الذي أرجف المصلين في القاعة"(٣١).

إن عالم الآباء عالم له طابع تقليدي خاص، سعى جاهدًا للحفاظ على كل موروثاته الاجتماعية، وعلى العلاقة القوية بالرب والحفاظ على الفرائض الدينية والالتزام بها.

وهو عالم أناس تم انتزاعهم من عالمهم القديم، واحضروا إلى عالم يقعون فيه تحت ضغط قوى قاسية وغريبة عنهم. ويبدو أن هذه هي المحاولة الأولى في النثر العبري المعاصر للاهتمام بوصف حياة مهاجرين من المغرب في أحياء البلوكات، ولوصف تجارب حياة الطفولة للجيل المولود في إسرائيل بلا تجميل فلكلوري(٣٢).

(ب)عالم الأبناء:

تختلف الصور وتتغير الطباع إلى النقيض داخل عالم الأبناء في أحد أحياء الحزام الأسود في "حي البلوكات"، فهو عالم يتسم بالعنف والتمرد والرغبة في تحطيم القيود وعدم احترام التقاليد، حيث كون الصبية ما يشبه العصابات الصغيرة داخل الحي

"تزايدت معارك الساحات وحقوق المرور بين صبية البلوك مائتين وبين صـــبية البلـــوك مائتين وأربعة. كان زعيم الجماعة هو دافيد بن شوشان...وكان لـــه قـــادة جـــيش، وقضـــاة ومستشارين. بينما اشتهر يوحاي، الذي كان يسير حليق الرأس دائمًا بسبب الضـــمادات التـــي كانت تلف رأسه على الدوام، بأنه محارب مهاب، وقد نجح ذات مرة في الفرار من السبي وهو مبتسم، وينزف دمًا. ومن أجل ذلك عينه دافيد بن شوشان نائبًا له"(٣٣).

وحول مثل هذه المواقف يتذكر ألبرت سويسا قائلاً: "في عير جانيم نشأ وضع خـــاص جـــدًا لجماعة الصبية، فبسبب أن عالم الآباء فقد السيطرة وضاعت مكانتهم، وضع هـــؤلاء الصـــبية قوانينًا خاصة بهم، وأولويات واهتمامات، ونشأ واقع، احتلت فيه الأولويات الجنسية وغيرهـــا مكانة الصدارة وحظيت بقبول واسع بينهم"(٣٤).

وكان يوحاي عاشقًا للهروب محبًا للحياة البرية بقسوتها وعنفها:

"في الوقت الذي كان يجلس فيه رفاقه على المقاعد في المدرسة، كان يوحاي يدحرج نفسه في منحدر الأكمة عند أطراف حي البلوكات. وقد صنعت مياه الأمطار بركة ضـــخمة بـــالقرب مـــن أكواخ الاسبستونيم(٣٥)...سار فيها ذهابًا وإيابًا، يدفع بقدميه الميـــاه الموحلـــة التـــي غطـــت وتسربت إلى مقدمة حذائه"(٣٦).

وقد ارتكب الفتى يوحاي أعمالاً فظيعة مع ابن الجيران، دفع والده علـــى إثرهـــا لإرســـاله للمدرسة الدينية في " بني براك ":

"انكشفت الحكاية قبل يوم اتخاذ القرار بثلاثة أيام. فقد نشب شجار بين آباء البلـــوك مـــائتين، البلوك الذي يقيمون فيه. بسبب إصابة أحد صبية البلوك، مويجو، بتلوث خطير فـــي كليتيـــه. وأظهر الفحص الطبي أن الصبي شرب من بول آدمي. وبعد أن استجوبه أبوه اتضح أن صبية البلوك أجبروه على شرب البول المنساب مباشرة من عضو يوحاي"(٣٧).

واستمرارًا لحياة التمرد والرفض، واصل يوحاي طبيعته في تحطيم الأطر والقوانين وهـــرب من المدرسة الدينية إلى حيث لا يعلم:

"مر بشوارع وبمداخل، ارتقى درجات ونزل لأخرى، اختبأ في حمام عام وهرب منه فزعًا...وأخذ يجري ويجري...أخذ يتسكع في الشوارع بلا هدف...لم يعلم إلى أين سيذهب، لـــم يكـــن يعلـــم وجهته"(٣٨).

لم يكتف ألبرت سويسا بمجرد استعراض جوانب إشكالية التناقض هذه، ولكنه أخذ يتحسس أسباب هذه الظاهرة:

السبب المباشر: أرجع ألبرت سويسا سبب هذه الفجوة الأسرية إلى سلبية الآباء تجاه أبنائهم:

"نظر السيد بزونيلو مغمومًا إلى رأس الولد، الذي كان يتحرك هنا وهناك مصدرًا أصواتًا غريبة هازًا جسده والحقيبة بحركات عنيفة. أراد أن يصرخ فيه ويأمره بألا يهز الحقيبة، لكنه سكت...شعر بأنه عاجز، لم يرغب في أن يتدخل في حياة أولاده...اهتم بإعالتهم، بكل احتياجاتهم"(٣٩).

السبب غير المباشر: وهو السبب الفعلي لهذه الإشكالية، ويقصد به المجتمع الإسرائيلي الذي حطم التقاليد والروابط الأسرية المغربية وقضى على مكانة الأب عماد الأسرة، الذي تدهور وضعه وفقد مكانته ومهنته المحترمة وأصبح مثل أي فرد عادي:

"اندهش يوحاي عندما رأى حقيبة والده العتيقة، التي كان يستخدمها عندما كان يعمل مداويًا للأسنان، وضمت لسنوات طويلة أدواته التي تقف الآن كحجر ليس له مثيل في دولاب أواني الفصح. رأت أمه أن تسليم الحقيبة ليوحاي علامة على التخلي عن طيب خاطر عن حلم ظل يداعب القلب للعودة ذات يوم لمهنته القديمة، وتسليمًا سلبيًا بأنه سيستمر حتى نهاية حياته يعمل في المصانع"(٤٠).

وأخذت الفجوة بينهم في الاتساع وازدادت حدة المواجهة بين جيل الأبناء وجيل الآباء. فجيل الآباء المغاربة، يستحون من ضعفهم، ولم يعد أمامهم غير العمل والكد، بينما الأبناء يتمردون تمردأ عقيمًا بالهروب المستمر(٤١).

وفي محاولة للهروب من المسئولية، ورضوخًا لضغوط المجتمع الإسرائيلي؛ أصبح الأب مشغولاً طوال النهار خارج المنزل في عمله، فجاء على لسان الزوجة لابنها يوحاي واصفة كيف يكد والده ويتعب:

" إنه حتى لم يتناول الإفطار، من كثرة الحزن. ويؤدي عمله، دون حسد، على النحو الأكمل، من الصباح حتى المساء"(٤٢).

وتحت وطأة هذا المجتمع، لم يعد الأب يفهم عقلية أولاده وما يحدث لهم:

"نظر إلى إبنه الذي لف بعصبية قميصه الداخلي حول إصبعه وكأنما يحاول جاهدًا أن يثقبه ويخرقه، وجال بخاطره كم أصبح أولاده غريبي الأطوار. إنهم لا يشبهون أي مخلوق من المخلوقات التي عرفها يومًا ما في حياته. لم يستطع أن يتخيل ما الذي يدور في رأسهم"(٤٣).

إن المنزل في قصة "الذبيح" ضعيف غير محمي، ولا يمنح للولد أدوات لفهم ذاته ولفهم من حوله. الأب، ترك البيئة التي عرفها جيدًا، تاه في عالمه الجديد. أصيبت مكانته بالضرر بسبب استشراء العنف في المجتمع. حتى إن مكانته في منزله تحولت إلى مكانه مراسمية وظاهرية فقط. والمكان الذي يشعر فيه أنه ينتمي إليه هو المعبد، حيث يجتمع هناك مع أفراد طائفته للصلاة في انعزال عن الضوضاء والقبح وغيرها من الأمور الشائعة في الخارج. وهذا هو المكان الوحيد الذي يحافظ فيه على مكانة الأب السابقة. كما أن تواجد الأب يتقلص بسبب العمل لكسب الرزق، وإقامة المراسيم الدينية، فليس في حوزته سوى معايير غامضة من الماضي لتقويم أعمال الآخرين في الحاضر(٤٤).

ولم يكن الأب "الجيل الأول" وحده ضحية هذا المجتمع، بل كل أفراد الأسرة وخصوصًا الأبناء "الجيل الثاني"، وكانت وسيلة التعبير عن هذا الوضع المؤلم هي الهروب الدائم؛ فالآباء يحاولون الهرب من مسئولياتهم تجاه الأبناء بالعمل، والاستغراق في ذكريات الماضي والانشغال بممارسة الطقوس الدينية، بينما هرب الأبناء من قيود المجتمع كلية إلى حياة الفوضى والتشرد، ولعل الآثار السلبية التي يعاني منها جيلي الآباء والأبناء هي القاسم الوحيد المشترك بينهما.

ويتطابق مصير "يوحاي بزوئيلو" أو بالأحرى "ألبرت سويسا" في قصة "الذبيح" مع واقع العديد من الشباب الإسرائيلي المغربي، مثل واقع حياة "حاييم مالكا"، وهو يهودي مغربي هاجر مع أسرته إلى إسرائيل منذ عام ١٩٤٨م، الذي يحكي عن هذا الوضع قائلاً:

"استقرت الأسرة في منزل عربي مهجور في بئر سبع وأصبح لديها ١٣ ابنًا وابنة...عمل الأب في مشاريع البحر الميت. كان يذهب إلى عمله صبيحة يوم الأحد ولا يعود إلا في نهاية الإسبوع حيث كان يعمل في البوتاس...وكان ينام على الفراش الواحد أربعة أبناء...وأُرسل حاييم مالكا إلى يشيفا داخلية تابعة لملجأ الأيتام الحريدي "ديسكين" في القدس...وكان يرى عائلته مرة واحدة كل ستة أشهر...وفي سن ١٦ عامًا، وبعد أن بدت عليه علامات التمرد- حيث زادت رغبته في تلقي العلوم الدنيوية، وكثر هروبه لمشاهدة السينما-تم طرده من المدرسة الداخلية...فقص سوالفه وخلع الكيباه من على رأسه وأخذ يبحث عن عمل يدوي لكسب قوت يومه. وكان حلمه الانضمام للجيش...وكان له ما تمنى فخدم كصف ضابط نظامي..."(٤٥).

(٢) التناقض بين عالم السفاراد وعالم الإشكناز

يعيش السفاراد والإشكناز داخل المجتمع الإسرائيلي على طرفي نقيض، فالإشكناز في قمة المجتمع فمنهم النخبة الحاكمة المسيطرة على مقاليد الأمور في شتى مجالات الحياة، وعلى النقيض يأتي وضع السفاراد حيث يحتل معظمهم قاع المجتمع الإسرائيلي.

ويحاول ألبرت سويسا رسم صورة مصغرة عن المستوى المعيشي المتدني للأسرة الإسرائيلية ذات الأصول المغربية:

"ساد الصمت وخيم الظلام على الحجرة، وخيل له أنه يشعر بزفير ساخن على وجهه من أنفاس أخوته الخمسة الثقيلة، الذين ناموا بصورة مكدسة ناحيته من هنا ومن هناك...وبالإضافة للظلام والرائحة اللذيذة المتصاعدة من أنفاس إخوته، انتشرت في الجو رائحة عفنة حادة من الجوارب. كانت هذه هي حجرة الضيوف. بينما نامت أخواته في الحجرة المتبقية، التي تستخدم أيضًا كصالة للمنزل وكحجرة طعام في نفس الوقت...أدخل يوحاي رأسه تحت البطانية...واستنشق في أعماقه رائحة كرائحة الخرقة القذرة التي تفوح من البطانية، التي تستخدم في أيام السبت لتغطية الطعام المبيت"(٤٦).

وفي مشهد آخر، وضع ألبرت سويسا العالمين "السفارادي" و"الإشكنازي" في مواجهة؛ لنلمس مدى الهوة العميقة بينهما. ففي أثناء بحث يوحاي عن مأوى تحت كوبري أو في أية بناية مهجورة في أعقاب هروبه من المدرسة الدينية في "بني براك"، صادف أخوين إشكنازيين تبدو عليهما علامات الثراء والرفاهية:

"كان قذرًا ومرتجفًا بالكامل. التقط حقيبته بسرعة وبدأ يبتعد عن المكان بخطوات إلى الخلف، وبينما كان يفعل ذلك لمح فتاة طويلة وشقراء يقف إلى جوارها ولد صغير ممسكًا بسلسلة الكلب. وقفا هناك في صمت يحدقان فيه، حدق فيه الكلب أيضًا، وفي حقيبته المنقطة ومعطفه الأسود"(٤٧).

إن هذا التناقض كانت له، بلا شك، آثار سلبية على المجتمع الإسرائيلي، وكانت الكراهية والحقد هي النتاج الطبيعي لهذه الهوة بين السفاراديم الإشكنازيم، وهو ما عبر عنه السيد "بزونيلو" بسخطه على المدرسة الإشكنازية التي كان يتعلم فيها ابنه "يوحاي" قبل نقله إلى المدرسة الدينية:

"فرح من أعماق قلبه بفشلهم. "متقاعسون تمامًا"، حدث نفسه غاضبًا، "أي تعليم هذا، آه! ويدعونه أيضًا تعليم خاص! " انه يمقتهم. خدعته لحاهم، سوالفهم وأهدابهم لسنوات طويلة...إنهم ليسوا معلمين ولا حتى متعلمين...شعر بانفراجة بسيطة في قلبه، منذ الآن وصاعدًا سيكون معفى من تلك اللقاءات التي كانت تثير فيه مشاعر الاشمئزاز وكراهية إسرائيل، لا سامح الله. فلم يكن يتحدث معه المدير أو المعلم على انفراد مطلقًا، فدائمًا كان الاثنان هناك. وكانا يقطعان الحديث معه فجأة، ليتشاوران معًا بلغتهما الغريبة"(٤٨).

وقد دفع هذا الجو الخانق والحياة الضاغطة الأب السيد "بزوئيلو" للهروب إلى عالم الذكريات، حيث الماضي المغربي الجميل والحياة الهادئة والتعايش السلمي مع المسلمين الذي أفسده عليه الإشكناز:

"إن العرب "هناك" لم يكرهونا، حدث نفسه، وأحيانًا أظهروا أيضًا تقديرًا لنا؛ إنهم رغبوا ببساطة في أموالنا فقط. تاجرنا معهم، ونحن نماثلهم في عاداتنا، في طعامنا، في أناشيدنا، في لغتنا، في شئوننا الزوجية، وفيما يتعلق بالرب فنحن أقرب إليهم من المسيحيين...لكن جاء هنا الأخوة الملحدون متحدثو اليديشية غريبو الأطوار، وشنوا حربًا عليهم واحتلوا مدنهم"(٤٩).

وتشير هذه الفقرة إلى العلاقة الطيبة بين العرب وبين اليهود ذوي الأصول المغربية، سواء في المغرب أو في فلسطين، إنها علاقة كانت وظلت تتسم بالود وتبادل المنفعة إلى أن جاء يهود الغرب "الإشكنازيم" فأفسدوا هذه العلاقة باحتلالهم فلسطين. وهكذا، حطم الإشكنازيم الحاضر الفلسطيني، بعد أن دمروا من قبل الماضي المغربي ليهود المغرب.

وقد أخرج السيد "بزوئيلو" ابنه من المدرسة الدينية الإشكنازية -حكومية دينية أو حريدية- بسبب حالة الاحتقار التي يتعاملون بها مع من لا يتحدث اليديشية، وهو أمر لم يكن يشعر به يهود المغرب في المجتمع العربي، حيث تعامل العرب المسلمون في المغرب مع اليهود بتفاهم وباحترام. ويشير هنا القاص إلى شعور يهود الشرق المحافظين على الفرائض بالمذلة أمام المتشددين الإشكناز، وهو الشعور الذي كانت إحدى إفرازته ظهور حزب "شاس" في العقد الثامن من القرن العشرين في إسرائيل(٥٠).

(٣)التناقض بين عالم الدينيين وعالم العلمانيين

تعد المدرسة الدينية الداخلية في "بني براك"، التي أرسل إليها يوحاي، نموذجًا جيدًا يمثل عالم المتدينين، حيث الكبت والحرمان والحياة القاسية:

" كانت هذه القاعة مخبأ ذا جدران عالية جدًا وذا نوافذ ضيقة وطويلة ممتدة بطول السقف. انتشرت الموائد في القاعة من الجدار للجدار، كان ارتفاعها أعلى قليلاً من قامة يوحاي، وظهرت فوقها الثقوب المفتوحة، تئن زورًا. وفي كل ركن جلس عشرات الأولاد منحنين على الكتب يرددون الفقرات بصوت عال. رمقه معظمهم بنظرات شاردة، وبأنوف ترشح"(٥١).

وفي المقابل نجد حياة مختلفة تمامًا في المدرسة العلمانية، حيث الاهتمام بمواهب وقدرات التلاميذ بدلاً من التلقين والحفظ والكبت:

" أبطأ وتوقف عندما وصل لداخل فناء مدرسة، يلعب فيه التلاميذ كرة السلة مع مدرس الألعاب. سحب يوحاي حقيبته نحوهم، كأنما أراد أن ينظر إليهم عن قرب وأن يثبت لنفسه ما تراه عيناه"(٥٢).

(خامسًا) إشكالية صعوبة التكيف والرغبة في النزوح عن إسرائيل

عاني كثير من يهود المغرب من إشكالية صعوبة التكيف مع المجتمع الإسرائيلي. ودفعت مشاعر الغربة والقطيعة وعدم الانتماء- الناتجة عن عدم القدرة على التأقلم - العديد من يهود المغرب إلي النزوح عن إسرائيل، فمنهم من عاد للمغرب ومنهم من اتجه لفرنسا ومنهم من اعتصرتهم هذه المشاعر لكن لم يكن لهم مفر سوى البقاء داخل هذا المجتمع الجديد.

ومن الملاحظ أن مشاعر صعوبة التكيف لم تقتصر على جيل دون غيره؛ فعاني منها جيل الآباء كما عاني منها جيل الأبناء. لكن درجة معاناة جيل الأبناء كانت أشد وطأة، لأنهم نشأوا في هذا المجتمع ولا يعرفون وطنًا غيره، فأصيبوا بالعديد من الأمراض الاجتماعية مثل ، اضطراب الهوية وكراهية الذات والإحساس بالدونية والاضطهاد.

وفي قصة " كلنا بولنديون" لموشيه بن هاروش، أضطر والد "شارلي بوكوفزه" بعد انفصاله عن زوجته إلي ترك إسرائيل والانتقال للإقامة في فرنسا:

" عاد أبوه، بعد طلاقه، لفرنسا وافتتح هناك مطعمًا فخمًا معروفًا باسم " لا شفرون بلو "، وكان يتناول [شارلي بوكوفزه] طعامه هناك أثناء رحلاته إلي باريس "(٥٣).

وفي قصة " قبر على جبل الزيتون" ليتسحاق كينان، لم يستطع والد بطل القصة أن يمكث طويلاً في فلسطين وعاد للمغرب وأقام فيها بقية عمره:

" مكث أبي ثلاث سنوات في فلسطين، مرت بطولها وعرضها وبعد ذلك وقف أمام أمه وقال: "إنني عائد للمغرب".لم تعارضه الأم ولم تمض الأيام وإذ به يعود كما جاء"(٥٤).

وفي قصة " اثنان متمسكان بالخلاص" لموشيه بن هاروش، يتضح أن أحد أسباب صعوبة التكيف التي يعاني منها اليهودي المغربي داخل المجتمع الإسرائيلي تكمن في غلبة الطابع العلماني على هذا المجتمع:

"...إنهم يحصلون على الخير ولا يريدون الشر. وعندما جاءوا لفلسطين لم يطرح أحد أي سؤال وعندما انتصروا في الحرب ادعوا حينئذ أنه لا يوجد رب وأنه لا ينفذ ما هو مكتوب في التوراة"(٥٥).

ويؤكد "موشيه بن هاروش" على هذا العامل في قصة "الشخصية"، حيث تظهر بوضوح مشاعر الغربة والقطيعة النابعة من صعوبة التأقلم مع هذا المجتمع العلماني:

" ولد يورام في عام ١٩٦٠ بالمغرب. وعندما بلغ ثلاثة عشر عامًا هاجر إلي إسرائيل. أصابه الإسرائيليون بالدهشة. اعتقد بأنه سيجد شعبًا من المحافظين على السبت. طائفة تصوم يوم الغفران. كما أخافه المجتمع العلماني بينما المجتمع المتدين، المنغلق، لم يكن على هواه أيضًا"(٥٦).

إن اليهودي المغربي لم يعتاد على مثل هذا الانقسام العقدي إلي ديني وعلماني، ولا يرى سوى أن اليهودي يجب أن يكون يهوديًا يقيم الشرائع الدينية، كما أمر بها الرب بدون أي تعصب أو تحرر.

وقد عبرعن هذا "جفريئيل بن سمحون" قائلاً: "في البلاد الأوربية تحول الدين اليهودي، إما إلي حزب أو إلي مذهب...أما بين يهود الشرق فإن الدين كان أكثر تطورًا، كان جزءا من الحياة وجزءا من الطبيعة. ولم تكن توجد لديهم مفاهيم دينية وغير دينية كانوا يهودًا فحسب. فلم يكن هناك: ديني، وعلماني، وحسيدى ومعارض. أبي كان حسيديًا دون أن يعرف أنه حسيدي وجاري كان من المعارضين [متنجيد] دون أن يدرى أنه معارض..."(٥٧).

(سادسًا) الافتقار للنزعة الصهيونية السياسية

لم ترتبط هجرة يهود المغرب، مثل الكثير من هجرات يهود الدول العربية، بأية دوافع صهيونية سياسية، وكانت الرغبة الملحة في تحقيق الخلاص المسيحاني المنتظر، هي التي دفعت جموعًا غفيرة من يهود المغرب للتخلي عن وطنهم، والانتقال لإسرائيل يحدوهم الأمل بقرب حدوث الخلاص. وهذا ليس بالأمر الغريب عليهم، فارتباطهم بفلسطين كان وسيظل قائمًا على أساس ديني بحت.

وقدم "موشيه بن هاروش" نموذجًا لهذا الحنين المسيحاني في قصة "اثنان متمسكان بالخلاص":

" قال الحاخام قشنيل: قالوا لموشيه بن هاروش صاحب كتاب "المعجزة الناقصة"...: جميل أنك هاجرت من المغرب إلى فلسطين لكن ألا تشتاق إلى تطوان مسقط رأسك، فأجابهم: إنني أشتاق لشيء واحد وهو: الخلاص. لقد اشتقت للخلاص طوال سنوات شتاتي ..."(٥٨).

ويرى "موشيه بن هاروش" أن الخلاص أمر يحتاج إليه الرب كما يحتاج إليه اليهود، كما أن عبء الخلاص لا يقع على عاتق الرب وحده، بل يجب أن يشارك اليهود أيضًا في تحقيقه:

" قال ربي العيزر:آه لنا إننا لا نستحق، ويحنا إن الرب يخلصنا بدون وجه حق، ويحنا إنه انتظرنا لسنوات طويلة إلى هذا الحد ونحن اعتقدنا بأنه يتحمل عبء المهمة كلها وحده...يقول...الرب: ليس من أجلكم أفعل هذا بل من أجلي تفعلون"(٥٩).

واستمرارًا لهذه العاطفة الجياشة ذات النوازع الدينية، يصف لنا "يتسحاق كينان" في قصته "قبر على جبل الزيتون "، التي هي أقرب للسيرة الذاتية للمؤلف، وكيف ارتبط يهود المغرب بفلسطين بهذا الرباط المقدس. فالبطل هاجر إلى إسرائيل، وهو ما يزال في مرحلة الصبا، بدون أية نوازع أو دوافع صهيونية، ولم يحركه هو وأسرته للإقدام على هذه الخطوة سوى الرابطة الدينية المقدسة "بأرض الميعاد":

"بينما مازلت فتى غضًا، في الحادية عشرة من عمري، فقد خرجت مبحرًا إلى فلسطين..لكن الغموض العجيب في هذه الرحلة كأنما هو الذي جذبني بقيود خفية. إسرائيل، ذلك الاسم الذي كان يتردد على شفتي بورع القداسة. ولن أنسى الصمت العميق عندما كنا ننصت للرسائل القادمة من فلسطين، التي كان يقرؤها علينا الحاخام في المعبد كل يوم سبت"(٦٠).

وهذا ما عبر عنه شلومو بار(٦١) قائلاً: " منذ أن وصلت هنا في عام ١٩٤٩م، لم أتعلم ما معنىالصهيونية. إنني أرى نفسي كيهودي مسيحاني، جاء باحثًا عن حلم أرض فلسطين. إنني أشعر ببدايات المسيحانية في داخلي"(٦٢).

وتشترك كل فئات يهود المغرب في هذا الإحساس المقدس تجاه فلسطين، فها هي الجدة تعلن لحفيدها القادم من المغرب أن أملها الوحيد الذي تعيش من أجله، هو أن تدفن في جبل الزيتون:

"مالت نحوي أكثر، وكأنما تريد أن تفضي لي بسر: " إن الملاءة التي أحضرتها لي احتاجها ككفن لي. تعرف بالطبع، أنني لم أعد شابة. ولذلك فإن لي قبرًا في جبل الزيتون. اشتريته منذ

بضع سنين. واعتدت أن أزوره مرة كل أسبوع. وسأستمر على قيد الحياة مـــا دام هـــو هناك وسأدفن هناك فقط." "(٦٣).

وانتقلت هذه الرغبة الدينية من الجدة إلى الحفيد، فعندما وقعت حرب ١٩٦٧م كـــان هدفـــه من الحرب تحرير جبل الزيتون فقط لتدفن فيه جدته:

" سرت بمفردي في الشارع المظلم المهجور. بدت المنازل وكأنها ترتعد من غضب الانفجارات. ارتقيت الدرجات الحجرية التي أعرفها جيدًا. حيث أيام الطفولة المفعمـــة بـــالبراءة والراحـــة. ستكون المعركة الليلة ومن يدري...توقفت أمام الباب. وحتى قبل أن أطرقه إذا بجـــدتي تقـــف أمامي..."جدتي"، تمتمت عند دخولي لحجرتها، "جدتي، نحن ذاهبون للقدس الشـــرقية...الليلـــة سنحرر القدس. حائط المبكى...جبل الزيتون..."(٦٤)..

وفي موضع آخر يعرب هذا الحفيد عن استغرابه من أنه قد يدفع حياته ثمنًا لكـــي تـــتمكن جدته من الوصول إلى قبرها في جبل الزيتون:

" نشبت معركة مريرة طوال هذه الليلة. صرخ الموت بآلاف الأشباح. كنت مذهولاً أين ومتـــى سينادي على أيضًا. وطرأ على خاطري شيء غريب، وهو أنني سأدفع حياتي ثمنًا حتى تـــدفن جدتي في جبل الزيتون"(٦٥)..

هكذا، نجد أن السمة المحورية التي يتوارثها الخلف عن السلف من أبناء الطائفة اليهوديـــة المغربية في إسرائيل، هي تلك الرابطة الدينية المقدسة مع فلسطين وعدم الارتبـــاط مـــع هـــذا المجتمع من منطلق دوافع أيديولوجية صهيونية سياسية. وقد أدت هذه السمة من جانب إلـــى معاناة يهود المغرب، خاصة عندما تجابههم أية مشاكل وصعوبات أو عندما تتكشف لهم حقيقة هذا المجتمع الزائف، ومن جانب آخر، كانت هذه السمة هي السبب الرئيس الذي عولت عليـــه المؤسسة الإشكنازية الحاكمة في إسرائيل في عدم أحقية يهود المغرب، ومن شابههم من أبناء الطوائف اليهودية السفارادية، في الحصول على حقوقهم الاجتماعية والسياسية والاقتصـــادية مما دفع باليهود السفاراديم إلى الصفوف الخلفية داخل المجتمع الإسرائيلي.

الهوامش:

(١)بني براك: إحدى ضواحي بلدية تل أبيب- يافا، وهي إحدى قلاع الأرثوذكسية اليهودية التقليدية.

(٢)موشيه بن هاروش، قرض، قصة، مجلة مرئوت، عدد٢، ١٩٨٢، (ص ٣)، [بالعبرية].

(٣) المرجع نفسه.

(٤)موشيه بن هاروش، الشخصية، مجلة موزنايم، مجلد٥٦، عدد ٣- ٤، شباط- آذار ١٩٨٣، (ص ٦٩)، [بالعبرية].

(٥)المرجع نفسه.

(٦)المرجع نفسه.

(٧)المرجع نفسه، (ص ص ٦٩-٧٠).

(٨)المرجع نفسه، (ص ٧٠).

(٩)موشيه بن هاروش، كلنا بولنديون، مجلة موزنايم ٢، مجلد ٧١، حشفان ١٩٩٧، (ص ٤٩)، [بالعبرية].

(١٠)المرجع نفسه، (ص ص ٤٩- ٥٠).

(١١)جورجي لويس بورخيس: عاش بين ٢٤ أغسطس ١٨٩٩ - ١٤ يونيو ١٩٨٦ م)، وهو كاتب أرجنتيني يعتبر من أبرز كتاب القرن العشرين. بالإضافة إلى الكتابة فقد كان بورخيس شاعرًا وناقدًا وله عدة رسائل.

(١٢)المرجع نفسه، (ص ٥٠).

(١٣) المرجع نفسه، (ص ٤٩).

(١٤)المرجع نفسه.

(١٥)موشيه بن هاروش، الشخصية، مرجع سابق، (ص ٦٩).

(١٦)المرجع نفسه، (ص ٧٠).

(١٧) مردخاي بر أون، مرجع سابق، (ص ص ٢١٠- ٢١١).

(١٨)موشيه بن هاروش، كلنا بولنديون، مرجع سابق، (ص ٤٩).

(١٩)المرجع نفسه، (ص ٥٠).

(٢٠)المرجع نفسه، (ص ٤٩).

(٢١)دوريس بنسيمون، "إشكالية التعليم في إسرائيل"، في: إسرائيل الثانية المشكلة السفارادية، لمجموعة من الكتاب اليهود، ترجمة: فؤاد جديد، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت، ١٩٨١م، (ص ١٣٨).

(٢٢)موشيه بن هاروش، كلنا بولنديون، مرجع سابق، (ص ٥٠).

(٢٣)المرجع نفسه.

(٢٤)يتسحاق كينان، قبر على جبل الزيتون، في: أفراهام شطال "محرر"، طوائف إسرائيل، المجلد الأول، إصدار عام عوفيد، القدس، ١٩٧٨، (ص ١٢٧)، [بالعبرية].

(٢٥)شالوم خلفون، خالق، مجلة شيفيط فاعام، السلسة الثانيـــة (هــــ) "١٠"، تشـــري ١٩٨٥، (ص ٤٦١) [بالعبرية].

(٢٦)المرجع نفسه.

(٢٧)المرجع نفسه.

(٢٨)المرجع نفسه، (ص ٤٦٢).

(٢٩)ألبرت سويسا، الذبيح، مجلة عخشاف، عدد ٥١– ٥٤، شتاء– ربيع ١٩٨٧، (ص ٥٠٠) [بالعبرية].

(٣٠)المرجع نفسه، (ص ٥٠٤).

(٣١)المرجع نفسه، (ص ٤٩٦).

(٣٢)انظر: بتيا جور، أسبوع الكتب، هاآرتس، ١٩٩١/١/٢٥، (ص ب٨)، [بالعبرية].

(٣٣)ألبرت سويسا، مرجع سابق، (ص ٤٩٧).

(٣٤)كوفي نسيم، الكتابة ذاهًا هي موضوعي، مرجع سابق، (ص ٢٣).

(٣٥)الاسبستونيم: اشتهرت هذه المنازل في إسرائيل في أوائل قيام الدولة حيث سكن فيها القادمون الجدد بصورة مؤقتة، والاسبستوس هو الحرير الصخري وهو لا يحترق ولا يوصل الحرارة. (دافيد سجيف، مرجع ســابق، ص٤٠).

(٣٦)ألبرت سويسا، مرجع سابق، (ص ٤٩٩).

(٣٧)المرجع نفسه، (ص ٤٩٧).

(٣٨)المرجع نفسه، (ص ص ٥٠٦– ٥٠٧).

(٣٩)المرجع نفسه، (ص ٥٠٢).

(٤٠)المرجع نفسه، (ص ٥٠١).

(٤١)هاداه بوشس، "ذرات الذهب"، هاآرتس، ١٩٩١/١/٢٢، (ص ب ٤)، [بالعبرية].

(٤٢)ألبرت سويسا، مرجع سابق، (ص ٥٠٠).

(٤٣)المرجع نفسه، (ص ٤٩٩).

(٤٤)ألكس زهافي، بين كريات هيوفيل وعير جانيم: قراءة في رواية "الحالة الثالثة" و"الذبيح"، مجلة موزنايم، مجلد ٦٨، عدد ٥، شباط ١٩٩٥، (ص ٢٧)، [بالعبرية].

(٤٥) يارون لوندون، "الانتقاء"، صحيفة يديعوت أحرونوت، ملحق شيفع ياميم، ١٩٩٨/٩/٤، (ص ص ١٩– ٢٠)، [بالعبرية].

(٤٦)ألبرت سويسا، مرجع سابق، (ص ٤٩٥).

(٤٧)المرجع نفسه، (ص ٥٠٨).

(٤٨)المرجع نفسه، (ص ٤٩٨)

(٤٩)المرجع نفسه، (ص ص ٤٩٨- ٤٩٩).

(٥٠)يهوديت أروين، "ألبرت سويسا: عليك أن تستمر لكن كن حذرًا"، يديعوت أحرونوت، ملحق السبت، ١٩٩١/١/١١، (ص ٢٤)، [بالعبرية].

(٥١)ألبرت سويسا، مرجع سابق، (ص ٥٠٤).

(٥٢)المرجع نفسه، (ص ٥٠٧).

(٥٣)موشيه بن هاروش، كلنا بولنديون، مرجع سابق، (ص ٥٠).

(٥٤)يتسحاق كيناان، مرجع سابق، (ص ١٢٧).

(٥٥)موشيه بن هاروش، أثنان متمسكان بالخلاص، مجلة مرنوت، عدد ٥، ١٩٨٥، (ص ٩)، [بالعبرية].

(٥٦)موشيه بن هاروش، الشخصية، مرجع سابق، (ص ٦٩).

(٥٧)فيريد هارنيل، مرجع سابق، (ص ٢٩).

(٥٨)موشيه بن هاروش، أثنان متمسكان بالخلاص، مرجع سابق، (ص ٦).

(٥٩)المرجع نفسه، (ص ص ٩- ١٠).

(٦٠)يتسحاق كيناان، مرجع سابق، (ص ١٢٦).

(٦١)شلومو بار: فنان "ملحن ومغني" إسرائيلي من أصول مغربية، أسس فرقة "الخيار الطبيعي" الموسيقية في عام ١٩٧٧م.(انظر: يوآب كوتنر، "الخيار الطبيعي: فرقة موسيقية من نوع خاص"، أريئيل، صيف ١٩٩٣م، القدس، ص ص ١١٠-١١٦).

(٦٢)سامي ميخائيل، هذه أسباط بني إسرائيل: اثنا عشر حوارًا حول مسألة الطائفية، إصدار سفريات بوعليم، الكيبوتس القطري والحارس الفتي، تل أبيب، ١٩٨٤، (ص ٥٠)، [بالعبرية].

(٦٣)يتسحاق كيناان، مرجع سابق، (ص ١٢٨).

(٦٤)المرجع نفسه، (ص ١٢٩).

(٦٥)المرجع نفسه.

الخاتمة

في ضوء ما تقدم من استعراض للقضايا الاجتماعية والثقافية التي ألمت بالطائفة اليهودية المغربية في إسرائيل من خلال بعض أعمالهم الأدبية النثرية العبرية المعاصرة، فقد تمكنت الدراسة من التوصل للنتائج التالية، وهي على النحو التالي:

١- أوضحت الدراسة من خلال بعض النماذج الأدبية أن الحركة الصهيونية كانت في نظر الكثير من مهاجري يهود المغرب، بمثابة مسيح هذا الزمان الذي جاء يحملهم على أجنحة السحاب نحو القدس، لإقامة مملكة الخلاص الأرضية على أرض الميعاد المنشودة، لكن بعد الهجرة وما لقيه يهود المغرب من عذاب وألم، في معسكرات المهاجرين خارج إسرائيل وداخلها، وما سببته لهم قوانين الانتقاء وأجهزة الاستيعاب من انفراط عقد الأسرة اليهودية المغربية، وتحطيم الأطر والنظم التقليدية الجماعية المميزة للمجتمع اليهودي المغربي، تبين ليهود المغرب أن الحركة الصهيونية وما دعت إليه، لم تكن إلا أحد المسحاء الكاذبين المحدثين، مثل باقي المسحاء الكاذبين الذين ظهروا في حياة اليهود، وكان الشتات والتشريد والهلاك هو نصيب من اتبعهم وأيدهم، وهو ما حدث ليهود المغرب نفسه داخل المجتمع الإسرائيلي.

٢- أثبتت النماذج الأدبية المختلفة فشل الحركة الصهيونية في تحقيق معظم المبادئ والأهداف التي دعت إليها: فلم تتمكن من إقامة "دولة يهودية" ولكنها أقامت "دولة لليهود" ذات طابع علماني، كما جاءت نتائج مجهوداتها لتحقيق مبدأ "جمع الشتاتات" بآثار عكسية، فبدلاً من ذلك تحول إلى "جمع المتناقضات"؛ حيث لم تتمكن من صهر التناقضات والاختلافات بين الجماعات المهاجرة إليها، كما أدى سعي المؤسسات الإسرائيلية المختلفة لتكوين ثقافة يهودية واحدة وشخصية إسرائيلية صبارية إلى تحولها من كونها "بوتقة صهر" إلى "بوتقة قهر" فقدت فيها الطوائف اليهودية المهاجرة وخاصة السفارادية هويتها وتراثها الثقافي وتحول معظم أفرادها إلى مسوخ بشرية بلا أية شخصية مميزة، وبذلك لم تنجح الحركة الصهيونية في أن يكون لإسرائيل ثقافة يهودية خاصة أو أن يكون لها طابع فلكلوري

واحد بل أصبح لديها ثقافات مختلفة لليهود وليس ذلك دليلاً على ثرائها الثقافي بل حقيقة مؤكدة على فشل وضعف الحركة الصهيونية.

٣- اتسمت علاقة الإشكناز بماضيهم بالسلبية والكراهية؛ لذلك شرعوا في تكوين هوية جديدة داخل مجتمعهم الإسرائيلي الجديد، وتبنوا نظرية كراهية ونبذ الثقافة الشتاتية أيًا كانت، ولذلك حكموا على ثقافة يهود المغرب، وغيرهم من اليهود السفاراديم، وتراثهم من هذا المنظور وشرعوا ينزعون عنهم هويتهم طواعية أو قسرًا. لكن هذه الهوية الجديدة والأنماط الحياتية العلمانية كانت صورة طبق الأصل مما كان سائدًا داخل مجتمعاتهم الأوروبية التي هاجروا منها، وفروا من ضغوطها عليهم، وهم بذلك يمارسون مع يهود المغرب وغيرهم من اليهود السفاراد الأسلوب والنهج نفسه الذي عانوا منه، وذلك تحت غطاء مشروع تحديث اليهودي السفارادي، وتخليصه من بدائيته وبربريته. وهكذا تحولت إسرائيل لما يشبه "الجيتو الكبير"؛ حيث فرض على اليهودي المغربي السفارادي تبني الأنماط الحياتية التي اعتاد أن يمارسها اليهودي الجيتوي في شرق أوروبا خلال فترة الهسكالاه " فعليه أن يكون يهوديًا سفاراديًا في منزله وإسرائيليًا علمانيًا خارجه "، تحويرًا وتطويرًا لمقولة الشاعر اليهودي "يهودا ليف جوردون": "كن يهوديًا في بيتك وإنسانًا خارجه"، وتكونت لدى معظم يهود المغرب وغيرهم من اليهود السفاراد عقدة الانفصام والهوية المزدوجة. وكأنما كان لزامًا على اليهودي المغربي أن يمر بكل المراحل التي مر بها اليهودي الجيتوي، لكي يحصل على بطاقة الهوية والتماثل مع الشخصية الإسرائيلية الصبارية؛ وحينئذ تتاح له الفرصة الذهبية للدخول إلى أرض الأحلام الإسرائيلية الزائفة.

٤- استنتجت الدراسة أن الشباب اليهودي المغربي قد تعرض، كغيره من اليهود السفاراد، لمذبحة ثقافية داخل الكيبوتسات، حيث عمدت هذه العملية إلى تخليص هؤلاء الشباب من أي طابع ديني ومن أية عادات أو تقاليد ترتبط بالماضي، الذي هو في نظر مؤسسات الاستيعاب ماضٍ بغيض يجب قطع كل أواصر الاتصال معه، وإجبارهم على تبني أنماط سلوكية جديدة تتفق مع المجتمع الإسرائيلي، حتى لو أدى الأمر لفقدانهم هويتهم وذاتهم وإحساسهم بالخواء النفسي والاغتراب الثقافي. وفي النهاية لم يقبله المجتمع الإشكنازي، ولم يتمكن هو من العودة إلى مجتمعه القديم بعد أن اعتنق الثقافة الإشكنازية، وهي صفات اقترنت بالشخصية اليهودية الشتاتية الأوروبية. وهذا ما دفع العديد من يهود المغرب للبحث في ذكريات الماضي عن هويتهم وعن ذاتهم المفقودة، ومنهم من لم يكتف بالغوص في

أعماق ذكرياته، بل قرر الذهاب للمغرب في رحلة عودة للجذور لعله يجد ما يبحث عنه. وهذا الحال الذي آل إليه يهود المغرب في إسرائيل يختلف عن حياتهم الهادئة في المغرب، فإذا كان الواقع الإسرائيلي المرير قد دفع يهود المغرب للبحث عن جذورهم وماضيهم وهويتهم المفقودة، فإنهم كانوا في المغرب يتطلعون للمستقبل؛ لأن هويتهم كانت واضحة المعالم وجذورهم قوية داخل المجتمع المغربي، لذلك لم يكن يعنيهم البحث في الماضي أو حتى الحاضر إنما كان جل طموحهم ينصب حول المستقبل، حول مملكة عصر الخلاص المستقبلية الغيبية.

٥- أبرزت بعض الأعمال الأدبية مدى ما يعانيه الأدباء الإسرائيليون من ذوي الأصول اليهودية المغربية، مثل أقرانهم من الأدباء الإسرائيليين السفارديم، من تمييز حضاري وتجاهل ثقافي، ولا يلتفت أحد لإبداعاتهم الفكرية أو آرائهم النقدية. وقد جاءت سياسة التجاهل هذه، التي تبنتها المؤسسات الأدبية الرسمية في إسرائيل، على محورين: أولهما، سياسة "اقتله بالإهمال" في محاولة لتطويع وتدجين أي تيار معارض يظهر من بين صفوف الأدباء الإسرائيليين السفارديم. وأنه تحت وطأة الإهمال والتجاهل ورغبة في الحصول على الرضا والشهرة، يعمد بعضهم إلى الابتعاد عن عرض مشاكل طوائفهم اليهودية الشرقية والهروب منها بتناول موضوعات عامة لا تمت لطوائفهم بشيء يذكر أو الهرولة للموضوعات التي تلقى الحظوة والقبول من قبل المؤسسات الأدبية ذات الغلبة الإشكنازية. وثانيهما، فرض إطار حديدي على الأدباء الإسرائيليين السفارديم، ووضعهم داخل نطاق أدبي جامد مرتبط بجذورهم الشرقية "المتخلفة"؛ الأمر الذي يدفعهم لكراهية الذات والتنصل منها والبعد عن واقعهم والارتماء في أحضان الإشكناز. وعلى أية حال، أسفرت هذه المحاولات عن ابتعاد الأدباء الإسرائيليين السفارديم عن عرض قضايا طوائفهم السفاردية، والرغبة في التشبه العقيم بالنمط الإشكنازي.

٦- أوضحت الدراسة أنه نتيجة لما يعانيه يهود المغرب وغيرهم من أبناء الجاليات اليهودية السفاردية داخل إسرائيل، خاصة الطلاب المغاربة داخل المؤسسات التعليمية الإسرائيلية، من سخرية واستهزاء من أسمائهم وسلوكياتهم وتقاليدهم الطائفية ومن تراثهم وتاريخهم؛ وجه معظم الآباء السفارديم أبناءهم للمدارس الدينية المتشددة السفاردية. وهكذا، اندفعت الجموع السفاردية للاختباء في عباءة الدين والحركات الدينية المتشددة، ووجدت فيها ملاذًا لها ومرتعًا خصبًا يتماشى مع مكوناتهم الثقافية وسلوكياتهم الطائفية، ونقطة انطلاق نحو

فرض الهيمنة المفقودة التي طالما اشتاقوا إليها. ومن هذا المنطلق، أخذ عدد أفراد التيار الديني المتشدد في التزايد، وازداد ضغط هذا التيار على الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة لاتخاذ مواقف سياسية وتعليمية متشددة؛ مما ينذر بأن الأصولية اليهودية الشرقية المتنامية داخل المجتمع الإسرائيلي هي الوريث الشرعي " للصهيونية" الفاشلة.

﴿ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين﴾

* * * * * *

﴿الفهرست﴾

تعريف بالمؤلف

- أحمد محمد الشحات عبد المنعم هيكل
- مدرس بقسم اللغات الشرقية شعبة اللغة العبرية وآدابها كلية الآداب جامعة حلوان.

- من أبرز أعماله:

  - المصطلح والنص في الدراسات العبرية بين التوظيف والتوصيف، مجلة القدس، عدد ٩٠، يونيو ٢٠٠٦، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ، ص ص ٩٦-١٠٣.
  - عقيدة الماسادا اليهودية.. أسطورة الوهم، مجلة القدس، عدد ٩٢، أغسطس ٢٠٠٦، مركز الإعلام العربي، القاهرة.
  - تاريخ الترجمات العبرية للقرآن الكريم، مجلة القدس، عدد ٩٣، سبتمبر ٢٠٠٦، مركز الإعلام العربي، القاهرة.
  - فتاوى حاخامات اليهود حقد عنصري..وفكر إرهابي، مجلة القدس، عدد ٩٤، أكتوبر ٢٠٠٦، مركز الإعلام العربي، القاهرة.
  - ترجمة كتاب أفراهام إيفين شوشان "خلاصة قواعد اللغة العبرية" بالاشتراك مع آخرين، إصدار دار رواج للنشر والطباعة، القاهرة ٢٠٠٦.